

العنوان :

دراسة تحليلية نقدية للفلسفة

الجندرية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إشراف الأستاذ:

د. بوزبرة عبد السلام

إعداد الطالب:

بغورة جمال الدين

السنة الجامعية: 2017/2016

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَلَّمَ الْقُرْآنَ

إلى درتي المصونة

إلى لؤلؤيتي المكنونة

أختي الصغيرة

شكراً على سرمانه

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما ينبغي لجلال
وجهه و عظيم سلطانه الذي و فني

على إتمام هذا البحث،

وأتقدم بالشكر و الامتنان للأسرة الكريمة ولأستاذي الفاضل بوزيرة عبد

السلام على توجهاته

السيدة وأراءه القيمة التي أثرت بحثي هذا

لك مني سيدي أسمى عبارات التقدير والاحترام.

كما أتقدم بخالص شكري لكل من مد لي يد العون في إنجاز هذا البحث
و أن أتقدم بشكري الخالص إلى جميع أساتذة الفلسفة الذين لم يتخلوا عليا

بالنصح و المعونة في هذا البحث

وإلى الأخ مولود مالك وكافة عمال مطعم السلسبيل وكذلك جمال بوقرة

والأخ حمزة تقبلوا مني فائق الاحترام والتقدير



مقدمة

إن جل قضايا التغيير الإنساني (قانونيا، سياسيا، اقتصاديا، عسكريا، فنيا وثقافيا) تحمل طابع اجتماعي في معظم الأحيان ذلك أن القانون لا يكون إلا في إطار المجالات الثلاث (عسكريا سياسيا اقتصاديا) وهذه المجالات الثلاث تشكل كيان ما يسمى بالدولة، التي لا قيام لها دون مجتمع، هذا الأخير الذي يقوم على الأسرة المكونة من الشريكين (الذكر والانثى)، ومما كان يبدو علنا أن كلا الشريكين يمارسان حياتهما في ظل ما تطلبه هذه الشراكة إلا أنه وفي الخفاء كان هناك نوع من الهيمنة الذكورية والدونية الأنثوية ولا يختلف اثنان في ذلك بدليل ما ورد من أفكار عن المرأة ومركزها في المجتمعات والأسرة البدائية أوحى اليونانية والرومانية وكذلك بالنسبة لما جاء به الدين المسيحي واليهودي من قبل لم يكن منصفاً لهذا الشريك مما أدى إلى نوع من الحقد على مجموع تلك القواعد المرجعية من جهة وعلى الذكور كشريك في الجريمة من جهة أخرى.

جريمة الحضارات القديمة والنظم العقديّة المنحرفة التي اعتبرت المرأة أو الأنثى نجسة ورجسا أو شيطانا أو حتى بمثابة سلعة تباع تشتري فنكرت آدميتها ونفيت إنسانيتها وهدم كيانها البشري وكرس لاستعلاء الرجل وسيادته وهيمنته، وبعدها اجتاحت الفكر التحرري أوروبا نادى الكثير من المفكرين والفلاسفة ضد هذا التسلط الذكري وطالبوا بتحرير المرأة، وبعدها حصلت على الحرية لم يصبح الأمر صعبا عليها لتعتلي منصات الخطاب لتحصيل الحقوق حينما تدشن ثورة الواجبات على أساس استرجاع مساحة محتلة من عدو متوهم بعنوان الرجل، لم نفهم بعد إن كان شريكا في الحياة أم شريكا في الجرم باعتبار أنه ليس للمرأة وللرجل تاريخان منفصلان، فهما صنعا تاريخا مشتركا لتبدأ الحركات النسوية بالظهور خلال القرنين (19-20) في أوروبا وأمريكا مناديتا بجملة من المطالب كان أبرزها أو على رأسها المساواة التامة بين الذكر والأنثى (الشريكين) وبعده ذلك رفعت سقف مطالبها بإنشاء الحركة (الفيمينية Feminisme) والتي ترفض وجود مرجعية مشتركة بين الرجل والمرأة وتعتبرها في حالة صراع دائم مع الرجل، وقد سعت إلى ذلك من خلال المؤتمرات العالمية والمواثيق الدولية ومنابر الخطاب المختلفة فالمرأة والرجل اللذان لا اجتماع أصلا دون اجتماعهما قد صار كلاهما اليوم في اجتماع تناقضي غير توافقي ذلك أن وضع المرأة داخل التاريخ الإنساني يطرح نفسه كمشكلة إنسانية أي مشكلة مشتركة بين الشريكين تحمل طابع التحفظ، ولعل هذه المشكلة المتجذرة في التاريخ قد أصبحت اليوم بمثابة قضايا علنية، فبعدها كان وضع المرأة كمشكلة مشتركة أصبحت اليوم قضية رفع المرأة بمثابة إشكال كبير يهدد كلا الشريكين ولعل أرقى ما وصلت إليه اليوم فلسفتها ما يدعى "الجنديرية" و "النوع الاجتماعي" الذي لا يقبل بدوره تحديد الجنس وفق الفروق البيولوجية لتختلط الذكورة بالأنوثة حتى يتعثر التمييز اليوم.

والمعلوم اليوم أن كل هذا يدرج تحت عنوان قضية المرأة فإذا ما اعتبرنا اليوم أنه مازالت هناك "مرأة" فهذا ينفي أن تكون لها قضية وإذا ما نفينا وجودها بنفيلجنندر للفوارق البيولوجية المحددة للجنسين لم تصر هنالك قضية تدعى قضية المرأة ولوسرنا في كلا الطرفين لوجدناه مسدودا فما هي أسباب ودوافع هذا الانسداد وماهي حلوله؟ و بعبارة أخرى و في حقيقة الأمر هل تعتبر الفلسفة الجندرية إنسدادا للأنوثة فإن كانت كذلك فماهي الأسباب و الدوافع و ماهي الحلول المقترحة؟

هيكلية البحث:

لقد قمنا بتقسيم البحث إلى ثلاثة فصول

1. **الفصل الأول:** وينقسم إلى مبحثين: المبحث الأول تناولنا فيه الخلفية التاريخية والمرجعية الفكرية للجنندر من خلال معرفة موقع المرأة من الحضارات الغربية والمبحث الثاني يخص المرجعيات العقائدية وعلاقتها بالمرأة.
2. **الفصل الثاني:** وينقسم هو الآخر إلى ثلاث مباحث، المبحث الأول تناول جملة التعريفات الخاصة بالموضوع والحقل الدلالي له بإضافة إلى نشأة وتطور المفهوم، أما في المبحث الثاني فقد تناولنا الأبعاد الفلسفية للفكر الجندري بغية الربط الوثيق بين الموضوع والفلسفة والمبحث الثالث يحتوي نموذجين عن فلاسفة الجنندر إحدهن غربية ديوفوار والأخرى مسلمة "نوال السعداوي" لتكون دراسة فلسفية عامة لا تقتصر على جانب واحد.

3. **الفصل الثالث:** ينقسم إلى مبحثين المبحث الأول الذي تناولنا فيه نقدا فكريا للجنندر ومركزاته الفلسفية من خلال أفكار بعض الفلاسفة والمفكرين أمثال بيرداكو وروسوا ونقدديني إسلامي بغية إبراز النموذج الاسلامي بمنظور الوسطية ومن ثم نقد الشبهات التي من شأنها تخفيظ هذا النموذج وتسديجه ومن ثم إبراز الحل للانسداد من خلال تجاوز عائق المعنوا لإصطلاحالجنندر لتنتهي بخاتمة تحتوي مجموع الاستنتاجات والتوصيات.

المنهج المتبع في الدراسة

اعتمدنا في الفصل الأول على المنهج الوصفي الذي من شأنه وصف أحوال المرأة آنذاك في الحضارات اليونانية وكذلك الرومانية وما ورد في التشريع اليهودي والمسيحي وكذلك الإسلامي حول المرأة مع استعمال المنهج التاريخي من حين لآخر أما في الفصل الثاني فقد كان الحظ الأوفر للمنهج التحليلي بغية تحليل مصطلح الجنندر والنوع الاجتماعي وتفكيك تركيبته الفلسفية بالإضافة إلى تحليل بعض أفكاره والآراء التي وردت في ذات السياق ، إما في الفصل الثالث وبعد التفكيك والتحليل وجب علينا نقد المضمون بعد فهمه جيدا لذا قمنا باستعمال المنهج

النقدي بكثرة في الفصل الثالث وحتى يكون النقد بناء فان المنهج التحليلي يتبعه التركيبي وبالتالي وبعد نقد مضمون الجندر بما فيه قمنا بإعادة تركيب وترتيب المصطلح بما يحمله من أفكار ونظريات وفق ما يتلاءم مع الإيديولوجيات الإسلامية والعربية

أهم المصادر والمراجع:

ولقد إعتدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المراجع اكان أهمها:
مجموعة مؤلفات الدكتور إمام عبد الفتاح إمام حول المرأة.
حركات تحرير المرأة - من المساواة إلى الجندر - لثني أمين الكردستاني.

أسباب ودوافع اختيار الموضوع:

إن للموضوع أسباب عديدة جعلتنا نشغل عليه أبرزها:

- غموض هذا المصطلح وعدم معرفة أبعاده لدى الكثيرين في مجال الاسرة والأنشطة الاجتماعية.
- كثرة الشذوذ الخلقي لدى الكثير من النساء والسفوف والتحجج بالحرية.
- تسرب بعض الصفات العرضية للجندر للدولة الجزائرية من خلال ضغوطات لجنة سيداو "تزويج المرأة من دون ولي"
- تلائم الموضوع مع الطابع الفلسفي الموسوعي المساحي.

الصعوبات:

- الموضوع معاصر لازال قيد الدراسة قبل التحرير.
- شساعة الموضوع ومساحيته.
- انعدام المصادر وقلة المراجع.
- الوقوع في الذاتية الذكورية باعتباره موضوع يخص المرأة "النسوية".

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية دراسة هذا الموضوع في كونه يتعلق بلب المجتمع ومركز الأسرة "المرأة" حيث حاول أصحاب نظرية الجندر تميع الأفكار والايديولوجيات من خلال تفكيك مراكزه في شكل الأسرة وأركانها ولن يكون ذلك إلا من خلال القضاء على من كان دورها تربية الأجيال وإعداد رجال ونساء المستقبل ولمن كانت مأمنتا على تلك الأيديولوجيات والناقلة لها باعتبارها أول مدرسة يتلقى فيها الجيل مبادئه.



الخلفية التاريخية للفكر الجندري

المبحث الاول :

المحاضرات كقواعد مرجعية

المبحث الثاني :

المرأة في الديانات الساموية

لم نشأ التطرق إلى المرأة في المجتمعات البدائية وذلك أثناء بحثنا هذا، ذلك أن كل ما قيل عنها آنذاك أو كتب فيها لا يمثل صرحا يقاس عليه من جهة ومن جهة أخرى لم تكن تلك حضارات بكل ما تحملها الكلمة من معنى كما أن النقد يتعذر علينا لأنها منقولة بالتواتر ومرتبطة ارتباطا وثيقا بالخرافة والأسطورة، ذلك أن التدوين لم يكن مبتكر بعد، إلا أننا سنعرج على الخرافة والأسطورة في خضم حديثنا عن المرأة في العصر اليوناني باعتباره قاعدة مرجعية للفكر الغربي.

المبحث الأول: الحضارات كقواعد مرجعية

كل ما يقال عن المرأة الإغريقية إنها كانت تفتقد حريتها وإرادتها فكان الدور المنوط بها يقتصر على أعمالها المنزلية بالإضافة إلى تربية الأولاد، مع عدم السماح لها بمغادرة المنزل، وبالتالي كانت في عزلة عن العالم الخارجي أي أنها كانت تفتقد أبسط مظاهر الفكر والثقافة في شكل القراءة والكتابة مثلا، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل فاق ذلك فكانت توصف بالدناسة والاحتقار وتعامل على أساس أنها رجس من عمل الشيطان، فقد حرمت من أبسط الحقوق كالتصرف في الإرث ودون أن تتكلم عن الحرية والحق في الطلاق، لتظل بالتالي خادمة لسيدها أو رب بيتها ومنه قد نزلت إلى مرتبة التسلع أو التشيؤ، إلا أنه وفي المقابل لم يكن هذا حاصلا في شتى بلاد الإغريق، حيث أنه لم يشمل اسيرطا، ذلك أن المرأة الإسبرطية قد منحت بعض الحقوق مقارنة بنظيرتها الأثينية أو باقي النساء الإغريقيات ذلك أنها كانت اجتماعية إلى حد ما كما كانت تتمتع بحق الميراث¹.

1. المرأة في الميثولوجيا اليونانية:

إن النظر إلى المرأة عند اليونان يختلف حسب المكان بين اسبرطة وأثينا، ونظرا لشساعة الفكر ومساحته فقد اختلف أيضا من فيلسوف أنداك لآخر (أفلاطون، أرسطو) ولكن قبل ذلك سنتحدث عن المرأة في الميثولوجيا اليونانية باعتبارها سابقة للفلاسفة وأفكارهم وشاملة لرقعتهم الجغرافية "اليونان".

كانت أغلبها منقولة عن هوزيزد وهوميروس، في السماء كانت الآلهة هيرا Héra أي السيدة، فهي مؤنث عكس هيرو Heros السيد أو الفارس، زوجة زيوس Zeus ربة الزواج وسيدة المنزل، تعاني من مشاكل مع زوجها زيوس كغيرها من النساء على الأرض فلطالما كان يخونها مع الأخريات ما جعلها تشعر بالغيرة الشديدة لتكرس جهدها للنيل من عشيقاته، وهذا ما دفع به لإنجاب أثينا من رأسه دون اتصال جنسي مباشر، ومن الملاحظ أن هيرا لم تحاول خيانتها اطلاقا باعتبارها آلهة الزواج ولا يجوز لها تدنيس فراش الزوجية، وبذلك تكون المثل الأعلى للزوجة اليونانية وما صدق على زيوس وهيرا يصدق على باقي الآلهة كما يصدق على البشر².

بالتالي كانت خيانة الإلهة أمر عادي كما كانت خيانة الرجل للمرأة أيضا أمر عادي فيما كان العكس أمرا منبوذا وبالتالي اقتصرت الحرية على الذكورة دون الأنوثة بل بلغت أقل صورة للتعسف.

¹ - باسمه كيال، تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1991، ص ص 32-33.

² - إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط2، 1996، ص ص 23-24.

أما أثينا الأخرى فلم تكن بالمرأة الرقيقة وإنما هي الفارس المحارب والبطل، أما أفروديت ابنة زيوس وعشيقته والهة البغاء والجنس والربة اللعوب وكان يعترف بها عمليا في مختلف المدن اليونانية ما جعل البغاء رسميا تقر به الدولة¹.

أي أنه هناك ثلاث أنواع من النساء المرأة المتزوجة "هيرا" والمرأة البغي "أفروديت" والمرأة المسترجلة "أثينا"، وقد تجلّت بالفعل كلها من خلال المرأة الأثينية والاسبرطية والأجنبية وما رواه كل من أفلاطون (427/347 ق.م) وأرسطو (384/322 ق.م) وذلك ما سنتطرق له فيما بعد، وبالتالي فإن انعكاس المعتقد الميثولوجي على الفكر الايديولوجي جلي هنا لو تمنعنا النظر.

كما تروي الميثولوجيا اليونانية أن زيوس هو الذي أدخل الجنسية المثلية إلى اليونان، فقد كانت ابنته هيبه Hebe الجميلة ربة الصبا والشباب تعمل لديه ساقية وحاملة للكؤوس فلما تزوجها هرقل اضطر زيوس إلى البحث عن نديم آخر فاتخذ صورة نسر وطاف يخلق في ملكه الواسع حتى رأى الراعي جانميد Ganymedes ابن ملك طروادة نائما فوق ربوة وكان الجمال يشع من وجهه فأيقضه وطار به إلى الألب واتخذة نديما وخليلا وأعطى لأبيه مجموعة من الجياد الكريمة في المقابل².

من الملاحظ أن المثلية الجنسية التي ينادي بها الغرب اليوم هي متجذرة في التاريخ وأن حرية الرجل لم تتوقف عند حد خيانتة مع الجنس الآخر و فقط بل امتدت إلى حد الخيانة مع بني جنسه من الذكور، وقبل نزولنا من الميثولوجيا إلى الإيديولوجيا عموديا وجب أن نفهم قبل ذلك كيف نزل جوهر بحثنا أي المرأة لنسقط بعدها جل الفكر حولها، يروي هوزيود أن الإله يرومثيروس هو من خلق الرجل وفكر بسبغ نعمة عليه فسرق النار المقدسة في غفلة من زيوس فغضب كبير الآلهة وعاقبه بتكبيله وعاقب الرجال أيضا بخلق الأنثى لهم فأعطتها أفروديت بعضا من جمالها وعلمتها أثينا بعضا من الحرف المنزلية كما يخبرنا هوزيود بأن الرجل كان يعيش في جنة النعيم وذلك هو العصر الذهبي، ولما سرت النار المقدسة أصبح يعيش العصر الفضي ذلك أنه بعدما كان يعيش فصلا واحدا "ربيع" أصبح يعيش الفصول الأربعة ليدخل العصر النحاسي بعد أن خلقت المرأة ذلك أنها جلبت معها الآفات والعلل والفقر ودفعت بالرجل ليتدحرج وينحدر من الذهب إلى الحديد³.

¹ - المرجع السابق، ص 26-27.

² - المرجع نفسه، ص 24.

³ - المرجع نفسه، ص ص 27-28.

ومن خلال ما سبق ذكره عن خلق المرأة يمكننا أن نتأكد من النظرة السلبية صوب المرأة آنذاك، باعتبارها عقاباً أولاً وعنصر يجلب الآفات والعلل ثانياً وسبباً في الخروج من الجنة ثالثاً لتكون المرأة هنا مكروهة ومنبوذة منذ خلقها.

2. المرأة في أثينا:

من الشائع آنذاك أن المجتمع الأثيني مجتمع تربط أفرادَه روابط الدم لذا كانوا يحرصون على المحافظة على نقاء هذا النسل فكان الأثيني يتميز بالعديد من الحقوق مقارنة بالأجنبي، كانت الأسرة أبوية أي أن الأب له السلطة التامة في تسيير شؤون الأسرة حتى في الإمكان التنازل عن الأبناء أو بيعهم والانتفاع بثمانهم، وكان سن الزواج بالنسبة للفتاة يحدد بستة عشر سنة أما الرجل ثلاثون سنة وكان هذا متفق عليه عند أفلاطون وكذلك أرسطو كما لم يكن يهم الجانب الثقافي للمرأة ذلك أنها كانت مجردة من أدنى الحقوق لاسيما السياسية وكذلك بالنسبة للميراث وغيره، وكانت تعنى بالواجبات كلها خاصة ما يخص المنزل فهي تكون تحت وصاية والدها ثم تنتقل إلى وصاية زوجها حتى مماتها ويجوز للرجل قبل مماته إن لم يكن له وريث أن يوصي بأملاكه وابنته لرجل يختاره هو كما كان يفرض الخمار على النساء اليونانيات وفي ذلك تفريق بينهم وبين الأجنبيات والعاهرات لتظهرن على أنهن ملكية خاصة، كما أن للرجل آنذاك العديد من البدائل كالجواري والأجنبيات العاهرات أو حتى المثلية وغيرها، أما المرأة فلا يحق لها ذلك وإن فعلت فقد تعتبر خائنة وكان هذا الأمر يقتصر على الأثينية دون الأجنبيات لأنهن لا تشرع لهن القوانين بل وجب على كل أجنبية أن تبحث عن رجل حر يتدبر أمرها مع العلم أن زواجها من يوناني أصيل أمر مرفوض كما سبق وأن ذكرنا فقد كانت الأجنبيات والأجنيبيون ممنوعون من دخول أسبرطة أما أثينا فقد كانت مدينة تجارية ناهيك على أنها تروج بالمغريات للأجنبي مثل أعمال الفن والمسرح والاحتفالات السياسية والفلسفة، وتشكل طبقة الأجنبيات متعة للرجل الأثيني بحيث أن كل ما يمنع عن الزوجة الحرة هو مباح بالنسبة للأجنبية سوى الزواج وذلك للحفاظ على الميراث فقد كانت الأجنبيات تصطحبن إلى مأدبات العشاء والحملات العسكرية وغيرها بصفتهم الطبقة الوحيدة من النساء المثقفات في أثينا وذلك في أشكال عدة خليلات رفيقات صديقات أو ما شبهه.¹

فهذا العنصر التعسفي إن صح التعبير بين الأجنبيات والأثينيات كان من شأنه عزل المرأة الأثينية، ذلك أنه حتى وإن حافظ عليها وعلى النسل الأثيني الحر إلا أنه حافظ عليها وهي جوفاء إن صح التعبير أي دون ثقافة على غرار الأجنبيات اللآئي كن يتمتعن بمستوى ثقافي مرموق وحرية تامة.

¹ - المرجع السابق، ص ص 31-38.

يقول زينوفون: كما أن ملكة النحل تبقى في الخلية وتشرف على باقي أفراد النحل وهي تعمل، كذلك ربة الدار عليها أن تبقى بالمنزل تشرف على ما فيه من أعمال تراقب مصروف بيتها فلا ينفق في شهر ما كان ينفق في عام وتدريب الفتيات من لا خبرة لهن وتعني بالجواري والمرضى... الخ.¹

ومن خلال قول زينوفون وتشبيهه الأثينية بملكة النحل يمكننا أن نفهم بأن عزلها كان يهدف إلى الإيجاب أكثر منه إلى السلب.

3. المرأة في أسبرطة:

تعد أسبرطة الرائدة في الشؤون الحربية على مدار ثلاثة قرون فقد اتسعت المدينة (الدولة) على حد تعبير المصطلح آنذاك وشغلت مساحات شاسعة وكان الأسبرطيون دائما متأهبين في أي لحظة للحروب أو لأي تربية بهم مقارنة بما كانوا يقومون به من استرقاق للعبيد، ومن هنا جاء اهتمام أسبرطة بالمرأة، فبمقابل تربية الطفل تربية عسكرية بعد انضمامه للقطيع وذلك بعد التأكد من سلامته عند الولادة وبلوغه ثماني سنوات كانت الفتاة مجبرة أيضا على المشاركة في الألعاب الرياضية العنيفة مثل الجري والمصارعة والرمي حتى تصبح قوية البنية، وكانت تسير في مواكب احتفالية وأثناء الرقص عارية تماما وعلى مرأى من الشبان فعلى الرغم من أن هذا يعد سمة البدائية إن لم ينزل إلى الحيوانية فقد كانوا يظنون أنه حافز لها للتخلص من عيوبها ولم يكن يسمح للفتاة المريضة بالزواج حرصا على النسل الجيد واكتماله أما من الزواج فقد كان قريبا من نظيره في أثينا الرجل ثلاثون سنة والمرأة عشرون سنة، واعتبرت العزوبة جريمة يعاقب عليها القانون وكان مرادف الزواج في أسبرطة هو الاغتصاب ذلك أن الرجل يأخذ المرأة عنوة من أهلها ولا يحق لها الاختيار كما أنه كان يحق للأخوة أو الأصدقاء الاشتراك في الزوجات ومضاجعة من شاؤوا وذلك مع الأخذ بالإذن من الزوج أي الرجل يأخذ الإذن من الرجل وكان أهل الفتاة هم الملزمين بدفع المهور وتبقى في حوزة الزوج لا ينفقها ما بقية الزوجة معه، أما دور المرأة كأم فقد كانت شديدة القسوة خالية من العطف والحنان سواء اتجاه زوجها "الغيرة" أو تجاه ولدها "إن كان مريضا يتم التخلص منه" حتى قيل أنهم كن يمنع الأطفال من البكاء بغرض تربيتهم على الشدة والشجاعة.²

وتقول سيمون دي بوفوار في ذات السياق: "ما دام اضطهاد والمرأة يرجع إلى الرغبة في تخليد الأسرة والمحافظة على الملكية الخاصة فإنه بمقدار ما تتحرر المرأة من الأسرة تتحرر من التبعية". فإذا حرم مجتمع ما الملكية الخاصة. وبالتالي رفض الأسرة فإن حظ المرأة يتحسن تحسنا كبيرا ملحوظا وعلى ذلك فإننا نجد في مدينة أسبرطة

¹ - نقلا عن، المرجع السابق، ص 33.

² - المرجع نفسه، ص ص 42-57.

التي خضعت لنظام المشايعة في ملكية الأرض إنما كانت المدينة الوحيدة في اليونان التي تعامل المرأة على قدم المساواة مع الرجل وكانت الفتيات يرتدين كما يرتدي الأولاد...¹. ويضيف إنجلز في ذات السياق نفسه "إنه لم يكن هنالك الزنا بمعناه الحقيقي، أي خيانة الزوجة لزوجها دون علم به ... "ثم يستنتج لكل هذه الظروف تحتل المرأة في إسبرطة مركزاً محترماً بين كل نساء الإغريق الأخريات"².

وبالحديث عن المرأة الاسبترية عموماً وفيما يخص الأمومة على وجه خاص تضيف دي بوفوار قائلة: "فإن كانت النظم الاسبترية توجب إعدام المولود الضعيف فإن الأم نفسها كانت تلجأ إلى وسائل مختلفة لتحقيق هذه الغاية وحدها دون أن تشعر بأي قدر من حنان الأم أو عاطفتها تجاه وليدها فقد كانت تغمس المولود عقب ولادته في دن من النييد وتتركه مغموساً للحظات فإن عاش دل على قوة بنيته واستحق التربية وإن مات تكون الأم قد أدت واجبها نحو المجتمع بأن خلصته من كائن ضعيف لا يستحق الحياة."³

وبالتالي فإن كل ما سبق ذكره قد يصب في صالح المرأة عامة واليونانية خاصة والاسبترية بالتحديد وبخصوص حرمتها ومكانتها الاجتماعية بحيث أنها لم تكن ملكية خاصة - "المشايعة وإلغاء نظام الأسرة" وذلك ما وفر لها حرية بإضافة بلوغها قدماً من المساواة مع الرجل - "اللباس" - ناهيك عن تحليها عن العاطفة التي كانت تجسها في درك الدونية "قتل الأبناء الضعاف" -.

ولكن حديثنا عن امرأة تجردت من عاطفتها ومن لباسها الخاص وجعلت من نفسها ملكية عامة أي متاحة للعامة ناهيك عن الخاص الذي ينطوي تحت العام قد يجعلنا نشعر بأننا لا نتكلم عن المرأة إطلاقاً ذلك أنها لم تصبح كذلك بما أنها فقدت جل إن لم نقل كل خصائصها العرضية أو الجوهرية مثل اللباس والعاطفة على التوالي فذلك يجعلنا نتحدث عن "المرأة المسترجلة" كأقل تقدير ووصف لها".

والغريب أن دي بوفوار تدلل على المساواة بأن الفتيات كن يرتدين مثل الأولاد وكأن المساواة تعني أن توضع المرأة على سرير فتقطع منها الزوائد والاختلافات التي تجعلها أنثى وتفرقها عن الرجل والحق أن هذا ما حدث في اسبترية فلم تكن هناك سوى المرأة المسترجلة كما قال أرسطو وغيره لأن المرأة في اسبترية كانت تعوزها الرقة والأنوثة ويغلب عليها طابع الرجال.⁴

¹ - نقلاً عن، المرجع السابق، ص 50 .

² - المرجع نفسه، ص 53.

³ - المرجع نفسه، ص 51.

⁴ - المرجع نفسه ، ص 50.

والحق هو أنه إن كان بإمكاننا تسمية كل ما سبق بحرية أو بمساواة فإن السبب الأول في بروزها لم يكن حبا في المرأة الاسبرطية أو نصرة لها إنما كنتيجة لطابع المدينة الحربية على غرار أثينا إذ أن "المرأة المسترجلة" ظهرت كنتيجة للحاجة الزائدة للقوة البشرية ونفس الأمر بالنسبة للمشايعة فقد هدفت إلى إنتاج الجيوش أو ما يسمى بالقطيع فكل الظروف آنذاك كانت تخدم المرأة وحريتها إلا أنها جردتها من نسويتها ولم تكن تهدف عمدا لحرمتنا بل كانت نتيجة حتمية.

4. المرأة في فكر أفلاطون:

صحيح أن فلسفة أفلاطون مثالية واضحة إلا أنه لا يمكننا إنكار أنها ابنة اللواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري والأخلاقي الزمكاني الذي يجب أن نأخذه بعين الاعتبار ذلك أن التأملات الأفلاطونية للمرأة كانت مستقاة من صورتين متباينتين آنذاك المرأة الأثينية والإسبرطية، باعتبار أن كلا المدينتين يتنافسان على الزعامة مع العلم أن آرائه جاءت في نسق ديناميكي في كل من محاورتي الجمهورية وكذلك القوانين.¹

حيث يرى أفلاطون في كتابه الجمهورية أن الحاجة أو عجز الفرد عن الاكتفاء بذاته هو الدافع الرئيسي لوجود الدولة وبعد ذلك انتقال حتمي من العدالة في الفرد إلى العدالة في الدولة، هذه الحاجة كانت من شأنها أن تصنع مجتمعا شهوانيا ماديا ما دامت الحاجة تعبر عن المأكل والمشرب والملبس وغيرها وهذا ما تبين في فلسفة أفلاطون ما يدعي ظهور طبقة أرفع نوعا ما من المجتمع وهي طبقة الجند أو كما سماها هو بـ "الحراس" ومنها تنبثق طبقة الحكام وذلك باختيار صفوفهم وكان في تربية هذه الطبقة تأثير كبير بالنظام الأسرطي خاصة بعد هزيمة أثينا في حروب البلوبونيز 404 ق م، إلا أنه حاول المزاوحة بين تربية النفس والجسم معا.²

يقول باركر الأسرة تتطلب الملكية حتى تحتفظ بكيانها.³

فلمشايعة العامة تلغي الملكية الخاصة وبغرض إلغاء الملكية الخاصة عمد أفلاطون منذ البداية إلى إلغاء الأسرة كجوهر أو كمركز نقل الملكية في المجتمع حيث يقول في محاوره القوانين: طالما كان لكل منا نساء وأطفال ومنازل وغير ذلك من الأشياء التي يمتلكها الفرد ملكية خاصة... فإننا لن نحقق مشروعنا كما خططناه...⁴

وفي حديثه نلمس فحوى دعوى إلى المشايعة والتخلص من الملكية الخاصة بغرض نفي حب التملك

والغيرة وغيرها من المشاعر السلبية التي من شأنها أن تفسد مشروع الجمهورية الفاضلة.

¹ - مصطفى النشار، مكانة المرأة في فلسفة أفلاطون - قراءة في محاورتي الجمهورية والقوانين -، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،

(د.ت)، ص 31-32.

² - عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، ص 59-60.

³ - نقلا عن، المرجع نفسه، ص 68.

⁴ - نقلا عن، المرجع نفسه، ص 69.

يرى أفلاطون أن المشكلة الأساسية التي ستواجهه في بناء المدينة الفاضلة هو "حب الذات الفطري" أو "التملك" فهو يمنع على الحراس جمع المال والاشتغال بالذهب والفضة والمنازل والعقارات فإن العلاقة حسبه بين الفضيلة والثروة علاقة طردية ليذهب إلى ما هو أبعد من ذلك وهو شيوعية النساء والأطفال أي إلغاء الأسرة وبالتالي منع ملكية المرأة وهي تجلب الغيرة مما ترتب عنه مشاكل كما أنها تعتبر شهوة مادية جسدية وهذا ما يتنافى مع فلسفة أفلاطون الميتافيزيقية المثالية.¹

حيث يقول في هذا الشأن إن النساء حراسنا يجب أن يكن مشاعا للجميع فليس للواحدة منهن أن تقيم تحت سقف واحد مع رجل بعينه ولكن الأطفال أيضا مشاعا بحيث لا يعرف الأب ابنه ولا الابن أباه.²

فالرجل القوي يحق له مضاجعة ما شاء من النساء وكذلك بالنسبة للمرأة القوية بغرض المحافظة على السلالة من خلال إنجاب الأقوياء وتهيتهم للحكم على عكس ما يبدو للمتمعن من الوهلة الأولى فكلام أفلاطون ليس دعوى لإباحة الجنس بل لهدف أسمى منه وهو المحافظة على السلالة.

وقد ألغى أفلاطون الأسرة الصغيرة لهدف أسمى هو تكوين الأسرة الكبيرة في شاكلة المدينة أو الدولة بالمشايعة كان يهدف إلى مشايعة البنوة والأخوة والأمومة والأبوة لتتوحد المشاعر في قالب واحد من الجميع اتجاه الجميع.³

يقر أفلاطون بالمساوات بين الجنسين من منطلق أن للجنسين نفس الملكات وبالتالي يمكنهم القيام بنفس الوظائف مع تحفظ بسيط ومدلول عميق هو أن الرجل أعلى من المرأة في كل شيء وتساوى الجنسين في الوظائف يجب تساويهما في التعلم والتدريب على هذه الوظائف.⁴

وينتهي أفلاطون إلى أنه لا يوجد في الحياة المدنية ما يختلف في أدائه طبيعة الرجل عن طبيعة المرأة وإذا تقلصت الفروق والاختلافات بين الرجل والمرأة فإن الفارق بينها يكاد يتلاشى حتى يصبح كالفارق بين رجل ورجل.⁵

وفي ذلك يقول أرنست باركر: "لم يعد هناك فرق بين الرجل والمرأة في الوظيفة الجنسية هي كل ما بينهما من اختلاف أما كافة وظائف الحياة الأخرى فإن المرأة لا تغدو أن تكون رجلا أضعف بنية لها القدرات نفسها

¹ - المرجع السابق، ص ص 65-82.

² - نقلا عن، مصطفى النشار، مكانة المرأة في فلسفة أفلاطون - قراءة في محاورتي الجمهورية والقوانين -، ص ص 32-39.

³ - المرجع نفسه، ص 67.

⁴ - المرجع نفسه، ص ص 43-46.

⁵ - المرجع نفسه، ص 74.

وليست لها القوة نفسها"¹. وكل ما سبق ذكره يمكنه أن يلخص لنا مواطن المساواة البارزة بين الرجل والمرأة في جمهورية أفلاطون إلا أنه وفي المقابل هنالك مواطن أخرى تبدي عكس ذلك تماما.

ولست أدري كيف يقال أفلاطون أراد تحرير المرأة التي هي نصف المجتمع في الوقت الذي سكت فيه تماما عن المرأة في القاعدة الشعبية العريضة فلم يتحدث عنها قط مع أنها هي التي تمثل أكثر من نصف المجتمع حقا.² إذ أن الحرية والمساواة فيما يخص المرأة قد اقتصرتا على طبقة الحراس وحدها بالرغم من أنها تشكل الأقلية في مقابل القاعدة الشعبية (باقي الطبقات) التي تشكل الأكثرية.

المساواة التي تحدث عنها أفلاطون في القدرات والوظائف قد شملت سوى طبقة الحراس أي الحكام الجنود دون الطبقة الثالثة مع العلم أنها تشكل الأغلبية فهذه المساواة ليست إلا مجرد تمهيد لمشايعة كما أن فلسفته المثالية تنبذ الشهوة وتنفر منها حيث كان أقرب لاعتبار المرأة بجسدها رمزا للشهوة التي كان قد نها عنها فكيف يمكن أن يدعوا إلى الدفاع عن حقها ومساواتها مع الرجل، كما أنها لم تكن تتميز آنذاك حتى بحرية القرار والإرادة في الارتباط ولم يكفله لها أفلاطون.³

وفي مقابل المرأة هناك الرجل: ويمكننا تلخيص دور الرجل في الحياة وذلك من خلال الحقبة اليونانية بإعطائه صفة المركزية كيف لا وهو مالك الأرض ورب الأسرة يدير دفة الحكم ويسن القوانين وفي المقابل تتضائل قيمة المرأة فهي تعد على العموم قاصرا لا تعامل على أساس أنها إنسان راشد عاقل ليس لها رأي في الخطبة والزواج ولا شخصية في مواجهة الرجل أيا كان شكله ولا حق الدفاع عن نفسها أمام المحاكم بل لها حق الشهادة فقط وذلك بشرط أن تفوق الأربعين من العمر، وفي مقابل ذلك كله قد حرم أفلاطون المهور الباهظة للرجال في عدة أشكال عقارات، ثروة، أو غيرها مع العلم أن المرأة هي من كانت تدفع المهر للرجل، فقد كان من شأن هذه الطודה أن تكون حام للمرأة أو الزوجة من نزوات زوجها فإن أراد الطلاق وجب عليه إرجاع المهر.

وقد اعتبره أفلاطون شبيها بالقروض الربوية إلا أنه وللأسف قد حرّمها ليس تخفيفا عن المرأة وإنما ضنا بأن المهر يعد إذلالا للرجل لأنه وبالتالي يعمل في مال زوجته حيث يحق له التصرف فيه ما دامت معه هذا من جهة ومن جهة أخرى يعتبره أفلاطون كتكبير للرجل ما يجعل الزوجة وقحة في معاملتها معه أما فيما يخص الميراث فإن الابنة لم يكن لها الحق في أن ترث والدها وهي بالتالي مضطرة للزواج من أحد اقربائها لأبيها وإن كان هذا القريب

¹ -المرجع السابق ، ص78.

² -المرجع نفسه ، ص 75.

³ -المرجع نفسه، ص ص 47-48.

متزوجا حق له أن يطلق زوجته بشرط أن يؤمن لها زوجا آخر وبالتالي قد نزلت المرأة من درجات الاستغلال ما يكفي لتنشيو كوسيلة للحفاظ على الميراث.¹

فكل هذا لا يصب في قالب المساواة أو دلوه ليصبح أثقل بل بالعكس من ذلك ناهيك عما كان أفلاطون يخاطب به خطابا مباشرا، حيث قال: سنكون على حق لو جنبنا عظماء الرجال ذلك العويل والنحيب وتركناه للنساء²

ويضيف قائلا: فلن ندع أولئك الذين نعنى بهم ونعمل على غرس الفضيلة في نفوسهم والذين هم قبل كل شيء رجال لن ندعهم يحاكون امرأة شابة أو مسنة تعنف زوجها، أو تتناول على الآلهة غرورا بنفسها وتندب حظها العاثر أو تستسلم للعويل والنحيب ولا جدال أننا لن ندعهم يحاكونها وهي مريضة أو هي تنجب طفلا.³ وهذا ما كان يكرره، ويشدد اللهجة في افتتاح حديثه عن الحراس ولم يكتفي بالفصل بين الرجل والمرأة وإعلاء الرجل وترفعه عنها فقط بل يذهب أفلاطون إلى أبعد من ذلك إذ ينزلها إلى مرتبة العبيد حيث يقول صراحة: كذلك لا ينبغي أن يحاكي العبيد ذكورا أو إناثا في أحوال عبوديتهم ثم يضيف ومحال أن يحاكو أشرار الناس وجبنائهم ولا المجانين في أفعالهم ولا في أقوالهم.⁴

إن الصفات المحلية كانت ذكورية والصفات المنبوذة بالضرورة صفات أنثوية فمثلا كلمة الشجاعة اليونانية تعني حرفيا الرجولة.⁵

ولا يكتفي بهذا فقط أفلاطون بل ومن البداية في خلق المرأة، يروي في نهاية حياته وبالتحديد في محاورة "طيمائوس" كيف خلقت المرأة ويشير إلى أنه هناك جنسان الجنس الأسمى ونسميه "الرجل" أما المرأة فهي ذلك الرجل الذي فشل في حياته واستعبده شهواته وعاش شريرا ورذيلا فيعيش حياته الثانية "امرأة" وإذا واصل على ذلك المنوال تحول في حياته الثالثة إلى حيوان مع العلم أن أفلاطون لم يتزوج ولم يعرف له ميل للنساء إطلاقا سوى سافو Sappho الذي كان يمدحها وهي شاعرة أجنبية قل ما يقال أنها مسترجلة بالنظر إلى شعرها إذ لا تجد فيه بيتا واحدا تمتدح فيه زوجها بالنظر لما كتبتة من غزل في الفتيات والرفيقات.⁶

¹-إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، ص ص 97-101.

²- نقلا عن المرجع نفسه، ص 61.

³-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴-المرجع نفسه، ص 63.

⁵-المرجع نفسه، ص 61.

⁶-المرجع نفسه، ص ص 120-123.

ومن هنا تكون المواضع التي أقر فيها التفاوت بين المرأة والرجل من التي تمت فيها المساواة بين الجنسين لدى أفلاطون ليعود فيما بعد ويغير الكثير من الأمور في محاوره القوانين وبالتحديد "الدولة الفاضلة الثانية" كما سماها الكثير من المفكرين.

ولكن في محاوره القوانين، يرجع أفلاطون الملكية في قوله: دعهم يقسمون الأرض والمنازل فيها بينهم ولا تكون مشتركة لأن شيئاً كهذا لا يتاح لأناس ولدوا في ظل النظام الحالي وتلقوا التدريب والتعليم بالطرق القائمة.¹ بحيث أن أفلاطون تحدث بإطناب عن تربية الروح والجسد أما الروح فكان غذاؤها الموسيقى والفنون والأدب والجسم كان غذاؤه الرياضة فلما كان التساوي بين الجنسين ذكورا وإناثا قائما في الجمهورية قد تراجع أفلاطون عن الكثير مما سبق فأصبح الاختلاط في التعليم جائزا حتى سن السادس والقيام بالتدريبات دون ارتداء الملابس حتى سن الثالث عشر مع حرية الاختيار وعدم الإكراه على اعتبار أن المرأة مجالها المنزل وإن أرادة المساواة مع الرجل فعليها الاسترجال.²

وبعودة الملكية الخاصة كان من الضروري عودة الأسرة أيضا وكذلك عودة المرأة لوظيفتها الطبيعية، مع عودة القداسة للزوج من خلال ظهور الميثولوجيا اليونانية والآلهة هيرا في نصوص أفلاطون وبالتالي انتهاء شيوعية النساء مع فرض العقاب على العزاب والفاشلين في الزواج وأصحاب المهر الغالي إلا أن الزواج هنا حمل طابع الواجب والإلزام فيما يخص الدولة والأسرة لا غير.³

ثم يحدثنا أفلاطون عن وظيفة المرأة قائلا: سيكون التعيين في الوظائف الرسمية هو سن الأربعين للمرأة والثلاثين للرجل.⁴

والوظائف الرسمية للمرأة تشتمل على مجموع العجائز للإشراف على الزواج هذا ما اقتصر عليه دور المرأة ولم يتم إشراكها حتى في أبسط الوظائف في الدولة دون الحديث عن الزواج حيث لا أثر لها في الحياة السياسية ولا في الحكم وإدارة شؤون الدولة كما زعم في الجمهورية "حراس" لتعود فقط إلى وظيفتها السابقة "ربة بيت".⁵

فإذا اعتبرنا أن أفلاطون قد كان نصيرا للمرأة في وقت ما "الجمهورية" فقد كان جل كلامه حبرا على ورق مقارنة بما شهدته المرأة إذ بالرغم من تدريبها في وقت ما جنب إلى جنب مع الرجل وتلقي كل منهما نفس التعليم والتدريب إلا أنها وصفت بالعجز وعدم القدرة على الحكم وعزلت عن أبسط الأدوار السياسية وهذا ما تجلّى في

¹ - نقلا عن، المرجع السابق، ص ص 83-84.

² - المرجع نفسه، ص ص 91-93.

³ - المرجع نفسه، ص ص 87-88.

⁴ - نقلا عن، المرجع نفسه، ص 89.

⁵ - المرجع نفسه، ص ص 90-91.

"الدولة الفاضلة الثانية" من خلال محاورة القوانين" كما أن أفلاطون تحدث بإطناب عن الحب وذلك في محاورتي المأدبة وفيايدرس ويذهب إلى أن حب النساء أمر مستنكر كرهه وأن الحب يجب أن يتجه نحو الروح لا نحو الجسد وهذا ما يتفق مع نسقه الميتافيزيقي أي ما يشبه التسامي في الحب أو الحب العذري أو العفيف وللأسف كان عنده الحب هو إعلاء للواط أي حب الغلمان روحيا لأنه قد نحا عن الجنسية المثلية في فترات متقدمة وذلك في محاورة "القوانين" كما أن حب الرجل للمرأة نابع من علاقة حسية لا يمكن الترفع عنها وهذا ما يتناقى مع نسق أفلاطون المثالي "الجدل الصاعد"، أي الانطلاق من حب الجسد نحو حب الروح.¹

إذن ما يمكن قوله هو: إن أفلاطون في حديثه عن المرأة لم يكن منشغلا لقضية في حد ذاتها أو بعبارة أخرى لم تكن قضيته الأساسية هي قضية تحرير المرأة من تهميشها أو تهميش المجتمع لها أو تحليلها من عبودية الرجل بل كان شغله الشاغل هو كيفية الاستفادة من المرأة داخل البناء السياسي والاجتماعي للدولة بأقصى قدر ممكن.² ومن هذا المنطلق لا يمكننا أن نعتبر أفلاطون كنصير للمرأة أو حتى أنه حاول تحريرها أو على الأقل مساواتها مع الرجل حيث يقول هيجل: إن الفلسفة هي عصرها ملخصة في الفكر وكما أننا من الحمق أن نتصور إمكان تخطي الفرد لزمانه.³

وبالتالي فإنه حتما كان تجلي الإيديولوجيا والميثولوجيا اليونانية في فلسفة أفلاطون عن المرأة وعدم خروجه عنها بل محاولة مسايرتها على الأقل، ويقول ولديورنت: "قد اختفت النساء المتزوجات من تاريخ اليونان بين يوم وليلة وكأن الأقدار قد أرادت أن تدحض حجة القائلين بأن ثمة ارتباط بين مستوى الحضارات في بلد ما ومركز المرأة فيه".⁴

فإنه وبالرغم مما كان عليه اليونان من تقديم فكري إلا أننا اقتنعنا من خلال ما سبق بأن المرأة ظلت في حضيض هذه الحضارة إلى الزاخرة.

5. المرأة في فكر أرسطو:

نتقل بعد أفلاطون إلى قطب آخر من أقطاب الفلسفة والحضارة اليونانية وهو أرسطو باعتبار هذه الأخيرة قاعدة مرجعية لمختلف الفلسفات والأفكار الغربية "المعجزة اليونانية"، تقول سوزان بل: "إن الصورة التي رسمها

¹- المرجع السابق، ص ص 11-112.

²- مصطفى النشار، مكانة المرأة في فلسفة أفلاطون، ص 87.

³- نقلا عن، إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، ص 16.

⁴- نقلا عن، ول ديورانت، قصة الحضارة، مج 7، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 117.

أرسطو للمرأة بالغة الأهمية وذات أثر هائل فقد ترسبت في أعماق الثقافة الغربية وأصبحت هي الهادي والمرشد عن النساء بصفة عامة".¹

تزوج أرسطو مرتين الأولى من بيثيا وعلى ما يبدو أنه كان سعيدا معها ذلك أنها أنجبت له ابنة سماها بنفس اسم والدتها كما أنه أوصى بدفن رفاة زوجته في قبره أما الثانية فهي هيريليس وهي التي أنجبت له ابنه نيوقماخوس الذي أهدها كتاب الأخلاق والتي أوصى بها خيرا قبل مماته أيضا، فمن الملاحظ أنه كان وفيا جدا ومخلصا لكلاهما إلا أنه لا يجب إنكار أنه كان متشبثا بعباداته وتقاليده الأثينية إذا ما نظرنا إلى الوصايا التي قدمها بخصوص ابنته فقد اشترط زواجها ب نيكاتور دون الالتفات لرغبتها مع العلم أن المرأة الوحيدة التي عرفها أرسطو خارج الزواج هي أولمبياس والدة الاسكندر.²

5.1- المرأة والهيراركية الأرسطية:

إن نظرة أرسطو للكون هي نظرة هيراركية أو جدلية تصاعدية انطلاقا من الجماد فالنبات فالحيوان ثم الإنسان فالأجرام السماوية والآلهة وكل ما هو أدنى يخدم ما هو أعلى منه وينطبق هذا على النفس أيضا.³ ويقول أرسطو في ذات السياق: في استطاعتنا أن نقول إن النبات موجود لصالح الحيوان لكن الحيوان أيضا موجود لصالح الإنسان فالحيوانات المستأنسة موجودة لتأمين غذائه أما الحيوانات البرية فهي موجودة من أجل كسائه أو لكي يتخذ منها كأدوات متنوعة فإذا كانت الطبيعة لا تفعل شيئا باطلا أولا شيئا ناقصا فلا بد أن نستدل من ذلك أنها أوجدت كل شيء لصالح الإنسان.⁴

وبما أن النسق الأرسطي يسير وفق هيراركية فإنه هنالك هيراركية اجتماعية أيضا، بين الشعوب فمنها ما هو أعلى مثل الإغريق وما هو أدنى مثل البرابرة لينتقل إلى السيد والعبد وبعدها ليطبق أرسطو هذه الهيراركية على المرأة والرجل مع العلم أن الطبيعة هي من أوجدت هذه الهيراركية السياسية والاجتماعية لذا فإن هذا المبدأ الذي يكرس للمساواة ليس من اختراع البشر بل يسري في جميع الموجودات حتى يضيق ليشمل النفس والمبدأ أو العقل والشهوة في الفرد الواحد.⁵

¹ - نقلا: عن إمام عبد الفتاح إمام، أرسطو والمرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص 9.

² - المرجع نفسه، ص ص 11-14.

³ - المرجع نفسه، ص ص 24-25.

⁴ - المرجع نفسه، ص 29.

⁵ - المرجع نفسه، ص ص 30-31.

5.ب- دونية المرأة حسب الوظيفة:

فالطبيعة التي لا تفعل شيئا باطلا أو عبثا هي التي رتبت الموجودات على هذا النحو وهي التي حددت لكل موجود وظيفته التي يخدم بها الموجود الأعلى منه وهكذا كان النساء بالطبيعة أدنى من الرجال وكانت وظيفتهن خدمة الرجال ولهذا كان من الطبيعي أن يحكم الرجال وكل هذه الوظائف والأوضاع والمراتب بالطبيعة لا بالعرف ولا بالعادات ولا بالتقاليد.¹

ويدعم طرحه بقوله في كتاب "السياسة" كل شيء يستمد تعريفه من وظيفته وقدرته على تأديتها وينتج عن ذلك أنه ما لم تكن الأشياء قادرة على تأدية وظيفتها فلا ينبغي علينا أن نقول لا تزال هي نفسها الأشياء.² وقد عمد أرسطو إلى استعمال هذه الحجة بغرض نفي التواضع عنها أو إبداعها وإنما إقرار أن دونية المرأة فطري طبيعي لا دخل للإنسان فيه.

5.ج- دونية المرأة حسب البيولوجيا:

وهذا ما لم يتطرق له أفلاطون إذ أنه يتنافى مع فلسفته الميتافيزيقية المثالية فحسب أرسطو كل شيء في الوجود يتألف من مادة وصورة يقصد بالمادة "الهيولة" أو المادة الأولية الخام، والصورة هي الشكل أو القالب وتعد الصورة أهم من المادة فإذا طغت الثانية صعد الموجود في سلم الوجود والعكس بالعكس، وكلما ارتفعنا إلى الحاسة لنصل إلى قمة الهرم أي النفس العاقلة أي الإنسان على اتم صورة.³

ولقد كان اهتمام أرسطو بالبيولوجيا بمثابة الحتمية ذلك أن أبوه نيتوماخوس من أسرة توارثت الاشتغال بالطب لذلك حاول تطبيق مبادئه على البيولوجيا ودعم نظريته عن المرأة فقسم البيولوجيا إلى ثلاث أقسام رئيسية:

1. مشكلة الحركة Mouvement.

2. مشكلة الإحساس Sensation.

3. و مشكلة الإنجاب أو التوالد Reproduction protection.

هذه الأخيرة التي تعد أساس لما سبقها حيث يرى بأن الإنجاب يتم عبر طرق ثلاث:

1. الإنجاب أو التوالد التلقائي Spontaneous génération.

2. الإنجاب عن طريق والد واحد Génération from a single parent.

3. الإنجاب عن طريق والدين Generation from two parent.

¹-المرجع السابق ، ص 32.

²-المرجع نفسه، ص 33.

³-المرجع نفسه، ص ص 37-38.

ولقد كان النوع الأول سيطر في ذلك العصر والثاني يظن أرسطو أنه يتم عند النبات والحيوانات الساكنة غير الحركية أما ما يهمننا وما قد أطنب فيه هو النوع الثالث والذي يخدم نظريته عن المرأة حيث كان يرى أن هدف الإنجاب أو التوالد هو المشاركة في الأزلي أو الإلهي أي المحافظة على النقاء والنوع.¹

ويوضح ذلك بحديثه عن دور الذكر والأنثى أو كل منهما في علمية الإنجاب إذ يقدم في كتابه "توالد الحيوان" تعريف للذكر والأنثى على النحو التالي "يختلف الذكر عن الأنثى في تعريفه لما له من ملكات خاصة، فنحن نعني بالذكر ذلك الذي ينسل في الآخر، ونعني بالأنثى تلك التي تنسل من داخل ذاتها بحيث يخرج النسل من باطنها، وهو النسل الذي كان موجودا في الناسل من قبل."²

ونفهم من هذا الكلام أن الذكر يلعب كافة الأدوار الإيجابية في مقابل الدور السلبي للأنثى فالنسل ينطلق منه وهو موجود فيه سابقا لتصبح الأنثى مجرد وعاء لا غير، ذلك أنه يجعل من الذكر الصورة وهو الإيجابي Active بما أنه يقدم الحيوانات المنوية ويقوم بالحركة، ويعتبر الأنثى هي المادة أي سلبية Passive بما أن دورها يقتصر على تقديم "سائل الطمث" وتقع عليه الحركة.³

ليكون بالتالي الرجل أرفع والمرأة أدنى كالعادة ويقول أرسطو في هذا إن الذكر هو المبدأ والعللة من حيث طبيعته وذاتها إن الذكر ذكر بفضل قدرته الخاصة وأن الأنثى أنثى بسبب عجزها.⁴

كما أن الذكر مسؤول عن عملية الإنجاب كالتناسل ناهيك على أن قدرته هي المحددة لجنس الجنين، فعندما يكون الجنين ذكر فإن هذه الميزة تعود إلى الأب الذي استطاع "بالصورة" أو "الروح" التي يبعث بها عبر الحيوانات المنوية أن تتغلب عن الأنثى أما إذا كان الجنين أنثى فإن هذه "السقطة"، تعود إلى الأم التي لم تمزج دماء الطمث جيدا ولم تعده إعدادا حسنا لتطبع عليه الصورة، وهي نفس الفكرة الموجودة عند العامة حتى الآن.⁵

وقد وصف إنجاب الإناث هنا بـ "السقطة" ما يبرز النظرة الدونية للمرأة آنذاك وفي فلسفته بالتحديد ناهيك على أنه جعل إنجاب الذكور فخر الرجل وفضلا له أما إنجاب الإناث فبالعكس تماما فيعود للأم التي لم تمزج دماء الطمث جيدا؟؟ ويقول أرسطو في هرقل: لقد أنجب هرقل ابنة واحدة فحسب وسط ذرية بلغت اثنين وسبعين طفلا.⁶

¹-المرجع السابق، ص ص 43-48.

²-المرجع نفسه، ص 49.

³-المرجع نفسه، ص 52.

⁴-المرجع نفسه، ص 53.

⁵-المرجع نفسه، ص 61.

⁶- نقلا عن، المرجع نفسه، ص 58.

ونجد هذا غير منطقياً علمياً فمنطق العلمي يقول: الرجل وحده مسؤول عن تحديد نوع الجنين لأن المرأة لديها استعداد لإنجاب الذكر والأنثى على حد سواء ذلك أن صبغيات الأنثى متماثلة ويرمز لها بالحرفين (XX) لكنها عند الذكر مختلفة الشكل والحجم والتركيب ويرمز لها بالحرفين (XY).¹

ناهيك على أن أرسطو اعتبر داء الصلع لا يصيب النساء كما أنه لم يعطي الخصية وظيفة، وقوله بأن الأنثى هي ذكر بلا أعضاء وأن أسنانها أقل عدداً من أسنان الرجل.²

وكل هذا يجعل من نظريته البيولوجية هشة والدونية النسوية عنده عامة هشة جداً يمكن كسرها حيث يقول راسل: إن أرسطو لم يكن من الممكن أن يرتكب أبداً مثل هذا الخطأ لو أنه طلب من زوجته أن تفتح فمها لحظة واحدة.³

5.د- الدولة والأخلاق والسياسة وموقع المرأة منها:

يقول أرسطو في كتابه السياسة: جنس الذكر أصلع للرئاسة من جنس الأنثى ومن ثم فتسلط الرجل على النساء مسألة طبيعية جداً.⁴

ليفصل فيما بعد منظور الدولة عنده والأخلاق التي تخص الذكر والأنثى وكل منهما لفهم بعدها لما المرأة لا تصلح للسياسة؟. السياسة عند أرسطو هي علة السعادة الاجتماعية كما أن الأخلاق هي علة السعادة الفردية وتعد الأسرة أول صور التجمع البشري وهي عديدة مثل العشائر والقرى لتنتهي بالجزء الذي يخدم الكل وهو الدولة فكل أجزاء الشجرة تخدم الثمرة لتسمى الشجرة باسم ثمرتها كذلك بالنسبة للدولة وهي أيضاً هيراركية أخرى.⁵

وهذا التسلسل يبدو واضحاً في هذا الضرب من التجمع البشري الذي هو الدولة وكما سبق أن رأينا فلا مساواة في الطبيعة كل مراتب دونها مراتب وتعلوها أخرى وتلك هي الحال هنا أيضاً وبالتالي يخطئ من يظن أن الناس سواسية وأنه يتساوى في ذلك رجل الدولة أو الملك ورب البيت والسيد والعبد والمرأة والرجل.⁶

¹-المرجع السابق، ص 61.

²-المرجع نفسه، ص 68.

³-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴-المرجع نفسه، ص 69.

⁵-المرجع نفسه، ص ص 72-73.

⁶-المرجع نفسه، ص 73.

ومن ما سبق ذكره يمكننا أن نفهم أن الناس لا يختلفون كيفاً كأساس لتفريق هنا وإنما الأساس هو العدد الذي يتعامل مع الشخص الواحد من الأشخاص فمثلاً المرأة تعامل سوى مع زوجها وزوجها يتعامل مع من خارج المنزل والعبد يتعامل سوى سيده أما سيده فيعامل أناس آخرين وهكذا إلى بلوغ قمة الهرم عند رجل الدولة. ويعتبر أرسطو المرأة في مرتبة وسط بين الرجل اليوناني الحر والعبد لذلك عزلها واستبعدتها تماماً عن الجانب السياسي وكذلك التقافي ذلك أنها وبالطبيعة الهيراركية "لا يمكنها ممارسة فضائل الرجل بل لها فضائلها الخاصة".¹ وما يرمي إليه أرسطو من كلامه هو أن السياسة خاصة وفضيلة تخص الرجال ولا تليق بالمرأة ولما كان السياسة Politice من الكلام والبرلمان Parlement كذلك فإنه يقول: الصمت هو تاج المرأة وزينتها لكن ليس كذلك بالنسبة للرجل.²

فإذا كانت فضيلة الرجل السياسة الكلام فإن فضيلة المرأة هي الصمت ما يجعل ممارستها للسياسة استرجال يفقدها أنوثتها إذ يقول أرسطو: ليس من المناسب أن تتحلى المرأة بفضائل الرجل. ويضيف قائل: ما يصدر عن الرجال أنبل مما يصدر عن النساء.³ وبالتالي فإنه هنالك أخلاق خاصة بالمرأة وأخرى بالرجل ولا يمكن أن يرتد أحدهما إلى الآخر أو يتحلى بأخلاق الآخر ذلك أنه "هنالك شجاعة الرئيس أو الحاكم، وهناك شجاعة العبد أو الخادم وهناك شجاعة المرأة... الخ، ولا بد أن يعد الرجل جباناً إذ لم يكن لديه من الشجاعة إلا ما لدى المرأة، كما أن المرأة تعتبر ثرثرة إن لم يكن لديها من التحفظ إلا بمقدار ما يجب أن يكون الرجل الذي يعرف السلوك في الحياة وعلى ذلك ففي الأسرة تختلف وظائف الرجل أشد الاختلاف وبالتالي تختلف فضائله عن المرأة وفضائلها.⁴

¹- المرجع السابق، ص 76.

²- المرجع نفسه، ص 69،

³- المرجع نفسه، ص 95.

⁴- المرجع نفسه ، ص 100.

5. هـ- الأسرة وموقع الزوجة:

فلفظ الزوجة كان يعني دامار Damar وجذور هذا اللفظ تعني "التابعة"¹ وانطلاقاً من اللفظ يتجلى المعنى الحقيقي لموقع الزوجة في الأسرة اليونانية حسب أرسطو مع العلم أنه لم يلغى الأسرة واعتبر الزوجة أدنى من الزوج وتابعة له، فالمرأة الفاضلة عند أرسطو التي تكون ربة منزل من الطراز الأول فوجب عليها أن تكون كتومة لأسرار بيتها ضابطة لنفقات بيتها وأن لا تسمح لأحد بدخول المنزل دون علم زوجها الذي وجب عليها طاعته وأن تكون وفية له على العموم.²

ويدعم ذلك بقوله: "إن على الزوجة الممتازة أن تتذكر "الكستيس Alcestis" التي لم تكن لتنال كل هذه الشهرة ولم تكن بنلوب Penelope تستحق كل هذا الثناء أو الإطراء ما لم يكن قد تعرض زوج كل منهما لمحنة كما هو معروف وهكذا حققت متاعب آدميتوس Adnietus وأوليس Ulusses سمعة طيبة لهاتين الزوجتين لن تموت أبداً إلا لأنهما برهنتا في ظروف صعبة وعصيبة على الإخلاص لزوجيهما فأسبغت عليها الآلهة الاحترام الواجب.³

وبالتالي فإن الصبر والجلد على متاعب الأزواج وطاعتهم هو المعيار الأساسي في التفريق بين الزوجة السيئة والممتازة، وفي مقابل ذلك كله كان على الزوج أيضاً حسن اختيار الألفاظ أثناء تأنيبه للزوجة مع تغاضيه عن الزلات والأخطاء غير المعتمدة وأن يكون سيدياً على أفعاله ومرشداً لها⁴. وهكذا يكون رجلاً بتحليله بخصال الرجولة كواجبات اتجاه الزوجة في مقابل صبرها وطاعتها له حتى سن الزواج عند أرسطو من تحديد الطبيعة أي فطري لا دخل للتواضع فيه.

فالمرأة يمكنها تحقيق حياة مستقرة داخل المنزل والرجل يرتبط بالأنشطة خارج المنزل، وفيما يخص تحديد سن الزواج فإن الطبيعة قد حددت من قبل سن العجز عند الذكر بـ 70 سنة وعند الأنثى بـ 50 سنة وبالتالي يجب الرجوع إلى هذا الفارق في الأصل عند اختيار الزوج أو الزوجة فحسب السن الأنسب للزواج هو 37 للرجل، والفتاة هو 18 ولا يجذب الزواج المبكر فهو أشبه بقطف الثمار قبل أوانها وكذا المتأخر لأنهما يؤثران على النسل.⁵

إلا أن ما يعاب على أرسطو هنا هو أنه: اقتصر دور المرأة على الإنجاب الذي يخلو من المتعة الجنسية التي تقوم بها العاهرات والغواني وتربية الأطفال ورعايتهم فلا سيم الذكور منهم والإشراف على الأعمال المنزلية وأداء

¹-المرجع السابق ، ص 97.

²-المرجع نفسه ، ص ص 101-102.

³- نقلاً عن، المرجع نفسه، ص 103.

⁴-المرجع نفسه، ص 104.

⁵-المرجع نفسه، ص ص 79-85.

الواجبات نحو الزوج ثم اتجاه الأبناء والعييد وبالتالي لم يكن لها دور خارج المنزل وخارج الإنجاب للمحافظة على النسل وتحقيق الخلود للذكر فهي وسيلة يستخدمها الذكر لتحقيق غاياته في الحياة وبعد مماته على حد سواء.¹

لتحمل هنا طابع الأداة أو الوسيلة بالمصطلح المختصر لصالح الرجل فقد كان يقول أرسطو: إن الطبيعة التي لا تفعل شيئاً عبثاً هي التي فرضت على الإناث الدونية ذلك أن العنصر اللاعقلي يخضع للعنصر العقلي فالحيوان يخضع للإنسان والعبد يخضع للسيد (الجسد أي اللاعقلي فاق العقلي فيه مؤهل للحمل) والمرأة بانفعالاً تماماً (الشهوات والعواطف لا عقلية" تخضع للرجل).²

ويعتبر أرسطو هذا كأقوى برهان فطري طبيعي ثابت لا دخل للتواضع والذاتية فيه ليؤكد دونية المرأة بل ليصبغها صبغة الأدوات والوسيلة والتسلع في قالب جديد بعد أفلاطون وفي الفكر اليوناني بالتحديد ولكن برهان أرسطو على خضوع النساء لطبيعة الرجال ضعيف أوقعه في تناقض حيث قال: "أو كذلك غلبة مجموعة من الناس على مجموعة أخرى لا تبرهن قط على أن هذه هي الطريقة التي ينبغي أن تكون عليها الأشياء لتكون متفقة مع الطبيعة".³

وبالتالي فإن هذا القول قد لا يجتمع مع سابقه في عقل واحد وكيف ذلك وهو الذي قال المتناقضان في عقل الإنسان لا يجتمعان؟ فقد وقع في تناقض فاضح هنا.

من خلال كل ما قام به أرسطو نخلص إلى أنه تبني نظرة الرجل اليوناني العامي وحاول تبريرها وفق حجج منطقية تناسب نسقه الفلسفي فقد تغاضي عن الكثير من الأمور فكيف أمكنه ذلك؟ أي اتخاذ موقف يقر بدونية المرأة؟ ألم يعرف في حياته Olympias زوجة الالكسندر وكذلك Saopho الشاعرة أو حتى رفيقة بركليز Aspasia التي كان يحضر صالوناتها الأدبية؟ والأخطر من هذا كله هو تداول النظرية فيما بعد بحيث امتدت إلى العصور الوسطى، ففي المسيحية ربط بين المرأة وجسمها والخطيئة واعتبرت رمزا للشهوات ورسولا للشيطان وبوابة جهنم ولا زالت هذه الأفكار تسري حتى يومنا هذا فتارة تحمل طابع اجتماعيا وأخلاقيا وتارة أخرى دينيا، كما أن أرسطو بقوله إن العنصر العقلي عند المرأة جعلها أشبه بكومة من الشهوات والرغبات أو حولها بالأحرى إلى حيوان جنسي محظ وكأنها تقوم بتلك العملية لوحدها حتى أصبح شرف المرأة اليوم مربوطا

¹ - المرجع السابق ، ص 97.

² - المرجع نفسه ، ص 87.

³ - المرجع نفسه، ص 93.

بسلوكها وعلاقتها الجنسية وشرف الرجل مربوطا بنفس العلاقة التي تحظى بها أخته أو أمه أو زوجته متناسين تماما باقي الرذائل كالسرقة والخداع والمكر وغيرها.¹

6. المرأة في الحضارة الرومانية:

تعد الحضارة الرومانية قطب آخر من أقطاب الحضارات الغربية الزاخرة بعد اليونانية كما أنها تعد قاعدة مرجعية هي الأخرى لسيل الأفكار الغربي بما أنها مهد لديانة اليهودية وحميتها إن الدور لم يختلف كثيرا عما كان سائدا عند اليونان حيث أنه هناك ثلاث فئات من السكان مواطنون رومان أحرار ولهم الحقوق والامتيازات الكاملة وأجانب يعدون رعية بلا امتيازات وبدرجة أقل مما سبق عبيد: يعتبرون كملكية خاصة، إلا أن الجانب قد تحولوا إلى مواطنين مع مرور الزمن وبناء على هذا التقسيم ينظر إلى المرأة على أساس أنها جزء من هذا السلم الاجتماعي فهناك مواطنة رومانية حرة وتمثل الزوجة والأم والسيدة وربة المنزل، والمرأة الأجنبية، والجواري.²

وعلى الرغم من تطور وتقدم البلدان الرومانية فقد بقيت المرأة الرومانية ينظر إليها بصورة عامة كما ينظر إلى الرقيق والجواري والفتيان بل كانت أقل من كل هؤلاء احتراما وتقديرا من قبل الأزواج والأقرباء، وقد ظهر الفرق بين الحرائر من النساء والقيان من نسوة الأنديية ودور الملاهي في معاملات كافة البلدان الرومانية لهن.³

ويرى المؤرخون أحداثا كثيرة تدل على الوضع المتدني للمرأة الرومانية على الأقل في عصورها الأولى، فهذا زوج يطرد زوجته من بيته لأنه رآها تتحدث سرا لامرأة كانت جارية واعتقت حديثا، فوفقت الزوجة تتبادل معها الحديث في الطريق العام فارتكبت بذلك جريمة لا تغتفر.⁴ وبالتالي فإن المرأة كانت تعاني في الفترة اليونانية ونفس الأمر عند الرومان يقول كاتو الأكبر -سياسي روماني اشتهر بالتمسك بالتقاليد اليونانية القديمة كان يهاجم الشرف والإسراف والعادات المقتبسة من الإغريق- إذا وجدت زوجتك تزني فإن القانون يتيح لك أن تقتلها بلا محاكمة أما إذا فاجأتك مصادفة وأنت ترتكب هذه الجريمة نفسها فليس لها أن تمسك حتى بأطراف أصابعها، لأن القانون يحرم عليها ذلك.⁵

فحسب قول كاتو القانون الروماني كان يصب في صالح الرجل دائما وأبدا لتظهر جليا دونية المرأة هنا آنذاك فكاتو يعترف بأنها جريمة "الزنا" إلا أنها تعد كذلك في حين قامت بها المرأة وليس الرجل وكأنها تقوم بالفعل لوحدها دون الرجل؟ وقد تعددت الأسباب والنتيجة واحدة تصب في صالح الرجل ما دام القانون يخول له كل

¹ - المرجع السابق ، ص ص 109-113.

² -إمام عبد الفتاح إمام، الفيلسوف والمسيحي المرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص ص 17-18.

³ - باسمه كيبال، تطور المرأة عبر التاريخ، ص ص 39-40.

⁴ -إمام عبد الفتاح إمام، الفيلسوف والمسيحي المرأة، ص 23.

⁵ -المرجع نفسه، ص 23.

شيء ويبيح له كل محذور في حق المرأة، ويرى المؤرخون أحداثا كثيرة تدل على الوضع المتدني للمرأة الرومانية على الأقل في عصورها الأولى، فهذا زوج يطرد زوجته من بيته لأنه رآها تسير في الشارع دون خمار وذلك يطرد زوجته لأنه رآها تتحدث سرا مع امرأة كانت جارية واعتقت حديثا فوقفت الزوجة تتبادل معها الحديث في الطريق العام فارتكبت جريمة لا تغتفر.¹

ولقد كان الرجل في المقابل هو المسيطر على الأسرة بحيث كانت أبوية مطلقة وله كافة الحقوق في التصرف مع أولاده وزوجته ففي مجال الدين تنتقل عقيدة الأسرة "عادات الأجداد"، عبر الذكور أبا عن جد فالمرأة تتخلى عن آلهة الأسرة بمجرد عقد قرانها لتتبع ملة بعلها أما على الصعيد السياسي فقد كان يطلق على وظائف العدالة (وظائف الذكورة) ولم تكن هنالك أي محاولة لإقحام الجنس الآخر في تلك الوظائف، حتى أن الأب يظهر سلطانه منذ البداية فبعيدا عن رغبة الأم يقرر من يعيش ومن يموت من الأبناء وفقا لبيئته (مشوه معوق أو سليم) حتى فيما يخص زواجهم، وميراثهم ومعاقبتهم وكذلك الزوجة.²

فهذا كله دال على سيطرة الرجل في المجتمع اليوناني، ومما بلغت الانتباه بأن المرأة الرومانية كان لها الحق في الخروج للقيام بالزيارات ولمشتريات حاجاتها المنزلية من الأسواق دون أن تتعرض لأي رقابة أو حراسة فهي حرة بأن تتجول في المكان الذي تحتاج إلى أن تتجول فيه لقضاء حاجاتها بشرط أن تأخذ إذنا مسبقا من زوجها إذا كانت متزوجة أو من ولي أمرها إذا كانت عزباء.³

وبالتالي فإن الحرية التي تمتعت بها لم تخرج عن إرادة الرجل وسلطته بالرغم من أنها وفي، النقطة السابقة قد تكون الرومانية أفضل من اليونانية بعض الشيء هنا.

وفيما يروي المؤرخ اليوناني الروماني ليفي Livy الذي عاش في عصر الإمبراطور اغسطس أن أبوسكلودديوس Apius Claudius وهو واحد من نبلاء روما الذين أصدروا قانونا يحرم زواج النبلاء من العامة قد وقع في حب فتاة من العامة اسمها فرجينيا Verginia فحاول جعلها عشيقه بما أن الزواج ممنوع لكن خشية أبوها عليها لأنها صغيرة وفقيرة جعلته يذبحها معلنا أنه إذا كانت ابنته لن تتمكن من العيش بشرف، على الأقل قد وفر لها ميتة شريفة، ما أدى إلى إلغاء القانون وهذا ما يثبت أنه لا مفر للمرأة من الدنيا سوى الرجل ومن الرجل سوى الرجل نفسه، فهو المسيطر سواء كان أبا أم زوجا فالملاحظ هنا أن فرجينيا قد وقعت بين مطرقة الوالد وسندان كلودديوس وفي كلا الحالتين رجل من قرر مصيرها دون مشورتها هي.

¹ - المرجع السابق ، ص 23.

² - المرجع نفسه ، ص ص 28-30.

³ - باسمه الكيال، تطور المرأة عبر التاريخ، ص 3.

وقد ورد في مدونة جونستينان تقرير عن النساء والزواج يقر بأنه ليس للنساء ولاية الأعمال العامة كما أنهم يبقين تحت الوصاية حتى وإن بلغن سن الأهلية كما وجب عليهن الطاعة التامة لأزواجهن ودونية المرأة في القوانين فالأنشطة في روما كانت تحمل صفة الذكورية أما الوصاية فكانت نتيجة للزواج المبكر للفتيات وقد كان في سن الثانية عشر سنة، فبالرغم من أن المرأة كانت تتلقى التعليم على حد سواء مع شقيقتها والزوجة تتناول الطعام مع زوجها إلا أنه كانت تخضع خضوعاً تاماً للرجل فهي تنتقل من وصاية أبيها إلى وصاية زوجها وكان هنالك نوعان من الزواج، الزواج بوضع اليد cummanu أو بدون تسليم sinmanu فالأول يمثل وضع العروس وما تملك تحت تصرف الزوج والثاني تمثل فيه تحت تصرف والدها وكانت بعد الزواج تقوم بتدبير المنزل وإدارته كالإشراف على العبيد وتمريضهم والغزل والنسيج والحياكة وتربية الأولاد.¹

فلم يظهر في الحديث السابق أي من المجالات السياسة أو الاجتماعية منها فاقصر الحديث عن الزواج والوظائف المنزلية لا غير.

إلا أن المرأة لم تكن واقفة مكتوفة الأيدي بل كانت تحاول مراراً التخلص من سلطة الرجل ففي عام 331 ق. م انتشر مرض غريب مجهول إلا أن أعراضه واحدة عند الجميع وقد قضى على الكثير من النبلاء ورجال الدولة لتقرر في الأخير امرأة أن سبب المرض هو مزج الزوجات للخمر مع سم قاتل، وكذلك حدث بعدها حادثة مشابهة سنة 180 ق م اغتتمت النساء فرصة انتشار الطاعون آنذاك واستخدمت السم، وبعدها بـ 36 سنة قتل شخصان في مرتبة قنصل بالطريقة السابقة الذكر وفي هذه الحوادث كلها إشارة إلى تمرد النساء وبخثهم عن الحرية قاب قوسي الاضطهاد الذكوري آنذاك.²

فإن بحث المرأة عن نفسها وسط المجتمع ووسط السيطرة الذكورية وبخثها عن المساواة والحرية لم يكن وليد العصر الحديث أو المعاصر فهو متجذر بتجذر الأزمة في التاريخ ما يجعلنا نقول أن النساء في مطلع الحضارة الرومانية أعظم احتراماً منهم في اليونان ولكن ككل الشعوب العسكرية لم يكن من مجال للمرأة فيها إلا الحمل والولادة لأكثر عدد من الأطفال.³

¹ -إمام عبد الفتاح إمام، الفيلسوف والمسيحي المرأة، ص ص 18-22.

² -المرجع نفسه، ص 26.

³ - يسرى الأيوبي، المرأة عبر الزمن، ج1، <http://albizri.com/yusra/Women/WOMEN1.pdf>، ص 107.

فبالرغم من الاحترام الذي حظيت به نساء الرومان مع أنه ليس بشيء كبير يذكر، إلا أن ما يهمنا نحن هنا هو المساواة والحرية الذين غالبا طابع الأسرة الأبوية آنذاك إذ تكاد سلطة الأب في هذه الأسرة أن تكون سلطة مطلقة من كل القيود كأنها الأسرة قد انضمت لتكون وحدة عسكرية من جيش في حرب دائمة¹.

وبذلك يكون الاحترام هو الآخر لا يحمل في طياته هدفا نبيلًا يدعو إلى الحرية أو المساواة مثلا بل هو احترام ناجم عن نظرة براغماتية نفعية باعتبار أن المرأة هي المورد الوحيد للمادة الأولية "الإنجاب" التي تقوم عليها الدولة فقط لا غير.

المبحث الثاني: المرأة في الديانات السماوية:

لطالما كانت الديانات السماوية وكتبها مرجعا آخر بجانب أو بالإضافة للموروث الثقافي والحضاري باعتبار أن كل حضارة كانت تدين بديانة أو عقيدة معينة تعتنقها هذا إذا ما اعتبرنا أن الدين هو في حد ذاته دين، وقد عمدنا إلى الولوج إلى خبايا الموروث الميثولوجي بعد حديثنا عن الموروث الإيديولوجي ليكون بحثنا مستندا إلى العقل والنقل معا وإلى المعرفة والإيمان أو إلى البرهان والبيان أو الحكمة والشريعة هذه الأخيرة التي عبر ثلاث آلاف عام كانت مرجعا رئيسيا للتاريخ المعقد، وبالتالي فإن نظرتنا هنا نظرة شمولية لا تقتصر على جانب واحد في المعالجة التحليلية النقدية لموضوع الجندر وتتبع كرونولوجيا الفكر النسوي، ولنساير التعاقب الزمني للديانات وجب أن نتطرق إلى الديانة اليهودية التي سبقت كلا من المسيحية والإسلام لفهم من خلال الثلاثة هل كان للنقل أثر إيجابي على الفكري النسوي أو بالأحرى هل كانت الديانات نصيرة للمرأة بعدما فقدت حقوقها في مختلفة الحضارات أم أنها زادت الطين بلة؟.

1. المرأة في الديانة اليهودية:

ونستقي في هذا الشأن مختلف الأحكام من ما ورد عن العبرانية في أسفار العهد القديم والتورات حيث يعتبر اليهود المرأة لعنة استنادا لما ورد في توراتهم وترى بعض الطوائف اليهودية التي اعتبرت المرأة دون مرتبة أخيها مكانة في الحياة الاجتماعية بحيث ليس في مقدورها أن ترث إذا كان لها أخوة ذكور وقد أعطت الحكمة اليهودية الأب الحق في بيع ابنته القاصر. وأما إذا كان الميراث يؤول إليها في حالة وجود أخ ذكر لها فقد حال القانون اليهودي بينها وبين الزواج من سبط آخر لذا لا يجوز لها نقل ميراثها لغير سبطها هذا إذا كانت عزباء.²

¹ - المرجع السابق، ص 107.

² - باسمه كبال، المرأة عبر التاريخ، ص 46.

فحق الميراث كان فيه نوع من التعسف في حق المرأة لصالح الرجل بالرغم من أنها في هذه النقطة كانت أفضل مما كانت عليه عند اليونان والرومان سابقا، وتعد المرأة اليهودية لعنة من طرف الإله وهي سبب موت الرجال وسبب خطاياهم وقد اعتمدت اليهودية على النظام الأبوي منذ القديم كأسر إبراهيم واسحاق ويعقوب لكن على غير عادة فقد كان الآباء يولون اهتماما بالغا للأبناء فيما كان الآباء يحترمون ويوقرون الآباء ما جعل التماسك يشيع في المجتمع العبري.¹

وفي ذلك تكريس واضح لسلطة الذكورية وتهميش للنسوية، ولأحكام السيطرة على النساء ولضمان مسلكهن وضعتهن الشريعة اليهودية تحت ولاية الذكور من أهلهن فالفتاة في مطلع حياتها ملك أبيها، يحق له إنكاحها لمن شاء لقاء أن يقوم العريس بخدمته وقد خدم يعقوب عند خاله "لابان" سبع سنوات ليتزوج من ابنته الكبرى "ليئة" رغم أنه كان يحب الصغرى ثم سبع سنوات أخرى ليتزوج من حبيبة قلبه "راحيل".²

ولم يتوقف الأمر بعد الولاية عليهم عند إنكاحهن دون مشورتهم بل ذهب إلى أبعد ذلك أي بيعهن، إذا باع الرجل ابنته أمة فلا تخرج كما يخرج العبد (سفر الخروج) وإذا كان يمكن للأب أن يبيع ابنته كما جاء في سفر الخروج فإن عليه أن يهتم بالبركة لأن ثمن البكر أضعف ثمن الثيب ومن هنا فقد حرص اليهود حرصا تاما على عذرية بناتهم واشتدوا في معاقبة زنى النساء دون الرجال فالمرأة هي موضع التعاقد في النكاح وليس أحد طرفيه حتى إذا انتقلت إلى دار زوجها آلت ولايتها إليه وصارت في عدد ممتلكاته كالدار والعبد والمال.³

وكل هذا قد لا يختلف كثيرا عما كان في روما ولو أخذنا بقصة فرجينيا لانطبقت على ما هو واقع هنا إذ أن المرأة ما دامت موضع للعقد وقابلة للبيع قد أصبحت وسيلة فقط وبالتالي لم يتغير الحال مع اليهود عما قبلهم فقد ساروا بنظام أبوي، فالبيت اليهودي يتكون من المرأة والعبيد والجواري والثور والحمار وغيرها، يسمى الرجل "بعل" [Baal أ] السيد ونخاطبه زوجته بـ "سيدي" بحكم الأسرة الأب ويسمى "روش" وله الحق في بيع ابنته أمة إن شاء كما له الحق في حرق زوجة ابنه إن زنت "تركة" ويحق له أيضا تقرير حياة أو موت الأبناء بتقديمهم قربانا للرب، وكانت تقام أيضا الأفراح إن كان المولود ذكرا أما إذا كانت أنثى فيختلف الأمر تماما.⁴

¹-المرجع السابق، ص 48.

²-إمام عبد الفتاح إمام، الفيلسوف والمسيحي المرأة، ص 36.

³-المرجع نفسه، ص 36-37.

⁴-المرجع نفسه، ص 33-34.

ما يجعلنا نقر بأن الأمر لم يختلف كثيرا عما كان سائدا في المجتمعين الروماني واليوناني من قبل وفي سفر مهبؤوت جادول جاء كما يلي: "يجلد الزاني يهودية غير متزوجة أما من زنى بيهودية متزوجة وبوثنية فجزاؤه القتل..."¹.

فلم تختلف كثيرا الديانات في حكمها على الزاني بين اليهودية والمسيحية والإسلام وعلى العموم تظهر النساء مستعبדות في العهد القديم غير مستقلات ذلك بالرغم من أنها لم تنزل منزلة الرق إلا أن خطابها مع زوجها أشبه بخطاب العبد لسيدته (عمودي) انطلاقا من إجابة زوجها عند دعوته لها لفراشه فإن رفضت كانت ناشزا تطبق عليها أحكام النشوز، كما فرضت عليها تغطية شعرها وحجبه كدليل على أنها ملكية خاصة، فيما ذهب البعض إلى أبعد من ذلك أي تغطية كامل الجسد سوى ثقب واحد ترى من خلاله الطريق "الملاءة" كما استحدثوا حجابا ساترا فاصلا بي الجنسين في المعابد وحرموا مصافحة الرجال للنساء، واعتبروا صوتهن عورة ومنع من صعود المنصة في المعابد وتلاوة التورات بصوت مرتفع.²

ومن هنا فإننا نجد زوجة الرجل اليهودي تصنف في الوصايا العشر ممتلكاته "لا تشتت بيت قريبك ولا تشتت امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيء مما لقريبك" سفر الخروج، ص 117. وفي تثنية الاشرع "لا تشتت امرأة قريبا ولا تشتت بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك".³

والفهم هنا يكون صعبا متشعبا ما بين إما محاولة الحفاظ على المرأة أو الحد من حريتها لذا لا يمكننا الاستقرار على رأي إن كان هذا تعسفا أم لا، إلا أنه هناك مواضع أخرى يظهر فيها التعسف جليا فمثلا: الطلاق حق يتميز به الزوج دون الزوجة وله في ذلك متى شاء وإن كان السبب دون إبراز الدوافع أو حتى طردها من بيته لأنه ملكه وهي مملوكة فيه ولا يمكنها رفض ما سبق إذ لا يحق لها ذلك وإن انحرف سلوكها وارتكبت إثما فتعاقب عقابا عسيرا فيما أن الزوج لا يعاقب إلا إذا كان قد انتهك حرمة رجل آخر... كان يمارس الزنى مع امرأة متزوجة أو يتخذ منها خلية⁴. فالرجل اليهودي يصلي في صلاة الصبح داعيا وشاكر الله: أحمدك يا رب أنك لم تخلقني امرأة" أما المرأة اليهودية فكانت تصلي مستسلمة "أحمدك يا رب لأنك خلقتني كما تريد..."⁵.

¹ - باسمه كيال، المرأة عبر التاريخ، ص 47.

² - إمام عبد الفتاح إمام، الفيلسوف والمسيحي المرأة، ص 33-36.

³ - المرجع نفسه، ص 37.

⁴ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ - المرجع نفسه، ص 34.

ومن هنا تتجلى سلطة الذكورة ودونية المرأة في المجتمع اليهودي ناهيك عما ورد في الإصحاح كدلائل قاطعة عن مركزية الرجل فمثلا ومما ورد: "لا يكون متاع الرجل على المرأة ولا يلبس رجل ثوب المرأة لأن كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب إلهك" الإصحاح الثاني والعشرون¹. ويبدو أن الآية هنا أنت فاصلة للذكورة عن الأنوثة من الوهلة الأولى أما إذا تمعنا الخطاب فقد حمل صفة النهي وهو موجه للذكر وليس الأنثى أي أن الذكر منهي عن مكاسب الأنثى ما يقودنا لتصور رفعته في مقابل دونية المرأة، ويقول صاحب سفر الإجمال "الجامعة": وجدت أمر من الموت "المرأة" التي هي شبك وقلبها شراك ويدها قيود الصالح قدام الله ينجوا منها، أما الخاطيء فيؤخذ بها.²

هذا ما يجعلنا نتأكد فعلا أن المرأة كانت تعاني في اليهودية قد لا يكون نتيجة للنقل بل للتأويلات المختلفة التي سدّجته وهذا بالرغم مما ورد في "سفر التكوين" من دعوة للمساواة بين الجنسين. ومما جاء في سفر التكوين إصحاح أول عدد 27-28 ما يلي:

"فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكر وأنثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم اثمورا وأكثروا واملؤوا الأرض واخضعوها وتسلبوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض". وفي العدد 64" من سفر التكوين لذلك يترك الرجل أباه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا".³

فمن المستحيل أن يكون النقل أو الكتاب المقدس يحمل تناقضا فاضحا كهذا وإن كان كذلك فلا مناص إلا أننا نعتبر التأويل للنصوص الدينية "الحاخامات" هو الذي تسبب في ذلك، وبالتالي فإن ما يمكن قوله هو أن الاختلاف بين الديانة اليهودية والحضارات السابقة لها لم يكن كبيرا لدرجة تذكر إلا أنها كانت أو كان النقل يؤوّل بالعقل لخدمة العرف والتقليد والعادات السائدة آنذاك.

2. المرأة عند المسيح:

ظهرت المسيحية في فلسطين في عصر كانت فيه السلطة المدنية للرومان والسلطة الدينية لليهود، وهكذا... تنازعت الديانة الوليدة سلطتان متباينتان ومختلفتان في كثير من الأمور لكنهما تلتقيان عند شيء واحد هو كراهية المرأة أو قل بتعبير أدق النظرة الدونية للمرأة.⁴

¹ - نقلا عن، المرجع السابق، ص 35.

² - نقلا عن، المرجع نفسه، 35.

³ - باسمه كيبال، المرأة عبر التاريخ، ص ص 46-47.

⁴ - إمام عبد الفتاح إمام، الفيلسوف والمسيحي المرأة، ص 15.

بعد انتشار المسيحية في روما أثرت كثيرا على المرأة، حيث حثها على تطوير مركزها الاجتماعي وبعد انتشارها قد حازت على بعض من الحقوق الاجتماعية والاقتصادية اعتمادا على تعاليم الدين المسيحي الروحية والخلقية وفي مقابل ذلك فرض عليها بعض الواجبات.¹

والجدير بالذكر أن الشريعة المسيحية قد حرمت على الآباء نبد أولادهم وإعدامهم أو بيعهم أو إعدام الزوجة حتى ولو كانت في حالة زنى، بل نبذها لوحدها حتى تجلس نفسها بنفسها وتعي واقعها وتقييمه حسب مفهومها الروحي لهذه الزلة التي قامت بها وتتوب عما بدر منها وبحق للزوج في هذه الحالة أن يهجرها أو يطلقها إذا استطاع أن يقدم شهود للإثبات زلتها وفق الشروط التي فرضتها الكنيسة.²

والتشريع المسيحي قد جعل من المرأة شخصية متساوية مع الرجل في الحقوق والواجبات من حيث المبدأ أما من الناحية التطبيقية في الشريعة المسيحية والقانون الكنسي أقر للزوج الحق في الإشراف والنيابة القانونية عن الزوجة في إدارة أموالها ولا يحق للزوجة بأن تبعت أموالها وتنفقها دون إذن مسبق من زوجها.³

كما أن السيد المسيح، كان يعالج النساء كالرجال بلا تفرقة فها هو جارسيس Jairus يجر عند قدميه قائلا ابنتي الصغيرة على آخر نسمة ليتك تأتي لتضع يدك عليها لتشفى وأمسك "يسوع" يد الصبية وقال لها طليثا قومي، أي صبية قومي أو أقول لك قومي فقامت الصبية ومشت "مرقس الإصحاح الخامس 22-33-40-43)⁴. و حدث أن كان السيد المسيح يخطب في جمع من الناس وفيما هو يتلم رفعت امرأة صوتها من بين الجمع وقالت له "طوبى للبطن الذي حملك وللتنديين الذين رضعتها" (لوقا 27:11) فلم يعتبر صوتها عورة ولم يلزمها الصمت بل أجابها قائلا بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه (لوقا 28:11).⁵

وهذا إذا ما دل على شيء دل على أن الديانة المسيحية لم تعتبر صوت المرأة عورة على الإطلاق فلمسيح هنا لم يقمعها بل بالعكس ارتقى ليحاورها، وأغلب الظن أنه كان يوافق على الاختلاط الجنسيين واجتماعهما معا، سواء في اللقاءات الدينية أو الاجتماعية فهو يحضر احتفالات العرس حيث كانت أمه موجودة ولا شك أيضا في وجود نساء أخريات.⁶

¹ - باسمه كيال، المرأة عبر التاريخ، ص 49.

² - المرجع نفسه، ص 52.

³ - المرجع نفسه، ص 53.

⁴ - إمام عبد الفتاح إمام، الفيلسوف والمسيحي المرأة، ص 43.

⁵ - المرجع نفسه، ص 44.

⁶ - المرجع نفسه، ص 45.

ولا شك أن السيد المسيح دعا إلى قداسة الرابطة الزوجية، حيث يصبح الاثنان (الزوج والزوجة) جسدا واحدا والذي جمعه الله لا يفرقه إنسان (متى 4:19) وعندما جاء الفريسيون سائلين هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لأي سبب؟ (متى 8:19) أجاب من أجل قساوة قلوبكم إذن لكم أن تطلقوا نساءكم (متى 8:19) وفي هذه الكلمات دعوى صريحة لمعاملة الزوجة بغير قسوة.¹ وهذا كله لا يكفي ولا يعد كدليل قاطع على المساواة بين المرأة والرجل أو أن الدين المسيحي كنصير للمرأة، ذلك أن كل ما تطرقنا إليه مجرد تأويل بسيط لبعض الأحداث آنذاك لقول دونالدسون J.Donaldson إلا أنك لا تجد في الأناجيل نظرية مشروحة بوضوح عن وضع المرأة ومكانتها.²

ما يجعلنا تستكشف المواقف من كلام القديسين الصريح الواضح في الموضوع إلا أن معظمهم كان له موقف سلبي واضح حيث يقول بولس: أقول لغير المتزوجين والأرامل حسن لهم إذا لبثوا كما أنا... "رسالة بولس الطوبى إلى كورنثوس 7:8-9".³ أي أن بولس يلغي حتى العلاقة الزوجية ويقول آخر وهو القديس بونافونتيرا إذا رأيتهم المرأة فلا تحسبوا إنكم تشاهدون موجودا بشريا بل ولا موجودا متوحشا لأن ما ترونه هو الشيطان نفسه وإذا تكلمت فما تسمعون هو فحيح الأفعى..."⁴.

هذا ما جعلنا نلجأ إل كبار المفكرين والقديسين لمعرفة فكرهم ووجهة نظرهم في ما يخص المرأة خلال الحكم الكنسي والعصر الوسيط على العموم، وعلى رأس هؤلاء القديس أوغستين (430/354م) الذي كان يقول "آه لو أنني ارتضيت أن أكون خصيا حبا في ملكوت السماء لكنت الآن أوفر سعادة"⁵.

وقد ورد هذا في كتابه الاعترافات، يظهر جليا أن القديس أوغستين قد عاش مغامرات نسائية كثيرة واقترب آثاما وخطايا خلال ذلك حسب ما رواه في كتابه "الاعترافات" إلا أنه استقر على خليلة واحدة، فلوريال اميلي أحبها أعواما طوال وعاش معها، أنجبت منه دون الزواج به ابنا سماه "ابن خطيئتي"، حاولت أمه أن تبعده عنها مرار وألحت عليه فيما يخص امر الزواج حتى استقر على خطبة فتاة أخرى وانفصل عن خليلته التي تركت له ابنا كان يريه على تعاليم الدين إلا أن زواجه قد تعطل لمدة عامين بسبب صغر الفتاة وخلال هذه الفترة قد اتخذ معشوقة أخرى قد كانت أقل علانية من الأولى إلى أن استقر على العزوبة ووهب حياته لخدمة الدين.⁶

¹-المرجع السابق، ص 46.

²- نقلا عن، المرجع نفسه، ص 44.

³- نقلا عن، المرجع نفسه، ص 41.

⁴- نقلا عن، المرجع نفسه، ص 5.

⁵-المرجع نفسه، ص 109.

⁶-المرجع نفسه، ص ص 116-117.

فإن التصور الذي تشكل لدى أوغستين عن المرأة على العموم ليس تصورا مجردا أو أحكاما ما بعيدا عن الواقع إنما هي نابعة عن تجربته السابقة في الحياة مع نساء عدة في صورة الخليفة والزوجة مع العلم أنه لم يتزوج وغير رأيه ليستقر على العزوبة.

ويعتبر أوغستين المرأة سببا في فساد المجتمع بل وسبب رئيسيا في ذلك فيما لم يتطرق إن كانت العكس أم لا، ولا تظهر أي إشارة إذا ما كانت المرأة نفسها سببا في صلاحه أم لا إذ يقول: "أي شيء يمكن أن يكون أكثر خسة ودنائة ويملاً الإنسان بالخزي والعار من موضوع البغايا وبيوت الدعارة وألوان البشر من هذا القبيل ومع ذلك فلو أنك أزلت البغاء من أنشطة البشر فسوف تجد أن الشهوة تدنس أشياء كثيرة ولو أنك وضعت البغايا بين النساء فسوف تضيي الفحش والقذارة على أموراً كثيرة".¹

إلا أن كلامه يقتصر هنا على موضوع البغاء والفواحش فهو لم يلغى الزواج إطلاقاً بالعكس استحسنته إلا أنه جعل الزهد في مرتبة أرفع وأعلى وأحسن منه إذ يقول في هذا الشأن: يبدو لي أن الزواج ليس أمراً طيباً من أجل إنجاب الأبناء فحسب بل من أجل الصحة الطبيعية بين الرجل والمرأة وإلا لما كان في استطاعتنا الحديث عن الزواج عند القدامى ولا سيما إذا كانوا قد فقدوا ابناً لهم ولم ينجبوا على الإطلاق، وفي الزواج الجيد رغم أنه يستمر قائماً عدة سنوات حتى إذا ما خرت حماسة الشباب وبردت عاطفته الملتهبة بين الرجل والمرأة فسوف يبقى الود والترفق بين الزوج والزوج.²

ومن خلال كلامه فإن الزواج لا يقتصر عند على العلاقة الجنسية ولا على عملية الإنجاب فحسب بل يذهب إلى العلاقة الروحية بين الرجل والمرأة وهي التي تكسب كلا منهما العفة حسبه، غير أن القديس أوغستين لا يفوته أن ينبهنا إلى أنه في جميع الأحوال تفضل عفة الزهد أفضل من عفة الزواج رغم أنهما معا أمران طيبان لكن عندما نقارن بين الناس بين من هو أحسن وأفضل فسوف يكون الناسك الزاهد.³

وهنا يستدل في كلامه بما ورد في نصوص الإنجيل: لأنهم يوم القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة في السماء... "إنجيل متى 22:2-30".⁴

ومنه فإن المتزوج عفيف والزاهد أيضاً كذلك إلا أن الزاهد يرتقي إلى مصاف الملائكة باعتبار أن الزواج غير موجود في يوم القيامة أو بالأحرى غير وارد.

¹ - نقلاً عن، المرجع السابق، ص 121.

² - المرجع نفسه، ص 122.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها

⁴ - المرجع نفسه، ص 133.

سوى أوغستين بين الجنسين مساواة تامة وذلك يوم القيام حيث لا وجود للشهوة ولا الجنس حيث شاع آنذاك أن المرأة ستقلب رجلا يوم القيامة ولكن هذا الأمر مضحك لأن الله قد خلق آدم وحواء بعورتيهما دون جنس ولا خجل، بل الحق أنها ستصبح هذه الأجزاء الشهوانية تحمل طابعا جماليا جديدا حيث لا يكون لها معنى بعدم وجود شهوة ولا معاشرة جنسية.¹

ومع ذلك يمكننا اعتبار هذه المساواة اقتصر على يوم البعث فقط بحيث أن القديس أوغستين يقول بصراحة: إن الله قد خلق الإنسان العاقل على صورته وجعله يسود على الحيوانات البرية غير العاقلة كما خلق قوتين للنفس داخل الإنسان تستطيع أحدهما السيطرة على الأخرى بفضل التروي والثانية خاضعة وتابعة للأولى ومن هنا كانت المرأة مساوية للرجل في قدرتها الذهنية أو جانبها الروحي لكنها كانت خاضعة له بسبب جسدها فجسد الأنثى خاضع لجنس الذكر بنفس الطريقة التي تخضع بها الشهوة للإدارة.²

إن المرأة إذا ما نظر إليها على أنها إنسان أعني على أنها روح فهي صورة الله أما عندما ننظر إليها من حيث وظيفتها أعني أنها جسد لوجدناها تنتمي في هذه الحالة إلى الأمور الدنيوية الزمنية العابرة وهي هنا تكون موجود أدنى ولا تكون على صورة الله.³

وهذا ما يذكرنا بنظرية أفلاطون فيما يخص الروح والجسد والتي تبناها القديس أوغستين ووظفها هنا وكنا قد تطرقنا لها من قبل وبالتالي.

قد تواصلت تبعية الأنثى للذكر في التراث المسيحي وذلك في خضم مختلف التفسيرات لسانت أوغستين، فالخلق حسب ذكر وأنثى على صورة الله مساوية لكن المرأة أغوت الرجل وجعلته يسقط لذا وجب أن تكون تابعة له ونظرا لتأثره بالمثالية الأفلاطونية وتعاليم الدين المسيحي ومعرفته للنساء في شاكلتين أولهما كعشيقة "الجسد" وأم "روح" تدعوه إلى التوبة ووصل إلى نتيجة مفادها أن المرأة كائن مركب جسد كمركز للجنس والدنائة والسقوط والروح كمركز للعفة.⁴

ذلك ما وصل إليه أوغستين كان نتيجة لقواعد مرجعية عدة مثل الفلسفة اليونانية وبالتحديد أفلاطون ونظرة المثل وتجربته مع عشيقته كرمز للشهوة وأمه كرمز للعفة أي الأولى جسد والثانية روح بالإضافة إلى تعاليم

¹ - المرجع السابق، ص 13-32.

² - نقلا عن، المرجع نفسه، ص ص 127-128.

³ - المرجع نفسه، ص ص 118-119.

⁴ - المرجع نفسه، ص ص 125-127.

الدين المسيحي ليصب الكل في قالب فلسفته وتقول ماري ديل¹: إن القديس أوغستين يعتقد أن المرأة لم تخلق على صورة الله وأنه ينظر إليها نظرة دونية، إذ كيف يمكن أن تكون صورة المرأة صورة الله إذا ما اتحدت مع زوجها في هوية واحدة في الوقت الذي يضل فيه الرجل صورة الله متحداً أو منفرداً ولهذا ينظر للمرأة من منظورين منظور الجسد فتكون أدنى ومنظور الروح فتكون أعلى ولا ينظر للرجل بهذين المنظورين...².

وكان كلام أوغستين ينطبق على المرأة دائماً دون الرجل الذي ظل منزهاً في حديث أوغستين وفي فلسفته على العموم فما دام له عقل ويعتبر عاقلاً فعلاً فكيف يمكن إذن لكائن باعتباره جسداً وباعتباره أدنى أو يوقعه في الخطيئة ما دامت الإرادة تضبط الشهوة وإلا لوقعنا هنا في تناقض فاضح وتضيف ماري ديل قائلة: كانت النساء كبش فداء في التراث المسيحي إنه كان يبحث عن آخر يكون موضوع اللوم والإدانة حتى يصبح أولئك الذين يصدرون الأحكام هم أنفسهم أطهاراً صالحين³.

لقد حاول القديس أوغستين أن يعارض الرمزية الجنسية القديمة ويضع مكانها المساواة الروحية إلا أنه في الواقع عاد وأكد الموقف السابق كما هو فلا تزال المرأة ترتبط بالجسد باضطرابات الحسية في معارضة العقل وما زالت بالطبيعة تتبع الرجل وله الحق في السيطرة العقلية عليها بحكم خضوع الجسد للروح الذي يعرضه النظام السليم للأشياء⁴.

وبالتالي فإن ما قام به أوغستين ليس جديداً ولم يخرج عن المؤلف أي لم يكن على غير عادة مثله مثل سابقه أفلاطون وأرسطو وحتى في الديانة اليهودية باعتبار المسيحية تعترف بها، ولم يكن القديس أوغستين وحده من رأى هذا بل هو قطرة من بحر التعسف المسيحي في حق المرأة إن صح التعبير فقد توافق معظم المفكرين على نفس النتيجة أي "دونية المرأة" بالرغم من اختلاف السبل على غرار توما الإكويني وكليمنت وبولس.

فكثيراً ما تطغى العادات والتقاليد على الإيديولوجية حتى وإن كان الدين لبها وجوهرها لتطمس مضمونه الحقيقي وتجعله يسير في سياقها فبدل تصحيحها يخدمها وهذا ما حدث مع الأناجيل التي سلكت مسلك العهد القديم من قبل الأفكار الشائعة منذ العهد الروماني وبالتالي فإن المسيحية قد سارت مسار سابقتها اليهودية والوثنية من قبل.

¹ - ماري ديل كامبر ولدت عام 1943 ، هي دكتورة في الدراسات الإسلامية في جامعة باريس الرابعة ودكتورة في القانون، وهي أيضاً خريجة لغة عربية وأستاذة جامعية في اللغة العربية.

² - نقلاً عن، المرجع نفسه، ص 120.

³ - المرجع نفسه، ص 120.

⁴ - المرجع نفسه، ص 131.

3. المرأة في الدين الإسلامي:

أقل ما يقال عن المرأة في الإسلام أن هذا الأخير أنصفها وأكرمها سواء كانت بنتا أو زوجة قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا^ط﴾¹. وقوله أيضا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً^ج إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾². وجعلها سواء مع الرجل من حيث التدين الصحيح ودخوله الجنة حيث قال عز وجل: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى^ط بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾³. كما رفع عنها حجاب التملك والاستعباد وأعطاهها جملة من الحقوق كالميراث والوصاية واختيار الزوج إلا أن ما ينكره الكثير هو هذه المساواة ويعتبرونها شكلية و فقط بدليل "القوامة" الذي يعتبرها البعض تشريفا واستعباد لا تكليفا واجتهادا، فهل انصفها الإسلام فعلا ورفع ما كان عليه حالها من قبل أم رضخ هو الآخر للظرف الزمكاني والإيديولوجيات الشائعة شأنه شأن سابقه؟

3.أ- مساواة المرأة والرجل في الحقوق والواجبات:

إن نظرة الإسلام للمرأة والرجل وللإنسان عموما نظرة تكريم فكلاهما يعد فردا من المجتمع بحيث سوى بين المرأة والرجل في الحقوق والحريات والواجبات من حيث الأصل فالعقائد والعبادات والأحكام التي شرعها الله تعالى للإنسان تتساوى في التكليف بدليل النصوص الشرعية قال تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ^ط وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا^ط وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا^ج وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾⁴. كل هذه النصوص تقرر مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة ففيها من العموم في الخطاب ما يشمل الاثنين عامة على حد سواء فهذا أصل التكليف بالواجبات كما أنه أصل التمتع بالحقوق ثابت للرجل ثابت للمرأة بمقتضى هذا المبدأ.⁵ ويضيف تعالى في سورة أخرى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ ءُنْثَى^ط وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً^ط وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

1 - الأحقاف الآية 15

2 - سورة الروم الآية 21

3 - سورة آل عمران الآية 195

4 - سورة آل عمران 97

5 - تقرير مبدأ المساواة عموما في منظور التشريع الإسلامي واصل الإسلام ورعاية لحقوق الإنسان بحث منشور في أعمال المؤتمر الثاني عشر لمجتمع

البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف والمنعقد بالقاهرة بتاريخ 16 أبريل 2002، ج 1، ص 247.

﴿١٧﴾¹. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٥﴾﴾².

وكذلك نفس الأمر فيما يخص العقاب لقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا

جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾³.

3.ب- المساواة في أصل الخلق:

يقول تعالى: "يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب" إذن كل من آدم وحواء

خلق من تراب وكذلك من نفس واحدة لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا

خَلَقْنَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾⁴. إذا الكل من آدم وآدم من تراب كذلك من نفس واحدة لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً^ج وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ^ج وَالْأَرْحَامَ^ج إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

رَقِيبًا ﴿١﴾﴾⁵.

3.ج - المساواة في تقسيم الأدوار:

لقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة انطلاقاً من الخلق للعلاقة التي تحكمها والتي تتحدد في السكينة

والمودة والرحمة حيث قال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا

¹ - الأحقاف الآية 15

² - سورة الأحزاب الآية 35.

³ - سورة المائدة الآية 38.

⁴ - سورة الحج الآية 05

⁵ - سورة النساء الآية 01.

لَيْسَكُنْ إِيَّهَا ^ط ¹. ويقول تعالى أيضا: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ^١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ^٢ وَمَا خَلَقَ

الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ^٣﴾ ². إذ أنه باختلاف الليل والنهار إلا ان لكل دور يؤديه كذلك الذكر والأنثى في إحياء

الإنسانية ذلك أهما كوكبان يدوران في مدارين مختلفين لا يجب أن يخرجنا عنها قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ

يُنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ^٤ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ^٥﴾ ³.

3.3-د- المساواة في إنهاء الرابطة الزوجية:

أقر الإسلام الطلاق وإنهاء الرابطة الزوجية على حد سواء بالنسبة للرجل أو المرأة وفق ضوابط معينة باعتباره أبغض الحلال عند الله ليحفظ كل منهما حقوقه في سلام، مثلا لم يحرم المرأة من اسمها بعد الزواج كأن تسمى باسم زوجها كما هو معرفة في الغرب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال إن جارية بكر جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت أن أبي زوجني من ابن أخ له لرفع حسيسته وأنا له كارهة، قال: أجزى ما صنع أبوك، قالت: لا رغبة لي فيما صنع أبي، قال: فاذهي فانكحي من شئت، قالت: لا رغبة عن ما صنع أبي ولكني أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء في أمور بناتهم شيئا" ⁴.

لقد سوى الإسلام بين المرأة والرجل في الكثير من المجالات سواء كانت مجالات إنسانية أم حقوقية أم اجتماعية إلا أننا نجد بعض الفوارق التي فرقت بين الرجل والمرأة في مجالات أخرى كالقوامة والإرث والشهادة وتعدد الزوجات والفصل في كل منهما من خلال ما يلي:

3.3-هـ - القوامة:

قال تعالى: ﴿الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا

أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ^٥﴾ ⁵. فالكثير من الناس اليوم يفهمون بأن القوامة تفضيل إلا أنها تكليف للرجل برعاية

المرأة والسعي من أجل خدمتها، أما التفضيل فيقصد به هنا التبصير في العواقب في مقابل العاطفة بالنسبة للمرأة

¹ - سورة الأعراف الآية 189.

² - سورة الليل الآية 01-03.

³ - سورة يس الآية 40.

⁴ - عبد المنعم جبري، المرأة عبر التاريخ البشري، مطابع اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006، ص 249.

⁵ - سورة النساء الآية 34.

فكل يستعمل ما فضله الله به في الحياة الأسرية، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ﴾¹. والله فضل الرجل بالقوامة والسعي والجهد والمرأة فضلت بالحمل والولادة ومشقة التربية والرعاية ولا يمكن لفردين مختلفين في المهام أن تنشأ بينهما مقارنة والقوامة لا تعني أن يكون الرجل قائدا لقوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ السَّحْرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾². إنما تقوم العلاقة على التشاور شأنها شأن باقي مجالات الإسلام.

كما أن القوامة لا تمثل تفضيل الرجل بمفهوم التكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾³. وفضل مريم على نساء العالمين بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾⁴ وفضل خلقه بعضهم على بعض ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾⁵. وفضل يوم الجمعة على سائر الأيام وشهر رمضان على باقي الأشهر وليلة القدر على باقي الليالي فالرجل هو بمثابة الرئيس والمرأة هي الحكومة التي تحكم البيت "فالكل راع ومسؤول عن رعيته" ولكل منهما درجة في سلم القيادة فلا يمكن أن يكونا قائمان وإلا تدهورت الأوضاع.

3.و- الشهادة:

قال تعالى: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِّجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾⁶. وبالتالي فقد جعل للإسلام شهادة الرجل تساوي شهادة امرأتين، وهذا لا يعد تعسفا لأن شهادة الرجل الواحد لا تقبل لوحده

1 - سورة النساء الآية 32.

2 - سورة الشورى 38.

3 - سورة الإسراء الآية 55.

4 - سورة آل عمران الآية 42.

5 - السورة الإسراء الآية 70.

6 - سورة البقرة الآية 282.

حتى وإن كان تقيا عاقلا بالغا، أما شهادة المرأة فاثنان هم شهادة واحدة وبالتالي فلا تعسف ما دام لا يقبل شاهد واحد فالهدف هنا هو الحفاظ على مصالح العباد، ونلاحظ أن شهادة اللعان سواء بسواء عند الرجل والمرأة. فمثلا المشاجرة لا يمكن لمراة أن تشهدا ذلك لطبيعتها فهي تقف في الطريق العام وإن فعلت فقد تقابل بالتهديد مثلا ما يجعلنا نلتجئ إلى أخرى لتقويتها ومع ذلك هنالك أمور لا تجوز فيها شهادة الرجل أصلا كحالات الإرضاع والبيكاره والعيوب الجنسية.

3.م- الإرث:

قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾¹. وقال ﴿وَلَهُنَّ الْرُبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ﴾². ومن خلال الآيات نلاحظ أن نصيب الذكر نصف نصيب الأنثى، وهذه تعتبر قاعدة لكن هل هذا يعد تنقيصا لإنسانيتها وكرامتها أم له أبعاد أخرى؟

لا يمكن التشكيك في العدالة الإلهية بل هنالك أبعاد أخرى إذ أن الله أنزل على عباده أحكاما يتقاسمها الذكر والأنثى ليخفف على عباده الصالحين مشقة الدنيا وأحوالهم، فألزم الرجل بالواجبات الصعبة والشاقة كإعطاء المهر والنفقة على الزوجة وعلى أولادها وعلى الأم والأخت وهذه الأعباء لا تلزم المرأة حتى ولو كانت ميسورة الحال، ومن هنا نرى أن العدالة أوجبت نقص نصيبها في الميراث، ويجوز لها حين ترث أن لا تنفق منه شيئا ويلزم الرجل بإنفاق عليها³، ومع ذلك نجد حالات تأخذ في المرأة نصيبا متساويا مع الرجل كما في الأم مع الأب إذا كان للبيت أولاد كان لكل من الأم والأب السدس، وقد يكون نصيب المرأة مثل نصيب الذكر في حالات أخرى كما هو في الأخوات للأم إذا انفرد وإذا كانوا ذكورا أو إناثا اثنين فأكثر فإنهم يشتركون جميعا في الثلث، للذكر مثل حظ الأنثيين، إلا أن الإسلام لا يعد منصفًا عند البعض مثل السعداوي وفاطمة المرينسي (2015/1940 م) وهدى الشعراوي وغيرها ولم نشأ التطرق لفترة الجاهلية لأنها كانت في حقيقة الأمر جاهلية بآتم معنى الكلمة بما جعلت من وأد للبنات وغيرها من أشكال النبذ والاستحقار، حرمت من الإرث كحق من حقوقها الشرعية التي لم تكن مسنونة آنذاك ففي بعض القبائل كانت هي تورث مع التركة وقد شاع آنذاك تعدد الزوجات إلى حد الحياةزة.⁴

¹ - سورة النساء الآية 11.

² - سورة النساء الآية 12.

³ - منال محمود المشني، حقوق المرأة من المواثيق الدولية وأصالة التشريع الإسلامي، دار الثقافة، عمان، ط1، 2011، ص 71.

⁴ - باسمه كيبال، المرأة عبر التاريخ، ص ص 54-56.

ناهيك عن ما كان يسمى بنكاح الاستبضاع الذي كان معروفاً عند بعض القبائل البدوية حين كان يسمح للزوج بوضع زوجته أمانة عند رجل حتى إذا حملت ردها إليه ونسب حملها ولعل هذا متأثراً بسبب العقم الذي كان يصاب به بعض الرجال.¹

من الملاحظ أن هنالك بعض القبائل كان الرجال فيها عندما يحتاجون إلى المادة لسد بعض حاجاتهم الاقتصادية يقدمون على رهن أو بيع نسائهم لسداد ما تراكم عليهم من ديون وهذه العادة كانت معروفة قبل ظهور الرسالة السماوية المحمدية بفترة ليست بقصيرة.²

هذا كله كان قبل إنصاف الإسلام للمرأة إلا أنه وكما سبق وذكرنا هنالك من رفض لفظة الإنصاف أساساً والأغرب من ذلك أنهم أناس من رحم الإسلام أمثال السعداوي التي نتطرق لها فيما بعد لتوضيح النقاط التي حزت في نفسها وجعلتها ترفض النموذج الإسلامي إلا أنه ما يمكننا لمسّه من كل ما سبق أن الإسلام وإن لم يكن مساوي فعلى الأقل كان الأقرب للعدالة الاجتماعية.

وبالتالي فإن ما كان يحدث آنذاك في شتى أنحاء العالم لم يكن سوى رد فعل لفعل مساوي له في الشدة ومعاكساً له في الاتجاه أي أن التراث الغربي كما سبق وتطرقتنا اليوناني أو الروماني أو اليهودية والمسيحية كقواعد مرجعية له كانت سبباً فيما كانت منه المرأة لذلك قد ضاقت نسائهن ذرعاً بهذا الموروث الثقافي وقررن إقامة القطيعة الاستيمولوجية إن صح القول مع هذا التراث وتبني فكر تحرري بنفي كل ما سبق، ويتطلع إلى حقوق أكثر وحرية أكبر وسنرى كيف تطور هذا في الفصل التالي.

¹ - المرجع السابق، ص 57.

² - المرجع نفسه، ص 63.



الجند من الماهية إلى النظرية

المبحث الأول:

الجند والمعنى

المبحث الثاني:

الابعاد الفلسفة للفكر الجندري

المبحث الثالث:

نماذج عن الفكر الجندري

إن العصر الحديث وبلا شك عصر حافل بالتغيرات السياسية والثقافية والاجتماعية وقد اعتبر عصر التطورات الفكرية والإيديولوجية خاصة في بلاد الغرب فرنسا بريطانيا وأمريكا ويظهر ذلك عند تطرقنا للحديث عن الثورة الفرنسية أو الثورة الصناعية كنقاط مفصلية أثرت وتأثرت فيها وبها الحركات الأنثوية والفلسفة النسوية حيث قالت النساء في فرنسا "لم يكن إعلان حقوق الإنسان سوى إعلان لحقوق الرجال... وإذا كان يحق للمرأة أن ترتقي منصة الإعدام فمن حقها أيضا أن ترتقي المنبر".¹

ولم يختلف حال هؤلاء عن أولئك في أمريكا، وقالت النساء في أمريكا خذوا مصائرنا المحطمة واجعلوا منها فجرا "و المرأة سوداء بالنسبة للرجل الأبيض".²

وكذلك في البرتغال غداة تحرير انغولا و"موزمبيق" النساء آخر مستعمرات الرجال"³، بمثل هذه الشعارات والمقولات اجتاحت دول أوروبا وأمريكا في القرن الثامن عشر مطالب للنسوية وكتابات، ومظاهرات تطالب بحقوق المرأة الأساسية واستمرت هذه الكتابات والمطالبات حتى تحولت في منتصف القرن التاسع عشر إلى حركات نسائية منظمة ومؤثرة في المجتمع ونفوذها كانت تتعاظم يوما بعد يوم.⁴

وفي فرنسا بعد الثورة توجت هذه المطالبات بعمل فكري مهم شكل فيما بعد -كوثيقة فكرية سندا أساسيا لحركة المرأة عرف ب (إعلان حقوق المرأة والمواطنة) وكان فيه 17 مادة بشأن تصورها لحقوق النساء وأودعتها ببلدية باريس عام 1793 واستدلت (ماري كوز Marie Gouz) صاحبة هذه الوثيقة والإعلان، ولكن رد الحكومة الفرنسية والجمعية التأسيسية كان قاسيا إلى حد بعيد ودليلا على زيف الشعارات التي رفعتها الثورة الفرنسية وقصورها وضيق تعريفها حيث قامت السلطات التنفيذية الفرنسية بإعدام "ماري كوز" في 1793.⁵

وكان ذلك دفعة أخرى للكتابة والتأليف كحل آخر للمطالبة بالحقوق وبعد فترة وجيزة بدأت كفة الحركات النسوية في الرجحان لصالحها ففي 1940 حصلت المرأة في فرنسا على حق التصويت مع أخواتها في

¹ -مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرر المرأة من المساواة إلى الجنود، تقديم محمد عمارة، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 2004، ص

57.

² -المرجع نفسه، ص 58.

³ -المرجع نفسه، الصفحة نفسها

⁴ -المرجع نفسه، الصفحة نفسها

⁵ -المرجع نفسه، ص 59.

اليابان والمجر وإيطاليا وفيتنام وكانت فرنسا البلد السادس والثلاثين في العالم الذي يعترف بهذا الحق وفي العام نفسه أقر مبدأ التساوي في الأجر عند التساوي في العمل... وجاءت فترة الستينات وشهدت أيضا فترة الانتعاش الثانية أو الموجة الثانية الراديكالية للحركة النسوية... وفي هذه المرحلة كانت الريادة للمفكرة الوجودية المعروفة "سيمون دي بوفوار".¹

والتي سنتطرق لها فيما بعد والتي أعطت إشارة الانطلاقة للفكر النسوي الجندي وذلك من خلال كتاباتها إلى الجنس الآخر والتي أوردت فيه بعض الآراء التي كانت من شأنها أن تحدث ثورة فكرية في مجال حقوق المرأة وحريتها ومساواتها مع الرجل. ونفس الشيء كان في معظم الدول الغربية كبريطانيا التي تقدم فيها... جون ستوارت ميل لتأسيس أول جمعية نسائية بريطانية المطالبة بحق المرأة في المشاركة والتواجد في البرلمان، ولا ننسى أن هذا الفيلسوف من أبرز المدافعين عن قضية المرأة وخصص لذلك كتابه "استعباد النساء".²

ولم يكن رأيه ببعيد كل البعد عن سيمون دي بوفوار إذ يقول في كتابه هو الآخر... "غير أن الواقع بالفعل هو التمييز في النشأة يزيد حدة هذه الاختلافات على نحو خطير ويجعلها حتميا تماما وطالما أن النساء تتشأن كما يشأن الآن فلن يجد الرجل والمرأة أحدهما في الآخر ذلك الاتفاق الحقيقي".³

وهذا قريب جدا لما كانت تقوله دي بوفوار في كتابه الجنس الآخر: "يولد المرأة امرأة بل يصير كذلك".⁴

المبحث الأول: الجندير والمعنى

1. مفهوم الجندير:

1. أ- لغة: الجند في المعجم الوسيط: جندر الثوب ونحوه: إعادة رونقه بعد ذهابه وصقله بالجندير- الكتاب ونحوه، مر القلم على ما درس منه ليتبين. (الجندير آلة خشبية تتخذ لصقل الملابس)⁵.

ومصطلح الجندير إنجليزي الأصل ينحدر اللفظ من أصل لاتيني (Genus) وتأتي بعده معاني (النوع، العرق، الأسرة، نوع الجنس) وأيضا تعني الجنس ومن أجل العثور على مصطلح يقابله في اللغة العربية، سعت الكثير من مراكز الدراسات والأبحاث العربية والمنظمات الدولية إلى إيجاد المعنى الحقيقي لها في اللغة العربية فقد

¹ - المرجع السابق ، ص 61.

² - المرجع نفسه، ص 64.

³ - جون ستوارت ميل، استعباد المرأة، تر، إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1998، ص 159.

⁴ - نقلا عن، مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرر المرأة من المساواة إلى الجندير، ص 102.

⁵ - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، تركيا، د.ت، ص 140.

نظم مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث اجتماعا في تونس عام 1995م واختيرت عبارة (النوع الاجتماعي) كترجمة له.¹

1.ب- اصطلاحا: يرجع مصطلح الجندير (Gender) في اللغة الإنجليزية إلى شعور الإنسان بنفسه كذكر أو أنثى أي مجرد الشعور بالذكورة أو الأنوثة بعيدا عن الأدوار المنوطة بكل منها على حدى، وذلك وفقا لما ورد في الموسوعة البريطانية.²

وتعرفه الموسوعة البريطانية "الهوية الجنديرية Gender Identity" بأنها (شعور الإنسان بنفسه كذكر أو أنثى)، الهوية الجنديرية لا تثبت بالهوية، بل تؤثر العوامل الاجتماعية بتشكيل نواتها، وهي تتغير وتتوسع بتأثير العوامل الاجتماعية كلما نما الطفل، كما أنه من الممكن أن تتطور الهوية الجنديرية الأساسية، حيث يتم اكتساب السلوك الجنسي النمطي وغير النمطي (من الجنس الواحد)، ويتطور لاحقا تبعا كما يواجه الإنسان في حياته كلما تقدم فيها.³

تعرف منظمة الصحة الجندير بأنه مصطلح يشير إلى الأدوار الاجتماعية والسلوكيات والأنظمة، والصفات التي يعتبرها مجتمع معين منسبا للرجال والنساء).⁴

أما وكالة IASC فقد عرفته بأنه (مصطلح يشير إلى الفروق الاجتماعية وبين الإناث والذكور والتي تكتسب على مدار الحياة والتي على رغم من تأثيرها بجميع الثقافات تتطور مع مرور الزمن وتكتنفها تبدلات كثيرة، سواء داخل الثقافات نفسها أو فيما بينها ويحدد لفظ الجندير للأدوار، والسلطات والموارد بالنسبة للإناث والذكور في اي ثقافة من الثقافات).⁵

كما تعرفه وكالة أوكسفام والتي هي من وكالات الأمم المتحدة : "يولد البشر ذكورا أو إناثا، لكن التعلم هو الذي يجعل منهم صبية وبنات ليصبحوا فيما بعد رجالا ونساء، إذ يجري تلقينهم مبادئ السلوك، وتحدد لهم

¹ - نراقاسم قادر، الجندير والجنس مفهومهما وآثارهما في أحكام قانون الأحوال الشخصية، كلية القانون والسياسة جامعة السليمانية، 2015. ص 08.

² - عند الله العرادي، مفهوم الجندير وصحة الأمومة، قسم البحوث والدراسات إدارة شؤون اللجان والبحوث، مارس 2012. ص 25.

³ - نراقاسم قادر، الجندير والجنس مفهومهما وآثارهما في أحكام قانون الأحوال الشخصية، ص 9.

⁴ - موقع المنظمة العالمية للصحة، www.ho.int/topic/gender/en تاريخ التصفح، 2017/01/14، على الساعة 22:57

⁵ - الوكالة الدائمة المشتركة بين الوكالات (iase) نساء وفتيات وفتيان ورجال، 2008،

http://www.who.int/hac/network/interagency/news/iasc_guidance_ar.pdf ص 03. تاريخ التصفح،

2017/03/29، على الساعة، 00:40

مواقف والأدوار والأنشطة المناسبة، إضافة إلى الكيفية التي يتصلون بها مع الآخرين، هذا السلوك المكتسب بالتعلم هو الذي يشكل الهوية الجندرية ويحدد الأدوار الجندرية¹.

إن مفهوم اختلاف الأدوار الاجتماعية باختلاف المجتمعات ظهر بداية في أبحاث عالم الاجتماع مورغان، الذي درس السلوك والأنماط والأدوار الاجتماعية لدى قبائل الهنود الحمر (سكان أمريكا الأصليين)، ليلاحظ اختلاف تلك الأدوار بحسب تطور العلاقات الاجتماعية السائدة... إذ لاح اختلاف الأدوار الاجتماعية لكل من الذكر والأنثى حسب درجة تطور المجتمع ولعل أول من حدد عذا المفهوم بشكل واضح الفيلسوفة الوجودية سيمون دي بوفوار والتي قالت: (لا يولد الإنسان امرأة، إنما يصير ذلك) في كتابها "الجنس الآخر" وفي السبعينيات بدأ مفهوم الجندر يتضح أكثر فأكثر بأخذ أهمية الحالية بعد مؤتمر بكين الشهير في عام 1995².

وقد تترجم مصطلح الجندر باللغة العربية (النوع الاجتماعي وهو عكس النوع البيولوجي: حيث اتفقت مجموعة من الخبراء المجتمعين في تونس بمركز المرأة العربية للتدريب والبحوث على تعريف النوع الاجتماعي الجندر على الآتي: اختلاف الأدوار، الحقوق والواجبات والالتزامات والعلاقات والمسؤوليات والصور ومكانة المرأة والرجل التي تحدد اجتماعيا وثقافيا عند التطور التاريخي لمجتمع ما وكلها قابلة للتغير ويتعرض هذا المجال النظرية المجتمع إلى الفرد بناء على جنسه فيتناول المحاور الآتية " حقوق الفرد، مسؤوليات الفرد، اتجاهات الفرد" فضلا عن عدد من البقايا الجزئية المرتبطة بالمجال، مثال(البلوغ وعلاماته، والتغيرات الجسدية والتغيرات النفسية والمفاهيم الرئيسية)³.

2. النوع الاجتماعي:

هو مختلف الأدوار والحقوق والمسؤوليات العائدة للرجال والنساء والعلاقات القائمة بينهم ولا يختصر المفهوم على الرجال والنساء إنما يشمل الطريقة التي تحدد بها خصائصهم وسلوكياتهم وهوياتهم.

ويرتبط النوع الاجتماعي عموما بحالات اللامساواة في النفوذ وإمكانية الاستفادة من الخيرات والموارد وتتأثر المواقع المختلفة للنساء والرجال بالعوامل التاريخية والدينية والاقتصادية والثقافية⁴.

¹ - نراقاسم قادر، الجندر والجنس مفهومهما وآثارهما في أحكام قانون الأحوال الشخصية، ص9.

² - ثريا هاشم، نجاح منصور، دليل تدريبي للمعلمات والمعلمين حول قضايا النوع الاجتماعي 2010/2011، في التعليم، المركز التربوي للبحوث والإنماء، منظمة الأمم المتحدة والعلم والثقافة، بيروت، 2012، ص 17.

³ - نراقاسم قادر، الجندر والجنس مفهومهما وآثارهما في أحكام قانون الأحوال الشخصية، ص9.

⁴ - مدخل إلى كيفية اشراك الرجال في مناهضة العنف ضد المرأة، منظمة كافي عنف واستغلال، بيروت، لبنان، 2012،

<http://www.kafa.org.lb/FOAPDF/FAO-PDF.htm> تاريخ التصفح، 2017/01/20، على الساعة، 10:01.

ويطلق مصطلح النوع الاجتماعي على الأدوار الاجتماعية والقيم التي يحددها المجتمع لكلى الجنسين النساء والرجال تتغير هذه العلاقات والأدوار والقيم وفقا لتغير المكان والزمان وذلك لتداخلها وتشابكها مع العلاقات الاجتماعية الأخرى مثل الدين، الصفة الاجتماعية، والعرق.¹

هو عملية دراسة العلاقة المتداخلة بين المرأة والرجل في المجتمع وتسمى هذه العلاقة علاقة "النوع الاجتماعي" "Gender relationship" وتحددها وتحكمها عوامل مختلفة اقتصادية واجتماعية وثقافية ودينية وبيئية، عن طريق تأثيرها على قيمة العمل في الادوار الإنجابية والانتاجية والتنظيمية التي تقوم بها المرأة والرجل.²

وفي الدلالة التحليلية لمفهوم النوع الاجتماعي تدخل الحقائق والعمليات الاجتماعية كما هي مؤثرة على الأدوار الاجتماعية كما ترسخها الحياة الاجتماعية والاقتصادية والمؤسسية، وترتبط دلالة النوع الاجتماعي كمفهوم تميزي بإعطاء فرص غير متكافئة للإناث مع تلك المعطاة للذكور وعلى الأخص ما تعلق منها بالمشاركة الكاملة في حركية المجتمع وتنمية وفي التعليم والصحة وغيرها وكما تشير اليونسكو فإن مفهوم النوع الاجتماعي لا يعني أن المرأة ورجل يصبحان سواسية بل يقصدان فرص الحياة المتاحة لهما تكون متساوية.³

وعلى العموم فإنه بتعريف الجندر قد اختلف مبدعو المصطلح في ضبط مفهومه والقصد منه سواء لمبتكره الغرب أو لمن عربيه كما اختلفوا أيضا في ترجمته (النوع الاجتماعي)، والمقصود منه فإن لم يختلفوا في اللب والجوهر اختلفوا في العرض وهذا الاختلاف في المنطق من شأنه أن يؤثر على باقي سيرورته سواء الماهوية أو الاصطلاحية أو المفاهمة أو حتى صياغة النظرية، وعلى الرغم من بقاء مصطلح الجندر غامضا من حيث المعنى الذي يرمي إليه نتيجة صعوبات ترجمته من اللغة الإنجليزية إلا أن مصطلح الجندر استمر في تناوله إلى أن نشب صراع بين المشتركين في مؤتمر بكين 1995م، مما أدى إلى إنشاء لجنة خاصة تقوم بتعريفه والتي خرجت باتفاق على عدم تعريفه، gender: the non definition of the term.⁴

وحتى وإن عرب المصطلح أو ترجم فيما بعد إلى تعاريف عدة ومع كل هذه التعاريف إلا أنه لا يزال مفهوم الجندر غامضا وغير مفهوم ومتباين المعنى، فأحيانا يطلحه البعض للإشارة إلى الجنس البيولوجي أو بعض جوانبه، بينما يستعمله الآخرون كبديل لمصطلح المرأة في مجال المسائل والمشايخ التي تخصها هي بالذات.

¹ - ثريا هاشم، نجاح منصور، دليل تدريبي للمعلمين حول قضايا النوع الاجتماعي 2010/2011، ص 16.

² - سناء العاصي مفتاح وآخرون، مسرد المفاهيم والمصطلحات، النوع الاجتماعي، المبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية، مفتاح، رام الله، فلسطين، 2006، ص 09.

³ - عبد السلام بشير الدويبي، علم الاجتماع الطبي، دار الشروق للطباعة والنشر، عمان، الأردن، 2005، ص 104.

⁴ - نرا قاسم قادر، الجندر والجنس مفهومهما وآثارهما في أحكام قانون الأحوال الشخصية، ص 07.

3. المصطلحات ذات الصلة:

نجد الكثير من المفاهيم والمصطلحات التي تقع في دائرة الحقل الدلالي للجنندر أو (النوع الاجتماعي) والتي من شأنها توضيح المصطلح وأبعاده أكثر فأكثر.

إن تعريف وتحديد المفاهيم والمصطلحات الأساسية باللغة العربية لموضوع النوع الاجتماعي (الجنندر) قد أصبح من الأمور الضرورية وخاصة أن العديد من المراكز الأبحاث والدراسات العربية والمنظمات الدولية قد نشطت لإيجاد ترجمة لهذا المصطلح وبالتالي تعريف المفاهيم والمصطلحات المرتبطة به.¹

3.أ- الجنس: يشير إلى المفهوم البيولوجي لكل من الرجل والمرأة (الذكر والأنثى) (الولد والبنت).²

- لغة: جاء في لسان العرب لابن منصور: " جنس الجنس الضرب من كل شيء، وهو من الناس، ومن الطير ومن حدود النحو ... والجنس أعم من النوع، ويقال هذا يجانس هذا أي يشاكله ... والحيوان أجناس: فالناس جنس، والإبل جنس ... " ³.

- اصطلاحاً: إنه صفة مميزة أو خاصة يتم من خلالها تصنيف الكائنات الحية إلى أنثى أو ذكر على أساس أعضائهم التناسلية ووظائفها، أو هي تصنيف الذكوري أو الإناث على أساس المعايير عديدة من بينها الخصائص التشريحية والكروموزومات. وتعرف منظمة الصحة العالمية الجنس بأنه: (يشير إلى الخصائص البيولوجية والفيزيولوجية التي تحدد الرجال والنساء).⁴

ويشير إلى التصنيف البيولوجي للذكورة والأنوثة اعتماداً على التركيب الجيني والتشريحي والهرموني وهو المصطلح الوحيد الذي يتناول البعد البيولوجي من بين المصطلحات المطروحة في هذا المجال.⁵

كما يحتوي المعنى العام لكلمة الجنس والجنسانية (Sex Sexuality)، على مجموع الطبائع الجسمية والفيزيولوجية الخاصة بالذكور (الجنس الذكري) والإناث (الجنس الانثوي) كما أنها تخلق وتناسل فرق وفوارق ليس على مستوى ما ذكرنا أعلاه، ولكن أيضاً سيكولوجياً....⁶

¹ - سناء العاصي مفتاح وآخرون، مسرد المفاهيم والمصطلحات، النوع الاجتماعي، ص 06.

² - حسين أبو رياش وآخرون، الإساءة والجنندر، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص 222.

³ - ابن منظور جمال الدين أبي الفضل، لسان العرب، ج8، دار المصرية للتأليف والترجمة، المؤسسة المصرية العام للأبناة والنشر، القاهرة، مصر، ص 342.

⁴ - نراقاسم قادر، الجنندر والجنس مفهومهما وآثارهما في أحكام قانون الأحوال الشخصية، ص 11.

⁵ - محمد عودة الريمائي وآخرون، علم النفس العام، دار المسيرة للطباعة والنشر، البحرين، ط5، 2014، ص 457.

⁶ - حسين أبو رياش وآخرون، الإساءة والجنندر، ص 312.

3.ب- النمط الجنسي: إن التمييز يستند للبنية البيولوجية للنساء أو الرجال وتبعاً لهذه البنية تنسب إليهم القدرات العقلية والعاطفية إذ يعد إظهار الرجل للعدوان أو التصريح به نوعاً من التمييز الجنسي وكأن العدوان فطري، في حين نتجاهل في واقع الأمر التأثير الكبير للتعليم المبكر الذي يحدث أثناء الطفولة فيشجع الأولاد على العدوان الظاهر ضد الآخرين.

3.ج- الجنس والنوع: مفهوم النوع يختلف عن مفهوم الجنس وهذا الأخير يشير إلى الاختلافات البيولوجية بين الذكر والأنثى في حين يشير مفهوم النوع إلى التكوين الثقافي والاجتماعي الذي يجعل من الذكور رجالاً والإناث نساءً أو لكل منهما أدوار ووظائف محددة¹.

3.د- مفهوم علاقة النوع الاجتماعية: هو عملية دراسة للعلاقات المتداخلة بين المرأة والرجل في المجتمع وتسمى هذه العلاقة النوع الاجتماعي (Gender relationship) وتحددها وتحكمها عوامل مختلفة اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية وبيئية عن طريق تأثيرها على قيمة العمل بأدوار الإنجابية والإنتاجية والتضمينية التي يقوم بها كل من المرأة والرجل وعادة ما يسود تلك العلاقة عدم الاتزان على حساب المرأة في توزيع القوة، ويتبع ذلك أن يحتل الرجل مكانة فوقية تأخذ المرأة وضعاً ثانوياً في المجتمع.²

3.هـ- السيطرة الأبوية patriarchy: تعتبر ممارسة قديمة الازل في جميع المجتمعات (المتقدمة والأقل نمو) حيث يعتبر الرجل داخل الأسرة الأب الروحي والمهني والمسيطر على الموارد والقرارات وفي نطاق خارج الأسرة يحوز الرجل دائماً على المناصب الإدارية والشرعية والتنفيذية وهو دائماً له نصيب أكثر في فرص التعليم والتوظيف والتدريب والثروة.³

3.و- التمكين أو التقوية women's empowerment:

وهذا المفهوم يعبر عن قسط من الأهمية باعتباره عنصراً حيوياً لا يمكن تجاهله في العملية التنموية، فعملية التمكين تعني بصورة خاصة: العمل الجماعي في العمليات المجموعات المقهورة أو المتصاعدة لتخطي العقبات وأوجه التمايز التي تقلل من أوضاعهم أو تسلب حقوقهم ومواجهتها والتغلب عليها وإن مفهوم التمكين والتقوية يعتبر هدفاً أساساً لتقدم المرأة، وتمكينها في اتخاذ القرار وللمطالبة بالحقوق والخدمات.⁴

¹ - سناء العاصي مفتاح وآخرون، مسرد المفاهيم والمصطلحات، النوع الاجتماعي، ص 06.

² - المرجع نفسه، ص 17.

³ - المرجع نفسه، ص 15.

⁴ - المرجع نفسه، ص 19.

3.ز- أدوار النوع الاجتماعي: ويعني هذا المصطلح أن الأدوار التي يقوم بها كل من الجنسين هي أدوار تشكلها الظروف الاجتماعية وليس الاختلاف البيولوجي..... إن أدوار النوع الاجتماعي هي تلك التي يحددها المجتمع والثقافة لكل من النساء والرجال على أساس قيم وضوابط وتصورات المجتمع لطبيعة كل من الرجل والمرأة، الذكر والأنثى وقدرتهما واستعدادهما، وما يليق بكل منهما حسب توقعات المجتمع.¹

3.ح- أهداف الجنود: وهي عبارة عن تغيرات والانعكاسات الملموسة والواضحة للتغيرات في الحياة الاجتماعية ومن أمثلتها المشاركة المتزايدة للمرأة الريفية في الإنتاج الزراعي والشراكة المتزايدة بين الأزواج والزوجات في العمل المنزلي ومهمات رعاية الأطفال والقضاء على الصورة التقليدية النمطية للأدوار الرجال والنساء في الكتب المدرسية وحماية المساواة في فرص التشغيل.²

إلا أنه يمكن اعتبار جملة الأهداف السابقة الذكر في خضم المصطلح أهداف معلنة لها جانب آخر يمثل الأهداف الخفية التي نستدرجها في الفصل الثالث من هذا البحث.

3.ط- النسوية: Femunism

هي بشكل عام (كل جهد نظري أو عملي يهدف إلى مراجعة واستجواب أو نقد أو التعديل النظام السائد في البنيات الاجتماعية، الذي يجعل الرجل هو المركز، هو الإنسان، والمرأة جنسا ثانيا أو (آخر) في منزلة أدنى.³

3.ي- المرأة في التنمية: (WID) هو اختصار لمصطلح إنجليزي: Women in Development ولقد انصبت الجهود الأولى في سبيل إدماج المرأة في عملية التنمية على إبراز الأدوار المهمة التي تؤديها النساء، وعلى إعداد الوثائق عن وضع المرأة الذي لا يتسم بإنصافها في المجتمع ولا ضمن عملية التنمية وتحليل الجنس المقسم على أساس (الذكر والأنثى) يتناول أنشطة ومسؤوليات كل من النساء والرجال والتأثر المتماثلة أو المتباينة التي قد تتركها السياسات وأنشطة البرامج والمشاريع على كل منها.⁴

3.ك- (CEDAW): والاسم الإنجليزي للاتفاقية هو: Convention on Elimination and

All .forms of diskrimination against women. والمعروفة باختصار (CEDAW) وهذه

¹ - المرجع السابق ، ص 10.

² - المرجع نفسه ، ص 15.

³ - رياض قريش، قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، دار حضر موت للدراسات والنشر، الجمهورية اليمنية، ط1، 2008، ص 63.

⁴ - سناء العاصي مفتاح وآخرون، مسرد المفاهيم والمصطلحات، النوع الاجتماعي، ص 27.

الاتفاقية متطورة من معاهدة حقوق المرأة السياسية لعام 1952م، والتي تبنتها الأمم المتحدة، ثم أعدت إعلان خاص بإزالة التمييز ضد المرأة وأجيز للإعلان عام 1967م، ودعا إلى تغيير المفاهيم وإلغاء القوانين والعادات السائدة التي تفرق بين الرجل والمرأة، ثم بدأت المفوضية بعد إجازة الإعلان في إعداد معاهدة القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة غي عام 1973م وأكملت إعدادها في عام 1979م اعتمدها الأمم المتحدة في 18/12/1979م، وأصبحت سارية المفعول في 03/12/1981م بعد توقيع خمس دول عليها.¹

وهناك مجموعة من المصطلحات والمفاهيم بالإضافة إلى ما درج استخدامه من كلمات ارتبطت بمجال المرأة في التنمية (WID) والجنندر والتنمية (GAD) وغالبا ما يواجه العاملون في مجال التنمية والباحثون والمدرسون والمهنيون كافة الصعوبات في إيجاد التعريفات واضحة محددة لها في اللغة العربية.

4. الجنندر النشأة والتطور:

بعد كل ما أدرج عن المرأة في الفصل الأول من اضطهاد عانته في الغرب سواء بالنسبة للإيديولوجية اليونانية والرومانية أو الميثولوجيا اليهودية والمسيحية على التوالي باعتبارها قواعد منهجية لها، كانت جملة هذه القواعد تؤرقهم مما أدى إلى رد فعل يهدف إلى إحداث قطعية إبستمولوجية مع جملة الأفكار الواردة في تلك الايديولوجيات أو الميثولوجيات لأنهم ذاقوا ذرعا بما وباحتقارها للمرأة، وأنشأ في ضل هذا الفكر الخاطيء مبدأ استعلاء الرجل عن المرأة، وسيادته المطلقة عليها وأصبحت المرأة تابعة للرجل وخاضعة لسلطته في كل شيء وهذه الهيمنة الرجولية كانت مدعمة من قبل النظام الاجتماعي القائم في كافة النسق الاجتماعية، فلما شعرت المرأة بثقل وازدياد هيمنة الذكورية بدأت مرحلة النقد والتذمر، وظهرت كتابات ومفكرات وطنيات في أوروبا يصرحن لمساوي هذه الهيمنة الذكورية ويبدن معارضتهن للاضطهاد الاجتماعي الذي يمارس عليهن من قبل المجتمع.²

وقد كان هذا الوضع السائد بمثابة العامل الأساسي في بروز المطالبة بحقوق الفرد وحمايتها في المجتمع وقد دعى إلى ذلك جمع من الفلاسفة والمفكرين في أوروبا، كما يدعون إلى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل (جون ستوروات مل) واستقلالهن من خلال فتح فرص العمل والمساواة في الأجور مع الذكور...

في ظل هذا الظلم والعبودية للرجل التي عاشتها المرأة في الحضارات الغربية والعصور القديمة ظهر الفكر النسوي كفلسفة ورؤية إلى الوجود.³

¹ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحر المرأة من المساواة إلى الجنندر، ص 301.

² - نراقاسم قادر، الجنندر والجنس مفهومهما وآثارهما في أحكام قانون الأحوال الشخصية، ص 14.

³ - خالد قطب وآخرون، الحركة النسوية وخلخت المجتمعات الإسلامية، دار البيان للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط 1، 2006. ص 26-28.

إن التحاق كل من الاقطاعية وفلسفة العبادة المسيحية ونظم الأخلاق السائدة آنذاك قيد الروح البشرية بقيود مثقلة غير طبيعية وسد في وجهها جميع السبل للرقى والازدهار، فالنظريات التي قدمها أساطين أوروبا الجديدة، وأقطاب الأفكار الجديدة فيها للقضاء على ذلك النظام الفاسد، واستبدال نظام جديد به اسفرت عن ثورة فرنسا الشهيرة.... التي كانت ناجمة عن الإفراط في التشدد بمفهوم الحرية عن طريق هدم القواعد المرجعية وتفكيكها بما فيها من أخلاق ونظريات دينية.

لتبدأ فيها بعد الحركات النسوية بالظهور مكالبة بالحرية بعد فتح المجال لهم الذي كان مغلقا فيما سبق قبل الثورة الفرنسية، وتشكلت على مدى قرنين من الزمن (التاسع عشر والعشرون ميلادي) في أوروبا وأمريكا من خلال عدة مؤسسات وإتحادات ومنظمات نسائية..... وكانت هذه الحركة تطالب في أول الأمر ببعض حقوق المرأة كالتعليم وحق العمل، ثم أصبحت تطالب بحق المرأة السياسي وأخيرا أصبحت تنادي بالمساواة التامة مع الرجل في جميع مجالات الحياة، واعتبار العلاقة مع الرجل علاقة تنافس وتضاد ونتيجة لذلك أصبحت هذه الحركات تنادي بالحرية التامة للمرأة.¹

وبالتالي فإن الانتقال هنا قدم مراحل ثلاث هي:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة المطالبة بالحرية والتي كانت من شأنها جعل صوت المرأة يصل إلى العالمية وإلى المحافل الدولية خاصة.

المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي طالب فيها الحركات النسوية بالمساواة التامة مع الرجل خاصة بعد وصول صوت المرأة إلى العالمية عن طريق المحافل الدولية ومنابر الخطاب.

المرحلة الثالثة: والتي نجح فيها الإفراط في المطالبة بالمساواة والحرية مما أدى الظهور أفكار جديدة متفارقة تحت اسم الجندير.

لم يكتفي الفكر النسوي الغربي المعاصر بالدعوة إلى تحرير المرأة من المعتقد الديني فحسب، بل امتدت دعوة هذا الفكر في النصف الثاني من القرن العشرين إلى إلزام الدول والشعوب الغير الغربية بتبني أفكاره وتصوراتها ومناهجه عن طريق اتفاقيات دولية تقرها الأمم المتحدة والمجالس والهيئات التابعة لها، حيث تلتزم الأمم المتحدة الحكومات والمنظمات الغير حكومية بالالتزام بتنفيذ بنود والتوصيات الخاصة بالمرأة.²

¹ - فؤاد بن عبد الكريم عبد الكريم وآخرون، العدوان على المرأة في المؤتمرات الدولية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 2005، ص 33.

² - عند الله العرادي، مفهوم الجندير وصحة الأمومة، ص 08.

وبالتالي فإن أقصى ما وصلت إليه الحركات النسوية عامة والمتطرفة منها بالتحديد هو الفكر الجندري، وما يسمى بالفلسفة الجندرية (النوع الاجتماعي) بمفهومه الغربي المحض.

ومن أول المستخدمين لمصطلح الجندر لتمييزه عن الجنس لأي آداب العلوم الاجتماعية، هي آن أوكلي في كتابها الصادر عام 1972م، (الجنس والجندر والمجتمع)، وفي الكتاب الصادر عام 1978م، الجندر" مقارنة اجتماعية منهجية، جادلت أستاذتا علم النفس سوزان.ج. كسلير، و ويتدي كامينا، أن " الجندر بناء اجتماعي، وأن عالم الجنس نتيجة للطرق المفروضة والمشاركة اجتماعيا التي يستخدمها الأولاد لبناء الواقع.

ولقد انتشر مصطلح الجندر بشكل واسع في التسعينات من القرن العشرين، وتطور مفهومه من مصطلح لغوي إلى نظرية وفلسفة للحركة النسوية الجندرية (Feminism GENDER)¹، بدء الجدل حول هذا المفهوم منذ أواخر التسعينات من القرن الماضي ومن منطلق الدعوة للانحياز المباشر والضماني لتعزيز موقف المرأة وحقوقها المتباينة في المجتمع المعاصر وقد انطلقت هذه الدعوة من عمق الحداثة الأوربية والأمريكية وكانت واضحة من خلال أنشطة الهيئات والمنظمات الدولية وخاصة في أوساط مجتمعات الدول النامية، وقد عقدت لهذه الدعوة مؤتمرات وفعاليات عالمية ودولية.....²

حيث ذكرت كلمة الجندر 254 مرة في المؤتمر الدولي الرابع حول المرأة الذي عقد في بكين عام 1995م خلافا لمؤتمر السكان والتنمية الذي عقد في القاهرة ولم تذكر فيه كلمة الجندر سوى 51 مرة وقد ترجم مصطلح الجندر في اللغة العربية إلى "نوع الجنس" ومرة "الجنس" ومرة أخرى "الفروق بين الجنسين" ثم كثر ظهور هذا المصطلح في المؤتمرات الدولية ومها مؤتمر التمكين والانصاف المنعقد باليمن عام 1999م المعروف بمؤتمر المرأة الذي كرس مصطلح الجندر فيه وأعتبر مصطلح التخاطب بين المؤتمرين.³

وظهر في الموثيق الدولية إعتبارا من مؤتمر السكان بالقاهرة عام 1994 ولم يصل المعنى المقصود منه إلى الكثير من الدول..... وفي مؤتمر بكين للسكان الذي عقد عام 1998م، تم التركيز بشكل مكثف على استخدام مصطلح الجندر باعتباره أساس الدعوى إلى إلغاء كافة الفوارق التي من شأنها التقيص من حقوق المرأة وتعطي للرجل حقوق أكثر من المرأة..... في مؤتمر روما الخاص بإنشاء المحكمة الدولية عام 1998م تم التأكيد

¹ - نرا قاسم قادر، الجندر والجنس مفهومهما وآثارهما في أحكام قانون الأحوال الشخصية، ص 17

² - عند الله العرادي، مفهوم الجندر وصحة الأمومة، ص 25.

³ - المرجع نفسه، ص 09.

على أن كل تفرقة أو عقاب على أساس الجندر بشكل جريمة ضد الانسانية وهو ما يبرز المعنى المقصود دوليا من مصطلح الجندر...¹.

وفي الكتاب الكلاسيكي المؤيد للمساواة بين الجنسين (الجنس الآخر) عام 1949م، كتبت سيمون دي بوفوار أن (المرأة لا تولد امرأة، ولكن تصبح امرأة)، وأن هذه الفكرة نسخة مبكرة عن التمييز المألوف في يومنا هذا بين الجنس كتحديد بيولوجي والجندر كتنشئة ثقافية، فعلى الرغم من أن الشخص يولد كما تفسر جمعية علم النفس الأمريكي مع الكروموزومات وهرمونات وتشريح الداخلي وخارجي للأنتى يفرض عليه المجتمع أخذ الأدوار والسلوكيات والأنشطة والصفات التي تخص المرأة.

بعد الفشل الذي أصاب مفهوم الجندر في العالم الإسلامي حاول المهتمون بقضايا المرأة والجندر تغير صورتهم الشنيعة إلى صورة مقبولة إلى حد ما في داخل المجتمعات الإسلامية، وكان من أهم المؤتمرات مؤتمر القاهرة عام 1994م إعادة طرح موضوع الجندر من جديد مقبول إلى حد ما (النوع الاجتماعي).²

وفي المؤتمر الثالث للإصلاح العربي بالإسكندرية 2002/03/19م بعنوان "تمكين المرأة" قد شددت الدكتورة كاميليا حلمي باللهجة بخصوص الجندر (النوع الاجتماعي) وما يحمله ومن فكر متطرف، وتحذر ورقة د. كاميليا من سعي الانثوية إلى تعميم علاقات ومفهوم النوع وأوضحت الورقة أن السبيل لتعميم تلك الأفكار الشاذة هو عولمتها وختمها بحتم الأمم المتحدة التي استولت الحركة الوطنية النسوية المتطرفة على لجنة المرأة فيها ونجحت في صياغة هذا الشذوذ (الوثائق الدولية) مروراً باتفاقية (القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة 1979م CEDAW) ووثيقة مؤتمر لسكان 1994م ووثيقة بيكين 1995م وحتى اتفاقية حقوق الطفل 1990م وتلتها وثيقة عالم الجدير للأطفال 2002م فغدا هذا العوج الفكري والشذوذ السلوكي جزءاً من المنظومة الغربية التي يراد فرضها بالعمولة على العالمين.³

هذا في بداية حديث الدكتورة العام وأشارت كاميليا حلمي إلى مطالبة تلك الحركات بإعادة صياغة اللغة وهنا ظهر مصطلح النوع (gender) بدلا من رجل وامرأة لوصف علاقة الجنسين وتوسيع مفهوم الأسرة لتكون هنالك أسرة تقليدية وأسرة غير تقليدية، لا نمطية وخاصة الشاذين جنسياً أو مجموعات إباحية تعيش مع بعض، وكلمة الأدوار النمطية لوصف الأدوار الأساسية لكل من الرجل والمرأة في الأسرة، وكلمة يقولون (حق المرأة في

¹ - المرجع السابق، ص 25.

² - المرجع نفسه، ص 09.

³ - قدرني فني حنفي وآخرون، تمكين المرأة، المؤتمر الثالث للإصلاح العربي، تحديات والمشاكل التي تواجه منظمات المجتمع المدني، مكتبة الاسكندرية، منتدى العربي للإصلاح، 1-3 مارس 2006، ص 11.

الاختيار) بدلا من الإجهاض وقتل الجنين وغير ذلك وأكدت أن " مكمّن الخطر هنا، فإن الذي تغير ليس الحروف والكلمات وإنما مضامين ومعاني وثقافة وفكر"¹، وكل هذا يندرج تحت نسق التلاعب بالمصطلحات بغية تمريرها لمشاريع في قالب يحمل صفة الإنسانية عاداتا ومن خلال ما سبق، يتضح أن الجنندر والنوع الاجتماعي وجهان لعملة واحدة، غير أن النوع الاجتماعي جاء بثوب عربي مهجن كغيره من المصطلحات المعاصرة التي حاول أذيال الغرب في بلاد الإسلام تهجينها مثل الاشتراكية الإسلامية، الديمقراطية الإسلامية..... إلخ، والجنندر بثوب غربي صرف².

والأدهى من ذلك والأمر هو أن هذه المشاريع أصبحت اليوم تمرر في شكل دسائس دون الاطلاع عليها فمثلا فيما يخص قانون إلغاء الولي في قانون الأسرة في المادة 11 قبل التعديل نصت (يتولى زواج المرأة وليها وهو أبوها أو أحد أقاربها الأوليين والقاضي ولي من لا ولي له) ولكن بعد التعديل الناجم عن ضغوطات لجنة CEDAW الذي لازال يشوبها التحفظ شكليا في الدولة الجزائرية جاءت المادة على النحو التالي: (تعقد المرأة الراشدة زواجها بحضور وليها وهو أبوها أو واحد من أقاربها أو أي شخص تختاره.....) وبالتالي أصرحت القاعدة القانونية ضمنية وليست صريحة وذلك بإضافة عبارة أي شخص تختاره " جعلت حضور الولي أو غيابه سواء"³، ومنه فإن الولي في عقد الزواج معلوم ويعرفه العام والخاص وكذلك فيما يخص إلغائه ولكن CEDAW مجهولة وكذلك الأمر فيما يخص الجنندر ولو سألت عنه أحد من العامة لابتسم عن جهل.

¹ - قدرتي فني حنفي وآخرون، تمكين المرأة، ص 11.

² - المرجع نفسه، ص 10.

³ - m=1_laidbenzebta.blogspot.com/2016/04blog-post_2.html تاريخ التصفح، 2017/04/19، على الساعة، 20:01

المبحث الثاني: الأبعاد الفلسفية للفكر الجندري:

لقد اتخذ الفكر النسوي أبعاد تشعبت بمرور الزمن، انطلاقاً من الماهية نحو الاصطلاحية ليصطبغ بعدة صبغ، انطلاقاً من بعدها التاريخي والذي خلاله ولجت النسوية السياسة والقانون والاجتماع وحتى الجانب العقائدي لتحمل في الأخير طابعا معرفيا بلغ التنظير أو الاستيمولوجيا، وبالتالي فإننا نحاول من خلال هذا المبحث إبراز العلاقة بين الفكر الجندري والفلسفة ومباحثها وذلك باعتبار أن الجندر في الآونة الأخيرة اتخذ أبعاداً اختلفت مجالاتها إلا أنها اتحدت في حملها طابع الفلسفة وبالتالي فإننا نتساءل دائماً ما هي علاقة الفكر الجندري بالفلسفة؟ أو بالأحرى ماهي الأبعاد الفلسفية التي اتخذها الجندر؟

1. الجندر والانطولوجيا:

ولنحترم الترتيب والتعقيب الفلسفي لمباحث الفلسفة وجب أن نستهل الحديث عن علاقة الفلسفة بالجندر بأول مبحث من مباحث الفلسفة وهو الأنطولوجيا أو الوجود وبالتحديد "الوجودية"، والوجودية بالمعنى الخاص هي المذهب الذي عرضه (ج.ب. سارتر (1905 م)) في كتابه الوجود والعدم L'etret lé néant ونشره في الجمهور بواسطة مسرحياته ورواياته ومقالاته وخاصة هذا المذهب قول سارتر: أن الوجود متقدم على الماهية وأن الإنسان مطلق الحرية في الاختيار، يصنع نفسه بنفسه ويمليء الوجود على النحو الذي يلائمه¹.

بجديته عن هذا عن سبق الوجودية للماهية وخاصة عن الحرية قد فتح باباً لفكر جديد لم يكن متداولاً من قبل (الماهية تسبق الوجود) وقد تأثر به الكثير بل من أنشطهم عشيقته وشريكته (سيمون دي بوفوار) صاحبة كتاب الجنس الآخر الخاص ببيان النظرة الوجودية للقضية النسوية².

وتقول دي بوفوار في مستهل كتابها الجنس الآخر: كل شخص يميل على تأكيد نفسه تأكيداً فعلياً ملموساً من خلال المشاريع والأهداف ولا يحقق حريته إلا بارتقاء مستمر وتسام مضطرد نحو مستويات أخرى، ولا يمكن تبرير الوجود الحالي إلا من خلال التفتح نحو المستقبل³.

ونلمس من كلامها هذا تأثيراً واضحاً وجلياً بالوجودية لا أنها قامت بتغيير الصياغة أو الألفاظ فقط فتأكدت النفس فعلياً يرمي إلى فكرة الماهية والوجود كفكرة سابقة الذكر لدى سارتر حاولت دي بوفوار أن تستخدمها في

¹ - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، 1982، ص 565.

² - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحر المرأة من المساواة إلى الجندر، ص 98.

³ - سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، تر، لجنة من الأساتذة، (د.د)، (د.ت)، <https://www.kutub-pdf.net/book/6321-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%86%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%A2%D8%AE%D8%B1.html>

ص 11

تبرير موقفها لتعود مرارا وتكرار لنفس الفكرة العامة التي تقوم عليها الفلسفة الوجودية في إقامة فلسفتها الجندرية، ولكن في أشكال اختلفت حيث تقول في نفي الفروق البيولوجية، لا يمكن أن تقارن بين الأنتى والذكر في النوع البشري إلا من الزاوية الإنسانية، ولا يعرف الإنسان إلا بأنه كائن غير معطى وأنه يصنع نفسه بنفسه وتقرر ما هو عليه"¹. فرمما تكون الفكرة الوجودية متجذرة في التاريخ -اعرف نفسك بنفسك- إلا أن التأويل أُنذاك لم يحمل هذا الطابع ولم يبلغ ما بلغ مع سارتر أو مع دي بوفوار على حد سواء بالإضافة إلى لجوئها للنقد الذي وجهته الوجودية للفرويدية التي تعي هذه المدرسة بأن حرمان الأنتى من عضو الذكر ولد مركب نقص يلازمها طوال حياتها ويعتبر اصحاب هذه المدرسة الحقيقية الأولى للإنسان علاقته بجسمه الخاص وجسم أمثاله ضمن المجتمع². وهذا ما ترفضه أيضا دي بوفوار لأنه يشكل عائقا في اثبات نظريتها والغاء الفوارق السوسولوجية ما جعلها تستعمل نقد الوجوديين حيث أن الوجودية تفرض هذا الرأي وتعتبر أن مدرسة التحليل النفسي تفشل بصورة خاصة أن تفسر لماذا تكون المرأة (جنس آخر) لذلك ترفض التحليل النفسي"³. وبالتالي فإن النسوية قد اتخذت بعدا فلسفيا وجوديا منذ بدايتها وذلك في تبرير مختلف افكارها بدليل ما قامت به سيمون دي بوفوار على غرار أنها كانت عشيقة لصاحب المذهب الوجودي سارتر، حيث كان نقطة انطلاق لفكر الجندر الذي تشعب فيما بعد حيث تقول ديبوفوار في التنشئة محاولتنا إقرار مبدأ الوجودية (الوجود يسبق الماهية)، (لا يولد المرء امرأة بل يصير كذلك)، وتضيف قائلة: "إن سلوك المرأة لا يفرضه عليها هرموناتها ولا تكوين دماغها بل هو نتيجة لوضعها"⁴. وبالتالي فإن الفلسفة الوجودية لسارتر تعد كمصدر أو قاعدة مرجعية للفلسفة الجندرية كانت دي بوفوار تعود إليها في كل مرة بغرض إثبات وجهة نظرها وهذا ما جعل الفكر الجندري يحمل الطابع الفلسفي إذ لم يقتصر على الوجودية فقط.

2. الجندر والاكسيولوجيا:

لقد استندت الفلسفة النسوية والجندرية في بناءها ونظرياتها القيمية الاكسيولوجية إلى عدة مذاهب فلسفية وإلى فلاسفة ومفكرين يتفقون مع النسق النسوي والمنظور الجندري، وذلك بغرض جعل قاعدة الجندر كقاعدة مؤسسة تأسيسا صلبا غير هش، لا يقبل النقد على الإطلاق.

¹ - المرجع السابق ، ص 19.

² - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرر المرأة من المساواة إلى الجندر، ص 98.

³ - المرجع نفسه ، ص 99.

⁴ - المرجع نفسه، 102.

2.أ- الجنسانية: أو جعل المتعة الجنسية غاية عليا، أصبحت واحدة من ركائز المجتمع المعاصر وسمة بارزة فيه، أصبحت اللذة الجنسية غاية تسموا على الأخلاق والقوانين والأعراف وأصبحت نزعة فلسفية عند الكثير من المدارس تفسر بها الدوافع والسلوك والتحويلات المجتمعية الكبرى، وتقيم بها درجة انفتاح المجتمعات ورفيها ومدنيتها¹.

كما أن الجنسانية والجنس أمر متجذر في التاريخ أي منذ اليونان وأفلاطون والمشايعه كما سبق وذكرنا مروراً على اليهودية كديانة بعد تعريفها طبياً - لكي تحدثنا عن زنا الأنبياء (حاشاهم ولعنوا بما قالوا) ويحدثنا سفر الملوك الأول الإصحاح الحادي عشر: "وأولع سليمان بنساء غريبات كثيرات"². لذا نجد أن الأمر هنا لم يصبح يقتصر على الفكر اليوناني أو الروماني بل لقد حاولوا تمريره من خلال نقله إلى الديانات وذلك بعد التحريف والتأويل طبعا، لتأتي بعدها المسيحية لتحد من فسق اليهود وشذوذهم لكنها سارت في الاتجاه المعاكس تماما وابتدعت النصراني الرهينة واعتبرت الجنس قذارة ودناسة لا يليق بمن يبغى المقدس³. حتى الراهبات والقسيسون توجهوا إلى الزهد ولم يكن واردا لهم باعتباره قائما على علاقة جنسية. وبما أنه لكل فعل رد فعل فهذا ما ساهم في ظهور موجة الجنس العارمة وذلك بعد عصر النهضة، انفلت الناس من قيود الكنيسة الكاثوليكية بل وأفرطوا في الطغيان الجنسي وعندما جاءت فترة الإلحاد بعد الكشوفات العلمية زاد الطين بلة وفي فترة الحداثة شاعت النظريات الجنسية بشكل عجيب، ومن أبرز تلك النظريات الفرويدية ومدرسة التحليل النفسي وكيف فسرت كل شيء بالجنس حتى الأحلام وحتى مص الطفل الرضيع لثدي أمه له تفسير جنسي عند فرويد (1939/1856م)⁴.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل امتزجت الجنسانية بالشيوعية آنذاك، وجاءت الشيوعية لكي تنادي بالمشايعة والإباحية ولكي تعتبر العمل الجنسي في مذهبها لا يغدوا أن يكون (كشربة ماء)⁵. ولقد كان لفلسفة هربرت ماركيزو المسماة (النظرية النقدية) دور كبير في الإباحية والجنسانية، حيث أن من أسسها "أنها تؤكد على انعتاق الغرائز الجنسية"⁶. ويعتبر ماركيزو أن التحرر الجنسي عنصر مكمل ومتمم لعملية

¹ - المرجع السابق، ص 141.

² - المرجع نفسه، ص 142.

³ - المرجع نفسه، ص 143.

⁴ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁶ - المرجع نفسه، ص 144.

التحرر الاجتماعي، وتظهر كتابات الثلاثينيات تعاطفا واضحا مع المذاهب المادية وخصوصا مذهب اللذة Hedonism ، ويدعوا في قضية التحرر الجنسي إلى إطلاق الحرية الجنسية بلا حدود سواء من ناحية الكم أو الكيف ويرفض ربط الجنس بالتناسل ويقر الانحرافات الجنسية (الشذوذ) وعجزها باعتبارها ثورة وتمرد ضد قمع الجنس وربطه بالنسل¹. ويؤكد في ذلك الفيلسوف البنيوي ميشال فوكو (1984/1926م) متسائلا مستنكر ربط الجنس بلا أخلاق لهذا يجعل السلوك الجنسي مسألة أخلاقية؟ ومسألة أخلاقية مهمة؟ وهكذا رفض فلاسفة الغرب الحدائون ومن جاءوا بعدهم ربط الجنس بالدين والأخلاق بل ربطوا قيده بالقيود العامة المختلفة في المجتمع وجعلوا من الإباحية مظهدا من مظاهر الانفتاح والانطلاق والتحرر والتقدمية والوثائق العالمية الآن تريد جعلها من حقوق الاساسية الابتدائية كإنسان².

وتقول نوال السعداوي في هذا: "إن كلمة الزنا أو الرذيلة أو الدعارة كلها تعني الممارسات الجنسية وكلمة الشرف أو الفضيلة تعني عدم استخدام الإنسان لأعضائه الجنسية إلا حسب القانون، وهذا بالطبع يقصد الشرف أو الفضيلة على عضو من أعضاء جسم الإنسان على أحد أنشطة الإنسان وهو النشاط الجنسي، الذي هو أيضا ليس أهم نشاط في حياة الإنسان³. وتواصل حديثها بالقول "ومن أجل رفع مستوى الشرف إلى درجة أخلاقية أعلى لا بد أن يتعلق الشرف برأس الإنسان لا بجزئه الأسفل ولا بد أن يكون كل فرد (رجل أو امرأة) مسؤولا عن سلوكه وعن أفكاره أمام الآخرين"⁴.

نلمس في كلاهما شيئا كبيرا من الصحة مادامت قد أشارت إلى جوهر الإنسان كونه حيوانا عاقلا "العقل" وشرف العقل حقا يعلوا شرف العضو على حد تعبيرها ويظهر جليا هنا تأثيرها كمفكرة نسوية بما سبق ذكره ميشال فوكو.

وتقول جوديت بتلر : "إن منظور المتكلم الفرد الذي يفترضه السؤال الأخلاقي وكذلك المخاطبة المباشرة إلى "أنت" بعينه يتعرضان لاختلال المسار بتأثير اعتماد المجال الأخلاقي اعتمادا أساسيا على الاجتماعي⁵. تناولت هذا بتلر في خضم حديثها عن الاعتراف بين الأنا والآخر، حيث تنفي ما هو اجتماعي في هذه العملية وترى أن المجتمع يؤثر تأثيرا كبيرا على الذات في إدراك ذاتها، فبالنظر إلى هذا الوضع من الخارج يكون أخلاقي

¹ - المرجع السابق، ص 145.

² - المرجع نفسه، ص 146.

³ - نوال السعداوي، الرجل والجنس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص 303.

⁴ - المرجع نفسه، ص 304.

⁵ - جوديت بتلر، الذات تصف المرجع نفسها، تر، فلاح رحيم، دار التنوير للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2014، ص 69.

"الآخر"، أما من الداخل لو تعمقنا "الأنا" فيكون تعسفا في حق الذات وقمعا لحريتها وبالتالي ما كان أخلاقي هنا قد يصبح غير أخلاقي، وهذا ما حدث على مر الزمن مع المرأة من تعسف وعدم اعتراف وتقول في ذات السياق الدكتورة نوال السعداوي " أن يصبح الإنسان عبدا للنظام الاجتماعي والاقتصادي في مجتمعه أمر غير أخلاقي وأنا اطالب بأن يكون الإنسان سيد مصيره قادرا على تغيير النظام الاجتماعي والاقتصادي الذي يسرق جهده ويستغله ويستحقه ويجوله إلى أداة وضحية في يد الظروف والقدر"¹. ولقد كان هذا الرفض لكل ما هو اجتماعي نتيجة حتمية لتأثر الفلسفة النسوية ببيئة نشوئها وتزامنها مع عدة مدارس منها الفردية.

2.ب- الفردية: وهي مذهب من يرى أن الفرد أساس كل حقيقة وجودية أو مذهب من يفسر الظواهر الاجتماعية والتاريخية بالفاعلية الفردية، أو مذهب من يرى أن غاية المجتمع رعاية مصلحة الفرد والسماح له بتدبير شؤونه بنفسه.²

وبعد ما أعطينا تعريفا عاما لهذا المذهب نذهب إلى ما يخص الاكسيولوجيا: في علم الأخلاق والسياسة يطلق على القول أن قيمة الفرد أعلى من المؤسسات المحيطة به لأن الفرد هو الغاية التي من أجلها وجدت الدولة فالمثال الأعلى للسياسة الصحيحة تحرير الفرد وتنمية نشاطه الراقى وإرجاع وضائف الدولة إلى عدد محدود كما في مذهب (سبنسر) أو إلغائها كلها كما في مذهب (الفوضويين)³.

ليصبح الشخص بالتالي غاية الدولة والدولة وسيلة لحماية حقوقه وحياته وليست العكس، وهذا ما تلائم مع الفكر النسوي على العموم والفكر الجندي. فمن الطبيعي جدا أن تكون الفردية واحدة من المنطلقات الأساسية للأنتوية وأن تؤكد أيضا على الفردية للمرأة وتحريرها من السياق الاجتماعي وإبرازها كند للرجل وعدم ربطها لا بالأسرة ولا المجتمع ولا الطفل.⁴

2.ج- النفعية ومذهب اللذة Hedonis: وهي تطور لفلسفة اللذة الأبيقورية حتى بلغت البرغماتية أو الذرائعية Pragmatism، ليسري على أثرها العديد من الفلاسفة والمفكرين على غرار ميشال فوكو، تستخلص الحقيقة من اللذة نفسها المتناولة كممارسة والمجتمعة كخبرة ويقول: تشكل اللذة غاية بذاتها فهي لا تخضع لا للمتعة ولا للأخلاق ولا لأية حقيقة علمية⁵. وقد كان من رواد هذه الفلسفة جون ديوي وبيرس وغيرهم

¹ - نوال السعداوي، الرجل والجنس، ص 309.

² - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص 141.

³ - المرجع نفسه، ص ص 141-142.

⁴ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرر المرأة من المساواة إلى الجندير، ص 129 .

⁵ - المرجع نفسه، ص 130.

وقد لاقت ترحابا كبيرا لتوافقها مع باقي المذاهب كالأناية والفردية والليبرالية، حيث يشرح محمد أسد هذه الحقيقة في الحياة الغربية فيقول: "إننا نجد في المبدأ الأساسي الذي تخضع له الحياة الاجتماعية في الغرب الآن تلك الفلسفة الأخلاقية الجديدة المبنية على الانتفاع تبرز للعيان شيئا فشيئا. وكل الفضائل التي تتعلق مباشرة برفاهية المجتمع المادية كالقدرة الفنية والوطنية والشعور القومي هي اليوم موضع مديح وترفع قيمتها فوق ما هو معقول بينما الفضائل التي ضلت تعتبر إلى اليوم من جهة قيمتها الخلقية الخالصة كالحب الأبوي والعفاف تخسر قيمتها بسرعة أنها تهب المجتمع فائدة مادية محسوسة"¹. وهذا بدوره ساهم هو الآخر في تغيير الأطر والمفاهيم والمنطلقات القيمة الخلقية من التواضع الاجتماعي إلى الأناية الفردية ومن الطابع المعياري الطبيعي إلى الطابع النفعي الكمي، وهذا ما يمكن أن نلمسه فيما يلي في البيوتيقا.

2.د- الجنود والبيوتيقا: إن كلمة البيوتيقا تعني اليوم فضاء متميز للنقاش الأخلاقي يضم كل الشرائح

حول توجهات البحوث الطبية والتطبيقات العلاجية التابعة لها، هذا الفضاء للنقاش يكون قد شجع على بروز مجال معرفي تتدخل فيه مختلف النشاطات والذهنيات وهو دلالة على تعقيد المسائل المطروحة في هذا الصدد، كما أنه تسبب في وضع مجموعة من الحدود والقوانين التي تسمح بتنظيم الممارسة الطبية والعلمية بشكل عام ولما لا تكون واحدة من رهانات الفلسفة القادمة².

بالتالي هو يعبر عن الأطر الأخلاقية للممارسة الطبية وقد نهضت الفلسفة الجنودية واقفتا في وجه الدين ومختلف الايديولوجيات التي تحرم الإجهاض وتحديد النسل وعمليات التصحيح الجنسي وغيرها، حيث تقول نوال السعداوي: "يجب للمرأة أن تستخدم من وسائل منع الحمل ما يناسبها وهي صاحبة القرار فيما يخص حياتها وجسدها والجنين داخل جسدها، إن اكتشاف وسائل منع الحمل واكتشاف وسائل الاجهاض الطبية التي لم تتم بغير ألم أو بغير تخدير كل ذلك مساهمة في تصحيح الخطأ التاريخي الذي بمقتضاه امتلك الرجل الجنين داخل جسد المرأة، وهي صاحبة القرار بالاحتفاظ به أو عدم الاحتفاظ به، ومنه فإن أي محاولة لمنع المرأة من هذا الحق ومن هذه الحرية هو سلوك غير أخلاقي في نظر الفكر الجنودي، وهو قمع لحياتها الشخصية ويعد تعسفا في حقها ونافيا للمساواة".

¹ - المرجع السابق، ص 130-131.

² - محمد جديدي، البيوتيقا ورهانات الفلسفة القادمة، محاضرة أقيمت خلال الملتقى الدولي الثالث للفلسفة، المنعقدة بالمكتبة الوطنية، الجزائر العاصمة، يومي 25-26 /أفريل/ 2007.

ولم يتوقف الأمر هنا بل ذهب إلى عمليات التصحيح الجنسي أو التحول الجنسي، المقصود بالتحول الجنسي تلك العملية التي يتوجه إليها أصحابها لتغيير جنسيتهم من الذكورة إلى الأنوثة أو العكس، وهم أسوياء من الناحية الطبيعية بمعنى أن جنسهم واضح الذكورة أو الأنوثة ...¹. ونشأ ذلك لرفض العقل للجسد وعدم تناسقهما وحتى وإن كان ذلك أمراً غير محبذ لا دينياً ولا أخلاقياً إلا أن نفي الفوارق البيولوجية والنوع البيولوجي والاعتماد على النوع الاجتماعي يجعل الأمر هامشياً غير مهم من حيث الجانب القيمي والأخلاقي، بل ليأخذ الأمر سياقاً آخر وهو الشذوذ الجنسي كظاهرة قديمة عرفت منذ اليونان كما سبق وذكرنا وبناءً على كل ما سبق من تطرق لمذاهب وتيارات. كل تلك وغيرها دفعت بهم إلى معادات هذه الفاحشة وعلى نطاق واسع وبشكل جماعي كتيار جارف شمل شرائح المجتمع، ففي حين كانت هذه الفاحشة فردية وسرية أصبحت منذ الستينات جماعية وعلنية ونظم أهلها أنفسهم في تنظيمات متعددة وبأسماء متعددة للمطالبة بحقوقهم أو بحقوقهن سواء الذكور الذين يعرفون بـ (GAY) أو الإناث اللاتي تعرفن بـ (Lesbian). ولم يقف الأمر هنا وحسب بل كانوا مرارا وتكرارا يحاولون المطالبة باعتراف والحقوق من خلال المؤتمرات العالمية والتكتل في أشكال مختلفة، وقد وجدت الفلسفة الجندرية النسوية مخارجاً للتخلص من سلطة الرجال تماماً من خلال السحاق (Lesbian) فإن الأنثوية المعاصرة بعد الموجة الراديكالية اعتبرت الشذوذ الجنسي شكلاً محتملاً للخروج من سيطرة الرجل وبديلاً ملائماً للتخلص من هيمنته، أي تم الانتقال من المساواة إلى الاستعلاء ثم الاستغناء.

إلا أن هذا يبقى غير أخلاقياً وتنكراً للأدوار الاجتماعية الحقيقية بعد تغيير راديكالي جندي في المفاهيم، وهذا كله ناجم عن تأثر الفكر النسوي الأخلاقي خاصة بالعلمانية لبيتعد عن تواضع المجتمع ويرتبط بالجنسانية والنفعية لبيتعد عن المعايير والقيم العليا ويتيه وسط صدام بين ما هو فردي في شكل الحرية وما هو جماعي في شكل القيم، والقواعد الأخلاقية، بحيث أنه إذا كانت الأخلاق هدفها تحقيق الصالح العام "السعادة" فإنها من منظور النسوية قد تعسفت في حقوقهم فاستبدلوها بالحرية وأي حرية المطلقة لتتحول من فضيلة إلى رذيلة باعتبار أن الفضيلة وسط بين رذيلتين أو كما سمها أرسطو الوسط الذهبي ... وبين الكتمان والترثرة فضيلة الأمانة وبين الكسل والجشع وفضيلة الطموح ...².

¹ - مجلة عليية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، المجلد 5، العدد 01، آذار 2015، ص 214.

² - ول ديورانت، قصة الفلسفة، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط5، 1985، ص 87.

3. الجنندر والابستيمولوجيا:

إن فلسفة النوع الجنسي (الجنندر) أو النوع الاجتماعي خروج من نطاق الخصوصية الجنسية للذكر والأنثى إلى الأنماط الجديدة تحدد النوع ليس بيولوجيا وإنما وفق أدوار ثقافية واجتماعية تتجاوز ثنائية للمرأة والرجل ولقد تبنى هذا الطرح جملة من المؤسسات النسوية التي كانت تحدد مسار الطرح من الماهية نحو الاصطلاحية وفق كسارات ثقافية واتفاقيات حقوقية قائمة على العلمانية والعقلانية العبية والتشكيكية والصراعية تناهض كل سيطرت ذكورية وتفتح الباب الابستيمولوجيا جديدة تفتح الباب لتجاوز الأدوار التقليدية للجنسين.

3.أ- العلمانية: بمعنى تغلب العقل البشري على النقل الإلهي ورفض الدين كمرجعية عليا للقطع في الأمور والعودة إليه عند الاختلاف بل تعدى الأمر بعد ذلك إلى الإلحاد وإنكار الخالق بالكلية وغير ذلك من الأفكار ويبدو أن ذلك كان نتيجة طبيعية للكنيسة وممارستها، والتي أصرت على تقديم أفكار بشرية معوجة باسم الدين المسيحي ذلك الدين الذي لم يحافظ على ربانيته وسلامة نصوصه وبالتالي كان قاصرا أو غير قادر على مواجهة الواقع الجديد¹.

ذلك أن الدين أصبح عائقا في التقديم البشري والتطور وكان يكبح العقل على مر الزمن ويحرمه حتى من النقد - اعتقد ولا تنتقد- ناهيك عن الحرية. علاوة على أمور أخرى تتعلق بالنظرة الدونية والدينية والسيئة للمرأة وحقوقها في الديانتين السائدتين في الغرب النصرانية واليهودية بعدما اصابها التحريف والتبديل البشري². لتبتعد بالتالي النسوية وأفكارها عن سلطان النقل وتغوص في حرية يضمنها العقل. بما أن الدين لم ينصفها كما سبق وراينا في اليهودية وكذا المسيحية، كل هذا كان طبيعي أن يدفع بالحركة النسوية إلى ان تسلك سبيلا علمانيا وأن يكون دافعها في ذلك السبيل أقوى من غيرها طالما أن الدين قد اصبح دينا محرفا يكرس دونية المرأة، وإن تحرر المرأة وحقوقها مرتبط بمرجعيتها وهيمنتها على وعي الناس وسلوكهم³.

3.ب- العقلانية: من العلمانية وفلسفتها الجوهرية والمركزية ونتيجة طبيعية لها، لأنه بعد رفض الدين كمرجعية ومصدر للمعرفة والاعتقاد والتشريع فلا بد أن يكون هناك البديل في تاليه العقل الإنساني وتمجيده⁴.

¹ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرر المرأة من المساواة إلى الجنندر، ص 105.

² - المرجع نفسه، ص 116.

³ - المرجع نفسه، ص 119.

⁴ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

شن روجي غارودي حملة في صفحات متعددة ضد ما يسمى بالعقلانية الغربية وأنها تطلق على وجوه كثير من التعسف وتتصف بالكثير من التشوهات ... فيقول: "إن العقل ليس كل شيء وأنه لا يمكن أن يستجيب لكل القضايا"¹. إذ أن العقلانية كانت مرتكزا للفكر النسوي الغربي بغرض الهروب من الدين واللجوء إلى التأويل العقلي بما يخدم مصالح الأنتوية الراديكالية. ويقول غارودي: "فإن نصيب المرأة من الإهمال والتهميش منذ سقراط الذي لم يعتبرها أهلا إلى للسياسة "للرجل السياسة وللنساء البيت" إلى أوغسطين الذي أخضعهن للرجال كما يخضع العقل الضعيف للعقل الاقوى، إلى توما الإكويني الذي اعلن تفوق الرجل إلى المعاصرون امثال نيتشه الذي قال "إذا قصدت النساء فخذ السوط معك"، إلى فرويد الذي حكم بأن الرجل يمثل كامل الإنسانية ..."². فكل هذا لا يمكن نفيه إلا بالعقل ليكون المرجع الأول في الهروب من هذا الواقع والموروث الثقافي.

3. ج- العبية والتشكيكية: التمرد على المقدسات والتشكيك في الثوابت والمسلمات والعبثية في الحياة والتفكير وهذه عناصر أساسية في تكوين الكثير من الاتجاهات الفكرية والفلسفية في الغرب. لتكون بمثابة نقطة إنطلاق ونحو قطيعة ابستمولوجية بين الجنادر كفكر تحرري وافكار قديمة سواء كان مصدرها التشريع المسيحي أو الثقافة اليونانية والرومانية كقواعد مرجعية. وتجسدت هذه النزعة التشكيكية الراضية في فترة سميت بماوراء الحدائة في البنيوية مثلا حيث يقول صاحبها (ميشال فوكو) "عمل الفكر أن يجعل كل ما هو راسخ موضوع إشكال"، وهكذا بلغ التطرف أكمل أوجهه حيث أصبح هدم الراسخ مهمة للفكر والفلسفة وعملا اساسيا لها بغض النظر عن نوع ذلك المفهوم الراسخ³. وبناءا على هذه النظرية قد تم التخلص من الكثير من المصطلحات والمفاهيم خاصة النسوية وما يخصها مثل:

موت الميتافيزيقا (الغيب والدين) Death of umetaphysic

موت لرجل Death of man

موت التاريخ Death of History

ويقول أن كلمة تاريخ باللغة الانجليزية عبارة عن دمج كلمتي (his+story) واللذان يمثلان قصة الرجل أو (قصته) والاعتبار فيها للمرأة وبالتالي لا صحة له لأنه مكتوب بالتحيز⁴. لم يتوقف الأمر هنا فحسب بل شككوا في جل الأمور، إن لم نقل كلها خاصة التيار الراديكالي الأنتوي الذي شكك في مصادر المعرفة المختلفة (الدين،

¹ - المرجع السابق، ص 122.

² - المرجع نفسه، ص 123.

³ - الصفحة نفسها، ص ص 135-136.

⁴ - المرجع نفسه، ص 137.

والقانون والنصرانية الفلسفية الاجتماعية والنفسية). واعتبروها رجولية متحيزة، وشك في النظم الأخلاقية السائدة والقيم والعادات واعتبرها مختلفة وبالية تحتاج إلى تغييرات جذرية وشك في اللغة واعتبرها متحيزة وتحتاج إلى إعادة صياغة ... حتى الطبيعة البيولوجية للمرأة أنكرها وشك فيها وربطها بالبيئة الثقافية والتنشئة الاجتماعية لا بحقيقة طبيعة المرأة وخلقها وشك في الأسرة كمؤسسة ضرورية للحياة وعلاقات الجنسين ... إلخ.

3.د- الصراعية: إن الفكر الغربي منذ نشأته الأولى زمن اليونان مبني على أسس مبدأ الصراع وعدم الانسجام وخلق التناقض بين الأشياء بدل إدراك أوجه التكامل والتشابه وبني على أن الثنائيات الموجودة في العلم لا مجال لتعايشها وتكاملها بل لا بد من الصراع حتى يكون البقاء لواحد وهو الاصلح والأقوى¹.

ولذلك كان الفكر الغربي قائما على الدوام على صراع الثنائيات العقل والنقل الروح والجسد الدنيا، والآخرة، العلم الشاذ والسوي، صراع الأحزاب على السلطة، صراع المخلوقات من أجل البقاء، صراع الطبقات، الدروينية وصراع المخلوقات من أجل البقاء والنازية صراع الأجناس كذلك الامبريالية والكولونيالية وصراع من أجل السيطرة تأثيرا بآراء ميكيافلي وهوبز (الإنسان ذئب للإنسان) إلى صراع الحضارات صامويل هنتون وكذلك انتصار الليبرالية ونهاية التاريخ التي وضحها فوكوياما².

وهكذا وتأثيرا بهذا النسق الفكري والفلسفي بنيت النسوية فكرها على الصراع بين الذكر والأنثى بعد أن نظر إليها نظرة فردية وجردتها من سياقها الاجتماعي وأسقطت الثنائيات الغربية (العام والخاص، الطبيعة والحضارة). وأوجدت بين هذه الثنائيات صراعات وتناقضات والحل عندها العام لا الخاص الحضارة لا الطبيعة، وبالتالي فإن التصور الذي نشأ لدى الأنثوية قائم على صراع الجنسين لتنشأ ثورة استرداد الحقوق من عدو متوهم اسمه الذكر أو الرجل. بل الامر تجاوز هذا الحد الآن حيث بلورت أخيرا (ابستيمولوجيا) أو نظرية معرفية خاصة بها في تفسير العلوم وتحليلها. وفي المرحلة الأخيرة تجاوزت الحركة مفهوم الصراع إلى إعلان الحرب والعداء ضد الرجل³.

إذا كانت الحركات النسوية العربية لم تتبين مفهوم (صراع الجنسين) على النمط الغربي حسب ما تردد فإن بعض دعواتها لم تستطع أن تخرج من مطلق مفهوم الصراع ولكن حولته إلى (الصراع بين الأجيال) تقول فاطمة المرينسي: "تنعت العلاقات الاجتماعية بأنها من النوع القائم على الصراع"⁴، وتضيف قائلة "... ولذلك فإن

¹ - الصفحة السابق، ص 137.

² - المرجع نفسه، ص ص 138-139.

³ - المرجع نفسه، ص 141.

⁴ - فاطمة المرينسي، ما وراء الحجاب -الجنس كهندسة اجتماعية-، تر، فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الناقي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط4،

2005، ص 153.

الفصل بين الجنسين يتغذى من الصراع الذي يحدث في العلاقات بينهما بل الأدهى من ذلك أنه ما افتراض أنه وضع للقضاء عليه...¹.

باتالي فإن العلاقات بين الذكورة والأنوثة قد اقتضت على الصراع ولخصت فيه سواء عند الغرب "سيمون ديوفوار" أو العرب عند "فاطمة المرزيس"، على حد سواء ومنه فإن الصراعية هي أبرز المرتكزات التي قامت عليها الاستيمولوجيا النسوية الجندرية بالإضافة إلى بقية الأفكار والمذاهب في صورة العقلانية والفردانية الأنانية والليبرالية والراديكالية والتشكيكية والبرغماتية والجنسانية لترسم في الأخير كلها صورة استيمولوجية جندرية بعد صبها في قالب واحد والاقتراب أكثر من الفكر النسوي عامة والجندري على وجه الخصوص فقررنا أن نقتصر في بحثنا هذا على أبرز نماذجه في العالم الغربي والوطني العربي كذلك، ولعل من تزعم هذا الطرح النسوي في العالمين العربي والغربي "نوال السعداوي وسيمون ديوفوار" على التوالي وكلاهما كان لفكره أثر ملحوظ.

المبحث الثالث: نماذج عن الفكر الجندري

1. سيمون دي بوفوار: حملت سيمون دي بوفوار رسالتها للعالم حيث لعبت خلال مسيرتها الفكرية دورا رياديا في حركة تحرير المرأة فسيمون ديوفوار (1908-1986)، أديبة فرنسية مثقفة حصلت على دبلوم في الفلسفة سنة 1929، بتفوق رفضت الخضوع لمصيرها المحتوم كأم وزوجة وكان لقاءها مع الكاتب جون بول سارتر حسب قولها "حدث رئيسي في وجودها".

تعد دي بوفوار الإبنة الكبرى لجورج برتراند ديوفوار وهو محامي ووالدتها فرانسيسوس براسير ابنة لرجل أعمال غني، كاثوليكي متدين، يمكن اعتبار عائلتها برجوازية، وكانت سيمون أثناء طفولتها ملتزمة دينيا، حيث بلغ بها الأمر إلى تفكيرها في أن تصبح راهبة إلا أن الإلحاد حاد بينها وبين ذلك في سن الـ 14 لتكمل حياتها ملحدة، وبعد اجتيازها امتحان البكالوريا في الرياضيات والفلسفة في عام 1925 درست الرياضيات في معهد سينت ماري، ودرست بعد ذلك الفلسفة في جامعة السربون، وقد كتبت اطروحتها عن لايننتر وامتهنت التدريس رفقة موريس ميرلو بونتي وكلود لفي ستروس².

¹ - فاطمة المرزيس، ما وراء الحجاب -الجنس كهندسة اجتماعية-، ص 153.

² - www.m.ahewar.org/s.asp?aid=53981&2=0 // تاريخ التصفح، 2017/01/27، على الساعة، 12:47

كانت طفلة عاقلة وتلميذة مجدة وصيبة صغيرة نموذجية، لأن تلك الفتاة المستقيمة كانت منذ الحين صبية صغيرة مستقيمة ولكن الموقف يميل إلى التغيير من هذه إلى تلك والجدية تتخذ مظهرًا آخر، كما لو كان الأمر لا يتعلق باشباع الميول¹.

كان لها مدخل إلى الكينونة: ولكنها احبطت في تلك شيئًا فشيئًا كانت تعرف نفسها منفردة ومبررة وكانت تعتقد أنها تحيا في الحب وفي الحقيقة كانت تتصور نفسها معترفًا بها ككل الاعتراف محبوبة كل الحب².

إلا أن الكثير من الأمور غيرت منظورها للحياة بصفة عامة في صورة السلطة الأبوية ودور أمها وأختها الصغرى التي جعلتها تفقد ربما مكانتها، بإضافة إلى الحبيب المزعوم وتجربتنا اللاهوتية حيث وقعت في الحب.

وهي أن تقع في حب ابن عمها جاك تحسب حساب كل ما يفصل بينهما كل ما يحضر عليها مشروع حياة مشتركة معه، فمهما ألحت عليه أن يكتب أو أن يرسم أو يصور، فكان يكتفي أن يرد عليها "وما الفائدة" وهو السؤال الذي تستخدم كل طاقتها لدحضه³. حيث أصبحت تقول فيما بعد: أن لا تكون بعد طفلة وأن لا تصبح امرأة أبداً وبعبارة أخرى أن تجعل من نفسها امرأة ناجحة وإنسانية إلى أكمل حد كنت أطري على نفسي أنني أجمع في نفسي قلب امرأة وعقل رجل⁴، وهي تقول بصريح العبارة في كتابها الجنس الآخر: كما كنت أرفض فيما معنى أن أحد، باعتباري طفلة لم أكن في الحاضر أفكر في نفسي كامرأة كنت أنا⁵. مما جعلها تدشن ثورة ضد خصم مزعوم اسمه "الرجل" لاسترداد جملة من الحقوق تحت راية الحرية المطلقة في صورة علاقة صراع بين الجنسين.

إن كل فكر سيمون ديوفوار يضرب بجذوره في هذا الصراع الأصلي بين المطالبة المطلقة بالحرية ونسبية الأوضاع المحددة، بين مغامرة الوجود، وهذا للموت الكامن في قلب كل حياة⁶. أي صراع بين المرأة وواقعها المتمثل في العرف والتقليد "الصيرورة والكينونة" من جهة ومن جهة أخرى بين الرجل والمرأة. نعم هذه المرأة كانت في البداية هيغيلية على غير علم منها، إذ أنها قد ذهبت إلى حد تصور قتل الآخر حتى تفلت من السلطة التي كانت تغزوها إليه، على العالم وعلى نفسها⁷. فكان مشروعها يهدف إلى التوحيد بين الذات والكينونة والسعي

¹ - فرونسيس جانسون، سيمون ديوفوار أو مشروع حياة، تر، إدوار الخراط، (pdf)، ص 35. على الموقع التالي: <https://www.kutub-pdf.net/book>

² - المرجع نفسه، ص 140.

³ - المرجع نفسه، ص 38.

⁴ - المرجع نفسه، ص 172.

⁵ - سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، ص 274.

⁶ - المرجع نفسه، ص 172.

⁷ - المرجع نفسه، ص 114.

وراء المطلق، وهي لا ترمي إلى أن يصبح الرجال نساء بل على العكس من ذلك حيث تقول: هل كتبت أن النساء هن الرجال؟ هل زعمت أنني لست امرأة؟ على العكس كان جهدي منصرفاً إلى أن أحدد في خصوصية الوضع الأنثوي الذي هو وضعي، نشأت تنشئة بنت ولما فرغت من دراستي بقي مركزي امرأة في داخل مجتمع يشكل فيه الجنسان طائفتان منفصلتان متحدتين... إن ما يميز قضيتي هنا عن القضية التقليدية هو أن الأنثوية عندي ليست ماهية وليست طبيعية، إنها وضع الحضارات، صدروا عن معطيات فيزيولوجية¹. أي أنها تعيد فكرة الدونية إلى ظروف الحياة الاجتماعية نابعة عن معطيات بيولوجية وهذا ما فسح المجال للذكر كعنصر فاعل مسيطر والمرأة كمسيطرة بفتح السين.

وتضيف قائلة: "لا سارتر ولا أي من أصدقائه أبدى لي أحدهم مركب تفوق بإزائي، فلم يظهر لي قط أنني كنت في وضع غير ممتاز، إنني أعرف اليوم أنه لكي أصف نفسي يجب أن أقول أولاً أنني امرأة، ولكن أنوثتي لم تشكل عندي لا حرجاً ولا شهادة على غياب وعلى كل حال فهي إحدى معطيات تاريخي وليست شرحاً له². ولننطلق من البيولوجيا التي تعتبرها سبباً رئيسياً في تصور دونية المرأة إذاً المنطلق لبناء التصور السوسيوبيولوجي الذي يعلي الرجل ويدني المرأة، تقول جوديتباتلر صاحبة كتاب "الذات تصف نفسها": "إن الواحدة هي جسدها من البداية وبعد ذلك فقد تصبح جندرها، الانتقال من الجسد الطبيعي إلى الجسد المكيف ثقافياً أي الانتقال من الوجود المادي إلى الصيرورة"³. بالتالي فإن الحكم على المولود بجنسه يجعلنا نوجه له تنشئة معينة من شأنها أن تجعله ذكراً أو أنثى وتلك التنشئة المربوطة بالجنس لو فصلت عنه لحدث العكس "الحرية" فيما يخص الكينونة أو ما تسميه باتلر "بالتبني"⁴، فتدعم هذا بتوجيه قولها للنساء، ينبغي عليهن التماهي مع "الوعي" ذلك النشاط المتعالي غير المقيد بالجسد⁵، أي اختيار الماهية أو الكينونة بغض النظر عن الجنس أو الجسد. وتقول سيمون دي بوفوار في نفي الفوارق البيولوجية "الجسد والجنس"، إنهم يتحسسون ما يحيط بهم بواسطة العيون والأيدي وليس بأعضائهم التناسلية فلا فرق في ذلك بين الطفل والطفلة وبين الفتاة والفتى⁶. فحسبها

¹ - المرجع السابق، ص 274.

² - المرجع نفسه، ص 275.

³ - جوديتباتلر، الجنس والجنندر في الجنس الآخر، تر، لجين اليماني، مراجعة، أحمد العوفي، (pdf) على الموقع التالي: <http://nthar.net/wp-content/uploads/2016/03/judith.pdf>، ص 05.

⁴ - المرجع نفسه، ص 9.

⁵ - سيمون ديوفوار، الجنس الآخر، ص 9.

⁶ - المرجع نفسه، ص 81.

واستنادا إلى المادية التاريخية وميرلوبونتي، ليس الإنسان نوعا طبيعيا بل هو فكرة تاريخية والمرأة ليست واقعا لازما بل هي صيرورة لذلك ينبغي مقارنتها مع الرجل في صيرورتها أي ينبغي تحديد امكانياتها¹.

لقد برزت نظرية المادية التاريخية كحقائق كانت لها أهمية بالغة في حياة الإنسانية ليست نوعا حيوانيا بل هي واقع تاريخي ولا يتأثر المجتمع بالطبيعة تأثرا سلبيا بل يحاول التمكن منها². وباختلاف الإنسان عن الحيوان تنفي أن يكون الإنسان الذي يعيش في مجتمعات أن يكون المجتمع نوعا من الأنواع.

ففي المجتمع يحقق النوع نفسه كوجود ويجاوز ذاته نحو العالم والمستقبل، وإن أخلاق المجتمع لا تستنتج من البيولوجيا. وكأنها تريد نفي الحيوانية عن الإنسان ذلك أنه في عالم الحيوان يفرض على الأرنب أن يكون فريسة وعلى الأسد ان يكون مفترس وهذا أقرب إلى تصور المرأة كضحية الرجل كمغتصب لحقوقها "جدلية السيد والعبد والحوار العمودي". ما دمنا بينا الزاوية الإنسانية التي تعرف الجسم اعتبارا من الوجود فإن البيولوجيا تصبح عملا تجريديا³. وهذا كحجة انطولوجية أيضا وتقول سيمون ديوفوار في معاملة المرأة في المجتمع: ... فهي إذا قررت الانصراف إلى الكتابة والرسم ملئ فراغ حياتها تنعت حينئذ محاولاتها ولوحاتها الفنية بإنتاج النساء، وهذا يعني أنه إنتاج متوسط لا يبلغ مطلقا مراحل الإبداع⁴. فالحكم هنا لم يخضع إلى ضوابط أو معايير قيمية بل إلى معايير بيولوجية جانبية هامشية.

إن الفن والأدب والفلسفة هي محاولات لإقامة العالم على دعائم الحرية الإنسانية الحرية المبدعة الخلافة، ولا شك أنه من الواجب على من يدعي المساهمة في مجالات الإبداع أن يحرر نفسه قبل كل شيء من وطأة العادات والتقاليد والثقافة ومن المعترف به أن القيود التي تفرضها التربية والعادات على المرأة تحد كثيرا من قدرتها الإبداعية⁵. مرة أخرى نعود للقول بأن ضعف المرأة لا يعود إلى أسباب فطرية في طبيعتها وإنما إلى حالتها العامة التي يفرضها عليها المجتمع منذ حدوثها حتى أواخر أيامها وكل ما يقال عليها أنها لا تتمتع بالفكر الخلاق المبدع⁶. فهذا ما تؤدي إليه الفروق البيولوجية إلى فصل وتفضيل تعسفي بين الجنسين يصب في صالح الرجل دائما وأبدا، فإذا قمنا بتتبع نضوج المرأة وحسب سيمون ديوفوار.

¹ - المرجع السابق، ص 19.

² - المرجع نفسه، ص 24.

³ - المرجع نفسه، ص 19.

⁴ - سيمون ديوفوار، الجنس الآخر، ص 321.

⁵ - المرجع نفسه، ص 322.

⁶ - المرجع نفسه، ص 324.

خلال السنين الأولى تستسلم الفتاة الصغيرة بدون أية مقاومة إلى هذا المصير ... وما دامت الفتاة لا تعرف بعد سوى عالم الطفولة فإن أمها تظهر لها متمتعة بسلطة أكبر من سلطة الأب ... وهذا ما يدعوها إلى تقليد أمها في حركاتها وسكناتها ... والدمية ليست بالنسبة للطفلة الصغيرة ازدواجية في شخصيتها وإنما هي طفلة كذلك ... أي أنها تحقق من خلالها تجربة تأكيد شخصيتها وحلمها بالسيطرة¹. كل شيء يدعو الفتاة لكي تصبح سعيدة يجب عليها أن تحظى بحب الرجال ولكي تكون محبوبة يجب أن تكرس وقتها للانتظار والحبيب المدعو أمير الأحلام ... المرأة هي جميلة الغابات النائمة وهي كذلك (بلونش ناج أو سندريلا) ...². باتالي فإن المرأة تقف مكتوفة الأيدي لا تحاول ممارسة حياتها وإثباتها وجودها فلا تحمل نفسها أكثر من طاقتها ما دام مصيرها معلقا بمصير شخص آخر³.

فحتى في حالات الحب فمرجعيتها تكون لدونية المرأة وإقرار لعلو الرجل حيث تقول سيمون دي بوفوار: "والحقيقة أن ذلك لا يعبر عن قانون طبيعي بل أن اختلاف وضعهما هو الذي ينعكس في مفهوم الذي يتبناه الرجل والمرأة عن الحب، فلامرأة تحلم بالاتحاد والتمازج مع كائن اسمي وليس أمامها من مخرج سوى أن تذوب جسدا وروحا في الشخص الذي حدد لها على أنه المطلق والجوهر⁴. حتى فيما يخص الزواج فتبقى المرأة أسفل الهرم الهيجيلي إن صح التعبير، والمرأة تتلقف غذاءها كالطفيلية⁵. على حد تعبير سيمون دي بوفوار، وتتطلب بتعديل وضع المرأة في الزواج باعتباره اسمي العلاقات بين الجنسين حسب قولها: "يجب تعديل الوضع بصورة يحضر معها جعل الزواج مهنة بالنسبة للمرأة وذلك في مصلحة الزوجين معا"⁶.

وحتى استقلت المرأة في الجانب الاقتصادي والاجتماعي إلى التوالي "كما أن كل مواطنة أصبحت تتمتع بحق التصويت"، هناك عدد كثير من النساء في يومنا هذا يتمتعن بميزة الاستقلال الاقتصادي والاجتماعي من خلال ممارسة إحدى المهن⁷. وهذا بلسان دي بوفوار نفسها إقرار باستقلال المرأة إلا أنه ليس استقلال تاما ويخص مجالات معينة ولا يعني مساواتها مع الرجل إذ تقول أيضا: ان الامتياز الذي يتمتع به الرجل، والذي يشعر

¹ - المرجع السابق، ص 93.

² - المرجع نفسه، ص 99.

³ - المرجع نفسه، ص 119.

⁴ - المرجع نفسه، ص 300.

⁵ - المرجع نفسه، ص 219.

⁶ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁷ - المرجع نفسه، ص 307.

بأنه منذ طفولته هو أن ميله لأن يكون إنسانا ثريا مستقلا لا يتعارض مع مصير الذكر. أما المرأة فإن المجتمع يطلب منها أن تكون متعة وفريسة لكي تكمل عناصر انوثتها¹.

هنا تتساءل سيمون دي بوفوار فماذا فعلت بهذه الثروة بل ما الذي حققته من إيجابيات الحرية والاستقلال، العمل؟؟ لا شيء يذكر... ولا حقيقة ثابتة في خضم الشعارات التي رفعتها المرأة في دعوة التحرر والمساواة سوى أنهن نساء، لهن الضعف إلى جوار قوة الرجل والحب والرقرة إلى جوار قسوته..². لذا فإن ما تهدف إليه ليس الجانب الاقتصادي وحده أو الاجتماعي أو حتى البيولوجي، إنما المساواة من حيث الجانب الثقافي الفكري الايديولوجي الذي يغطي كل الجوانب ويضمنها سلفا لذلك فإن صياغة سيمون ديوفوار تتميز بين الجنس والجنندر النوع الاجتماعي وتقترب أن الجنندر إنما هو أحد جوانب الهوية التي يتم اكتسابها تدريجيا هذا التمييز بين الجنسين، والجنندر لطالما كان مهما للجهد النسوي القديم في تنفيذ الادعاء بأن التشريح البيولوجي قدر فالجنس يمثل الجوانب الثابتة والتممايزة تشريحا الوقائعية من الجسد الأنثوي بينما الجنندر هو المعنى الثقافي والشكل الذي يكتسبه هذا الجسد³.

لكن بناء سيمون دي بوفوار ليس صلبا إلى درجة أنه لا يتقبل النقد على الإطلاق فلربما كانت لها دوافعها التي جعلتها تكن كراهيتها للرجال قبل أن تنادي بحرية النساء، وقد سبق وعرفنا حبها من طرف واحد لابن عمها جاك لكان ذلك السبب؟ إذن فلسفتها نابعة عن العاطفة؟ فعوض أن تنفي أن المرأة عاطفة والرجل عقل فكل ما تفعله هنا هو أنها تثبت ذلك وكان أيضا "حبها" سبب اختيارها الوجودية وإثبات الماهية والذات باعتبار أنها نفيت من قبل ابن عمها؟، و ميولاتها الهيجيلية "قتل الآخر"، كما أن الوجود لا يسبق الماهية بالضرورة كما تتوقع هي ومن معها فالسكين لم يصنع إلا لما نشأ تصوره فلماذا كان حادا من جهة وله مقبض؟ أليس التصور هنا سابقا عن التطبيق؟ أليست الماهية سابقة عن الوجود؟ حتى الأهرام مثلا فكيف يسبق وجودها ماهيتها؟ إذا كان الفرعوني أقل منها حجما فهو لا يدركها بأبعادها الثلاثة فقد نشأ من تصور إلى مجسم إلى بناء حقيقي، كثيرا ما كان يصطدم عدائها للآخر (الرجل) أو المجتمع، حتى مع شيء يسمى الحتمية الاجتماعية بتعبير دوركايم، كما ان صنف الرجال الذي عرفته ولم تشعر اتجاهه بمركب نقص في شكل سارتر قد يعد حالة شاذة لا يقاس عليها، فقد عرفنا انحلاله الذي قد يسقط عنه صفة الرجولة، وجاك ابن عمها قد يكون هو الشكل العام للرجال الذي سبب

¹ - المرجع السابق، ص 309.

² - سيمون ديوفوار، كيف تفكر المرأة، مركز العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 15.

³ - جوديت باتلر، الجنس والجنندر في الجنس الآخر، ص 06.

لها مركب النقص، الذي دفع بعاطفتها للاختيار والكتابة. كما أنه يظهر جليا أنها قد عانت من اضطرابات نفسية من شأنها ان تؤثر على فكرها فقيل في حوار معها: "عندما تقولين أن سارتر يتهمك بأنك فصامية! ... ولكنني لا أحاول الشفاء منها لأنني لا أحاول أن أكون غير أنا الذي عليه، وفي النهاية إنني أتمسك بهذا الفصام ...¹". فإذا كانت لا تحاول أن تكون غيرها أو بالأحرى غير ماهيتها فلماذا تدشن ثورة ضد الأنوثة باعتبارها أثنا، وإن كانت متمسكتا بهذا الفصام الذي يحمل صفة الذاتية، فكيف يمكنها نقل الذاتية الخاصة بها إلى غيرها؟ ألا يضعها هذا في تناقض فاضح يسقط كل افكارها في الماء.

كما أن الاحاد قد حاد بينها وبين معرفتها بما طاله الإسلام وجاء به عن المرأة فلم تظهر في كتاباتها إطلاقا أنها قد سبق واطلعت على تعاليمه وموقفه من المرأة وإلا لما كانت كما هي اليوم، ولكن في ظل هذا كله هنالك مسلمات هن قواعد مرجعية إسلامية محضة أمثال نوال السعداوي، فلماذا تبناوا هذا الفكر المنافي لتعاليم دينهم؟

2. نوال السعداوي:

ولدت في 27 أكتوبر 1930، طبيبة ناقدة وكاتبة وروائية مصرية ومدافعة عن حقوق الإنسان وحقوق المرأة بشكل خاص، ولدت في مدينة وتخرجت من كلية الطب بجامعة القاهرة في ديسمبر 1954، وحصلت على باكلوريوس الطب والجراحة، وتخصصت في مجال الأمراض الصدرية، وفي عام 1955 عملت كطبيبة بالقصر العيني ثم فصلت بسبب آراءها وكتاباتها². ولها عدت مؤلفات اشهرها المرأة والجنس، الرجل والجنس، الأنتى هي الأصل، وغيرها من المؤلفات التي كان من شأنها فتح مجال النقاش في مسائل حرية المرأة ومن الظاهر أن نوال السعداوي تأثرت بسابقتها أمثال قاسم امين ورفاع الطهطاوي وغيرهم، فهي تقول في كتابها الوجه العاري للمرأة العربية "...وظهر الرائد الفكري رفاع الطهطاوي الذي نادى بتعليم المرأة وتحريرها من الظلم ... ومن هؤلاء الرواد أيضا عبد الله نديم والشيخ محمد عبده ... ومن اهم الكتب العربية التي تناولت قضية المرأة هو كتاب تحرير المرأة سنت 1900 لقاسم أمين ثم كتابه الثاني المرأة الجديدة 1911..."³.

ويقتررب قاسم أمين من وجهة نظر سيمون ديوفوار حيث يقول في كتابه المرأة الجديدة بلسان صريح "فالمرأة من وقت ولادتها إلى يوم مماتها هي رقيقة، لأنها لا تعيش بنفسها ولنفسها وإنما تعيش بالرجل وللرجل وهي في حاجة إليه في كل شأن من شؤونها لا تخرج إلا مخفورة به ولا تسافر إلا تحت حمايته ولا تسمع إلا

¹ - نقلان عن: فرونسيس جانسون، سيمون ديوفوار أو مشروع حياة، ص 378.

² - المكتبة الشاملة للدكتوراة والناقدة والكاتبة والروائية نوال السعداوي، www.shakwmakw.com

³ - نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، www.alexandra.ahlamontada.com (pdf) ص ص 213-214.

بإذنه ولا تريد إلا بإرادته ولا تعمل إلا بواسطته ولا تتحرك إلا بحركته إلا ويكون مجراها منه"¹. وهذا الكلام قد سبق وسمعنا مثيلاً له على لسان سيمون ديوفوار كما سبق وتطرقتنا إليه، وتنتقد نوال السعداوي بشدة الأدب العربي وتصوير المرأة على أساس أنها قاصر "... لأن طه حسين يقول في قصته (كن النساء) إنهن عورة يجب أن تستر وحرمة يجب أن ترعى وعرض يجب أن يصاب"². ويصور نجيب محفوظ المرأة تصويراً سلبياً تقليدياً وإن اصبغ عليه بعض الإجابية الظاهرة التي سرعان ما تتلاشى وتسقط في الرذيلة بالمفهوم التقليدي³.

وعلى خطى سابقتها "ديوفوار" تأثرت هي الأخرى بالفكر الوجودي والنفعية وغيرها من المذاهب المنادية بالأنانية والحرية المطلقة فهي تدعوا إلى إثبات الذات أو ما تسميه بالتماهي استناداً إلى عدة أقوال لفلاسفة غرب بارزين، يقول كيليكيجارد "إن الحقيقة لا توجد في الحياة إلا إذا وجدها الإنسان من خلال العقل ويقول جان بول سارتر أفعالنا هي نحن، ويؤكد ويليام جيمس على أهمية اتحاد الفعل والتفكير لسلامة الإنسان النفسية، ويعرف هايدجر الحقيقة بأنها حرية الفعل"، ويقول بول تيليش "إن الإنسان لا يصبح إنساناً حقيقة إلا في لحظة اتخاذ قرار بالفعل"⁴. ومن خلال كلامها هذا تكون قد أعادت صياغة أفكار سيمون ديوفوار لتسير في نسقها الفلسفي كما سبق وأن ذكرنا (السيرورة والكينونة)، بالإضافة إلى تبنيتها الهيجيلية والمادية الجديدة ويظهر ذلك في قولها "إن أصحاب الفكر المادي الجدلي في بلادنا أكثر تقدماً في نظرهم إلى الماضي"⁵.

كما أن نوال السعداوي قد دافعت عن المرأة ضد نظريات فرويد، بل والأدهى من ذلك أنها نقدت فكره فمثلاً النرجسية تقول فيها: "إن التضحية بالنفس وليس حب النفس هي صفة المرأة وهي أيضاً صفة غير طبيعية في المرأة. إن المجتمع هو الذي يفرض على المرأة أن تضحي بنفسها من أجل زوجها إن الثقافة والقوانين الذكورية ترغم المرأة أن تكون مضحية وتجعل الرجل نرجسياً وأناياً إن المرأة تضحي بطموحها الفكري ومستقبلها الثقافي الخلاق من أجل أن تغذي طموح زوجها فيتفوق هو في العلم أو الفن أو الأدب، وتظل هي راكدة في البيت تغسل جواربه"⁶. لتقلب السعداوي نظرية فرويد عن نرجسية المرأة في صالح المرأة بعد أن كانت ضدها في عملية عكسية.

¹ - قاسم أمين، المرأة الجديدة، الهيئة المصرية العامة، مكتبة القاهرة، 1993، ص 44.

² - نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، ص 185.

³ - المرجع نفسه، ص 192.

⁴ - نوال السعداوي، الأنثى هي الأصل، على الموقع التالي: <http://www.bookleaks.com/files/fhrst4/899.pdf> ص 293.

⁵ - نوال السعداوي، هبة عبد الرؤوف عزت، امرأة والدين والأخلاق، دار الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، 2000، ص 76.

⁶ - نوال السعداوي، الأنثى هي الأصل، ص 254.

ولم تتوقف نوال السعداوي عند هذا الحد في نقد فرويد بل ذهبت إلى أبعد من ذلك وكدليل واقعي على ضعف تصوراتها حول المرأة. وتشاء الصدفة أن تبغ ابنة فرويد فكريا وهي أنا (anna) وتكون هي الوحيدة من كل أبنائه الذكور التي أسهمت في العلم والبحوث العلمية النفسية وقد غيرت هذه الحقيقة (التي فرضت نفسها على فرويد) بعضا من أفكاره عن المرأة في أواخر حياته¹. لتكون ضربة موجعة لفكر فرويد ناهيك على أنها كانت تستند إلى مرجعيات فكرية غربية كثيرة ممن تدعوا إلى الحرية والتحرر، خاصة فيما يخص المرأة امثال ستيوارت ميل. ويكتب جون ستيوارت ميل ويقول: "إنه لمن الخطأ أن يضل المبدأ الذي يحكم العلاقة الاجتماعية بين الجنسين قائما على اخضاع النساء بالقانون للرجال وهذا هو أهم الأسباب التي تعوق التقدم الإنساني ولهذا يجب علينا أن نستبدل هذا القانون بقانون آخر يحقق المساوات للجنسين في نواحي الحياة كافة"². ويعد ستيوارت ميل من أهم فلاسفة الغرب وأبرزهم الذين كانوا قد نصرروا المرأة ووقفوا في صفها، حيث أن له مؤلف يتحدث فيه عن تحرير المرأة خلال العصر حمل عنوان استعباد النساء. وما يجعلنا نتأكد أن نوال السعداوي نسخة مطورة عن سيمون ديوفوار إن صح التعبير هو معالجة قضية المرأة بشكل الهرم المقلوب أي الإنطلاق من الخاص نحو بلوغ العام في شكل:

"المرأة ← الأسرة ← الملكية". ولا بد أن ذلك كله مستقى من كتاب ماركس وإنجلز أصل العائلة، وماورد فيه من أفكار حيث تقول نوال السعداوي: "وقد اكتشف علماء التاريخ أن المرأة المصيبة القديمة بعد أن كانت ترسم على الجدران بحجم زوجها تماما دليلا للتساوي في المكانة والقدر أصبحت ترسم بحجم اصغر من زوجها أو معنى ذلك أنها أصبحت اقل قدرا من زوجها ... بدأ ذلك الانخفاض في مكانة المرأة مع بدأ ملكية الأرض..."³. وهنا تشترك نوال السعداوي وسيمون ديوفوار في إرجاع قضية دونية المرأة واستعبادها إلى أبعاد اقتصادية قبل الاجتماعية، وترى نوال السعداوي ان الاختلاف الموجود بين الذكر والأنثى ليس فطريا إذ تقول: "لكن الحقائق العلمية تثبت أن هذه الفروق بين الرجل والمرأة فروق صناعية من صنع المجتمع بدليل أنها تتغير من مجتمع إلى مجتمع ومن عهد إلى عهد من نظام إلى نظام. ثم إن علوم الطب والتشريح

¹ - المرجع السابق، ص 265.

² - المرجع نفسه، ص 263.

³ - المرجع نفسه، ص 159.

والفيزيولوجيا والبيولوجيا تثبت ان الإنسان مزدوج الجنس (بايسكسوال) وأنه ليس هناك من هو ذكر 100% أو من هي أنثى 100% وكل رجل داخله امرأة وامرأة داخلها رجل"¹.

وهذا ما قد أشارت إليه سيمون ديوفوار وكنا قد تطرقنا له فيما سبق (لا يولد المرء امرأة وإنما يصير كذلك) ليتحدا في قابل واحد رغم تغير التعبير وأسلوبه. كما أنه حسبها إن خصي المرأة جنسيا كان يقتضي بالضرورة خصيها فكريا أيضا، فالحرية في الإنسان لا تتجزأ، وإذا منحت المرأة الحرية لتتكلم فسوف تعود حرية الكلام إلى حرية التفكير إلى حرية الفعل. وهنا الخطر كل الخطر، لأن المرأة التي تصبح حرة في أفعالها قد تفعل أي شيء ومعنى ذلك أنها قد تذهب إلى الرجل غير الرجل المفروض عليها بالزواج، وهنا الخطر كل الخطر يتهدد المؤسسة الأبوية الذكورية². وترمي في كلامها ان اعتماد الظروف البيولوجية كان سببا في سمو الذكر ودونية المرأة إذ أن هذه الفروق جعلت منها كائنا ناقصا يقع تحت الرجل على العموم.

إن البحوث الجديدة في علم الأجنة أثبتت خطأ الفكرة التي قالت بأن الجنين يكون في أول تكوينه مزدوج الجنس وقد وجد أن الجنين في كل الحيوانات الثديية يكون في أول مراحل أنثى وكذلك في حالة الإنسان فإن الجنين ينشأ في الأصل أنثى ويستمر حتى الأسبوع السادس حين يبدأ الهرمون الجنيني الذكري فعله حتى الشهر الثالث من حياة الجنين³. وبالتالي فإن الذكورة والأنوثة بالنظر إلى الفروق البيولوجية أمر غير وارد بصفتها أموراً عرضية يشترك فيها الإثنين منذ البداية لتتفاوت فيما بعد.

إن إحساس الرجل القديم بقوة المرأة وخوفه الشديد من هذه القوة هو الذي جعله يفرض عليها كل هذه القيود العنيفة وهذا أمر طبيعي فإن قوة الشيء هي التي تحدد القوة المطلوبة لإخضاعه وحكمه، ... وقد ادرك الرجل وهو يصنع قانون الزواج الواحد للمرأة، أن مثل هذا القانون يتعارض مع طبيعة المرأة الجنسية القوية، لكنه تصور أنه يستطيع أن يحارب هذه الطبيعة أو يضعفها على الأقل من أجل إنشاء مؤسسته الصغيرة القائمة على الملكية⁴. فبسبب إخضاع المرأة هو خوف غريزي للرجل من المرأة جعله يحاول على مر الزمن إخضاعها بشتى الوسائل والطرق ويظهر ذلك الخوف المترسب جليا استنادا إلى ما روته نوال السعداوي عن ليستر وورد: "... يقول وورد بعد ملاحظته في عالم النبات والحيوان الارقى أن الأنثى في الحياة منذ نشأتها الأولى هي الأصل والذكر

1 - نوال السعداوي، المرأة والجنس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص 70.

2 - نوال السعداوي، الأنثى هي الأصل، ص 255.

3 - المرجع نفسه، ص 184.

4 - نوال السعداوي، الرجل والجنس، ص 124.

فرع لها وهو يتبنى من بعد النظرية، ذلك نظرية أن الأنثى في الحياة أسمى من الذكر ودورها أكثر أصالة وأهمية¹. ولكن كيف ذلك؟ ... إن الأنثى حتى وإن كانت أقل من الذكر حجما وقوة فهي تفرض سيطرتها وتمارس اختبارها بالقوة والإصرار والدقة نفسها كتلك الحالات التي تكون فيها أكثر قوة منه ولذلك فإنني أرفض إصطلاح "التفوق الذكري" من أجل تلك الحالات القليلة نسبيا التي اكتسب فيها حجما أو قوة أكثر من الأنثى، أو اكتسب تلك الألوان والريشات التي جعلته بها الأنثى². أي ما يسمى "الانتخاب الطبيعي" هو الذي جعل من الذكر يفوقها حجما أو أبهى منها حلة، ذلك أنها تختار الأقوى والأبهى أو الأفضل وبالتالي كانت سابقة في السيطرة ومن هنا جاء الخوف الغريزي للذكر من الأنثى أو للرجل من المرأة.

وقد ورث بعض رجال العصر الحديث على رجال العصور السابقة كراهيتهم الشديدة من ذكاء المرأة. إنهم يفضلون عليها المرأة الغبية التي تعتقد أن سيادة الرجل وخضوع المرأة إنما هي أشياء طبيعة، مجرد أنه ذكر وهي أنثى³. ولم تتوقف هذه الفكرة عند حد معين بل سارت وجرت مجرى التاريخ، وقد سيطرت هذه الفكرة على رواد علم النفس القديم سيطرة شديدة والدليل على ذلك أنهم أطلقوا إسم هيستيريا وترجمتها الحرفية "رحم المرأة" على حالات الجنون التي تصادفهم⁴. إن التشويه لحقيقة المرأة وطبيعتها الجسمية والنفسية حدث في التاريخ في عهود مختلفة ومتعددة⁵. فكان مصدر التشويه إما الخوف الغريزي أو التحيز الذكوري، وكان تحيز فرويد (غير الواعي) لجنسه الذكري أحد أسباب عجزه عن فهم حقيقة المرأة⁶. أو ما يسمى بالذاتية المحضة التي غرق فيها فرويد على حد تعبير نوال السعداوي.

وحينما ثار العبيد وأصبحت ثورتهم قوة اجتماعية تهدد السلطة والنظام الإقتصادي بدأ العلم يهتم بهم ... انتقلت ثورة العبيد إلى غيرهم من الفئات المضطهدة من البشر، وبدأت النساء في أنحاء مختلفة من العالم تتور ضد الوضع الأدنى الذي فرض عليهن⁷.

ولو أن الأمر كان منذ البداية مساويا وعادلا وتم إلغاء الفروق البيولوجية لما حال لما هو عليه أي المطالبة بالمساواة من خلال ثورة ولكانت النساء اجتنبن هذه الدورة العقيمة إن صح التعبير، معنى ذلك أن البنت حين

¹ - نوال السعداوي، الأنثى هي الأصل، ص 177.

² - المرجع نفسه، ص 177.

³ - المرجع نفسه، ص 162.

⁴ - المرجع نفسه، ص 163.

⁵ - المرجع نفسه، ص 166.

⁶ - المرجع نفسه، ص 164.

⁷ - المرجع نفسه، ص 166.

تولد يجب أن لا تشعر بفرق بينها وبين أخيها ... وتفهم البنت منذ طفولتها أن دورها في الحياة لا يختلف عن دور الذكر¹. وبعبارة أخرى فإن البنت وبالنظر إلى الفروق البيولوجية والتصوير الداعي إلى دونيتها المفروضة عليها والثورة المفروضة هي الأخرى.

حينما تولد البنت ورغم أنها لا تستطيع النطق أو التعبير عن نفسها إلا أنها تستطيع أن تدرك من نظرات من حولها أنها ليست مثل أخيها الولد، ومنذ أن تبدأ الطفلة تحبوا أو تمشي تترى على الحذر والخوف على أعضائها التناسلية². إن الرجل ظل يتطور ويقوى من أجل أن تحتاره المرأة إلى أن اكتسب قوة كافية استطاع بها أن يرتكب أول حادثة اغتصاب في تاريخ البشرية، وكأنما أراد أن ينتقم بشكل ما من المرأة التي يكبت لها منذ زمن تلك الكراهية والحسد والغيرة³. خدعت المرأة في العصر الحديث أكثر مما خدعت في العصور القديمة ذلك أن حقيقة وضعها الأدنى وسلبها من حقوقها أصبح مغلفا بالاحترام الظاهري والإتيكيت، والمعاملة الرقيقة أمام الناس وبسبب هذا الغلاف الخارجي لم ترى المرأة أن وضعها مازال هو الأدنى وإن زوجها وإن كان يفتح لها باب العربة أو يجعلها تدخل من الباب قبله فهو مازال الوصي عليها (كما لو كانت طفل قاصر) بحكم قانون الزواج⁴.

إن البنت منذ صغرها تدرّب على أن لا تغضب ولا تعبر عن غضبها بفعل ظاهر وعليها أن تتفادى الإساءة بقدر الإمكان وإذا كانت هذه الإساءة قد فرضت عليها بالزواج أو بالنظام أو القانون فعليها أن تكتم غضبها وانفعالها وتبتسم لتكون أنثى كاملة بعكس الرجل الذي يربى على أن الرجولة هي القوة ورد الإساءة بأشد منها، إن الإنسان الطبيعي هو الذي ينفعل حين يسيء أحد إليه⁵. وبالتالي فإنه تناقض فاضح بين طبيعة الفرد وما يمليه المجتمع عليه.

وقد أوضحت الدراسات الخاصة بسلوك الأطفال أن الأولاد الذكور يحولون إلى العيادات النفسية بسبب ميولهم إلى العدوانية ونزعتهم إلى التحطيم والتنافس أما البنات فيحولون بسبب اضطرابات الشخصية مثل الخوف والخجل والجبن وعدم الثقة بالنفس والإحساس بالنقص وكذلك الحال بالنسبة للكبار أيضا، إن أعراض الرجال تعكس في معظم الأحيان كراهية مدمرة للآخرين واستغراقا وتعلقا شديدا بالذات أما أعراض النساء فهي تعكس

¹ - نوال السعداوي المرأة والجنس، ص 181.

² - المرجع نفسه، ص 42.

³ - نوال السعداوي، دراسات عن المرأة والرجل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط2، 1990، ص 179.

⁴ - نوال السعداوي، الأنثى هي الأصل، ص 241.

⁵ - المرجع نفسه، ص 243.

نزعة قاسية لنقد الذات وإنكار الذات وتحطيمها¹. ونلمس مما سبق أن الرجل هو الذي كان على الدوام يميل إلى الهيمنة والسيطرة والتسلط والبرجسية ونفي الآخر واستغلاله على الأقل، أما المرأة فكانت لم تجد ذاتها بعد على حد تعبير نوال السعداوي وترى نوال السعداوي أن الأديان لها دور فعال مما حل بالمرأة من دونية واحتقار إذ تقول: "كنت أندعش كلما أوغلت في قراءة تاريخ البشرية القديم قبل ظهور الأديان وقبل نشوء الأسرة الأبوية، لتلك القيمة الإنسانية الكبيرة التي كانت تتمتع بها الأنثى"². ونلمس في قولها أنها لم تستثني الدين الإسلامي الذي من المفروض أنها كانت تدين به وترجع في حديثها إلى الديانة اليهودية والمسيحية لكي لا يكون حكمها كلياً صادراً عن دراسة مجردة غير مقارنة، إذ تقول أيضاً "وباستعراض أفكار الدين اليهودي نجد أن أساس هذا الدين يقوم على سيادة جنس الذكور على جنس النساء وأن عقل الرجل جزء من الذات الإلهية أما المرأة فهي من سلالة الحيوانات والشياطين"³. ولم تتوقف عند هذا الحد بل واصلت حديثها ولم تستثني المسيحية أيضاً إذ تقول فيها: "ومضى بنا التاريخ ويعرفنا كيف بنت الديانة المسيحية من بعد اليهودية على أفكار مشابهة جذورها واحدة وفي عصر كعصر العصور الوسطى كانت الكنيسة هي السلطة الحاكمة وقد رأينا كيف كانت النظرة إلى المرأة وكيف كانت تحرق وتعذب باسم الدين وباسم المحافظة على القيم والأفكار السائدة"⁴.

إلا أنها لا يمكن إنكار ما تقوله فإننا قد سبق وأوردنا أن كلا الديانتين احتقرت المرأة وإن كان ذلك راجع لأسباب مختلفة في مقدمتها التفسير الذي تحول إلى تحريف فيما بعد فإن الأديان مصدرها الإله المطلق أو النقل أو الإيمان وليس العقل أو المعرفة الذي يكون ناقصاً ونسبياً في بعض الأحيان إذ يصبغ بالذاتية.

وظهر الإسلام أيضاً في مجتمع أبوي قائم على الملكية الفردية ونظام الطبقات والسياد والعبيد فأصبحت السلطة في الإسلام لرجل... وورث الإسلام عن اليهودية العقاب بالرجم في مسألة الزنا، وقد رجمت النساء بالحجارة حتى الموت في عهد النبي محمد وفي عهود الإسلام الأولى...⁵. وبالتالي فإن السعداوي لا تستثني الدين الإسلامي في حديثها عن دور الأديان في دونية المرأة ورفع قيمة الرجل إذ تقول أيضاً: "إلا أن الإسلام أنه مثل السابق عليه ورث الفكرة القديمة التي ألصقت تهمة الشيطنة لحواء وللنساء جميعاً من بعدها ومن الأحاديث

¹ - المرجع السابق ، ص 244.

² - المرجع نفسه ، ص 154.

³ - المرجع نفسه ، ص 160.

⁴ - المرجع نفسه ، ص 160.

⁵ - نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، ص 59.

الشائعة عند العرب هذه العبارة ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما"¹. وهنا استعمل الإثنين على حد سواء الرجل والمرأة فلا نفهم لماذا استدلت السعداوي بدليل كهذا فالمعنى منه أن الشيطان ثالثهما أي ليس امرأة وحدها ولا رجلا بمفرده بل باجتماعهما معا وتواصل حديثها "من هنا أصبحت المرأة في نظر العرب خطيرة على الرجل وعلى المجتمع وكان لابد من عزلها في البيت بعيدا عن الرجال وعن المجتمع أو حماية الرجال منها إذا خرجت من أسوار السجن وذلك بتغطيتها ولفها بالعباءة والحجاب كما تغطي وتلف القنابل الخطيرة"². ومنه فإن السعداوي ترفض الحجاب وهذا ما يتجلى من قولها السابق إلا أنها لا تتحدث عن الحجاب بصورته المادية و فقط بل بأبعاده المجردة إذ تقول: "أصبح الحجاب المادي أو الروحي أو كلاهما معا يحجب النساء عن الحياة والسياسة والدين والأخلاق وغيرها. تغير شكل الحجاب ونوعه حسب تطور المجتمعات قد يكون حجابا ماديا بالكامل يخفي جسد المرأة وعقلها وروحها وشخصيتها كما يحدث في بعض البلاد حتى اليوم تحت اسم الدين والأخلاق وقد يكون حجابا من نوع آخر لا تراه العين تفرضه التربية في البيوت والمدارس والأحزاب السياسية التي يسيطر عليها الفكر السائد الذي يميز الرجال عن النساء"³.

ولكننا لا نفهم عدائها للحجاب فهي تقع في تناقض فاضح فكيف يمكن أن تنفي الفروق البيولوجية ثم تعود لتنفي الحجاب الذي من شأنه أن ينفي الفروق البيولوجية ويستترها فإذا قارنا اليوم لباس المرأة المسلمة والرجل المسلم فليس هنالك فرق كبير بين القميص والحجاب وكلاهما يغطي التوتآت البارزة سواء في جسم الرجل أو المرأة. كما أن الحجاب لا يعبر عن ايديولوجية معينة واللباس على العموم كذلك فقد تلحظ انه هنالك طيبة تلبس حجاب واستاذاة كذلك وكل منها له توجه معين والحجاب لا يعبر عن العهر او العفة شأنه شأن باقي اشكال اللباس المختلفة فقد نجد محجة عفيفة والعكس بالعكس. واذا كانت قد تأثرت بأراء قاسم امين الذي كان يقول: "... لو لم يكن في الحجاب عيبا الا انه مناف للحرية الانسانية وانه صادر بالمرأة الى حيث يستحيل عليها ان تتمتع بالحقوق التي خولتها لها الشريعة الغراء والقوانين الوضعية في حكم القاصر..."⁴.

فإن قاسم أمين نفسه لربما لم يكن يتصور أن تأخذ فقرته هذه تلك الأبعاد التي هي عليها اليوم وإلا لما قال هذا أصلا. وما اغفلته السعداوي أو بالأحرى تغاضت عنه هو تدارك قاسم أمين فيما بعد بقوله: "...إننا نطلب تخفيف الحجاب ورده الى أحكام الشريعة الاسلامية لا لأننا نميل إلى تقليد الامم الغربية في جميع أطوارها

¹ - المرجع السابق، ص 109.

² - المرجع نفسه، ص 111.

³ - نوال السعداوي، هبة عبد الرؤوف عزت، المرأة والدين والأخلاق، ص 28.

⁴ - قاسم امين، المرأة الجديدة، ص 151.

وعوائدها لمجرد التقليد...، وإنما نطلب ذلك لأننا نعتقد أن لرد الحجاب إلى أصله الشرعي مدخلا عظيما في حياتنا المعاشية...¹. فهو بالتالي لا ينفي الحجاب ويستبعده نهائيا كما ترى السعداوي وإنما يطالب بإعادة إرجاعه إلى نصابه وعدم المغالات فيه فقط ويضيف قائلا: "... ربما يتوهم ناظر أنني أرى لأن رفع الحجاب بالمرّة لكن الحقيقة غير ذلك فإنني لا أزال أدافع عن الحجاب واعتبره أصلا من أصول الأدب التي يلزم التمسك بها. غير أنني أطلب أن يكون منطبقا على ما جاء في الشريعة الإسلامية"². وبالتالي فإن السعداوي تأخذ بالإشتهاء ما تحتاجه سواء من افكار سابقها أو من الدين الإسلامي في حين أن الدين الإسلامي لا يأخذ بالإشتهاء أو الانتقاء.

أما قصة الخلق وآدم وحواء لها ابعاد أخرى حسب رأي السعداوي. إشتراك آدم وحواء في الأكل من الشجرة المرحمة وهناك آية قرآنية تؤكد ذلك ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾³. (صيغة المثنى هنا تشمل آدم وحواء) لكن التوبة لم تشمل إلا آدم فقط حسب الآية ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾⁴. فهذا بدوره يحتاج إلى التفسير ومن المحال أن يفسر على هذا الحال كما تضمن نوال السعداوي وإلا لقال الرجال أيضا قد قال تعالى ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾⁵.

فالشقاء هنا موجه إلى ضمير المخاطب أنت فالشقاء لآدم وحده هنا أيضا؟، والأحرى أن هاته الآية أو تلك تحتاج إلى فهم في الدين. وهي تغوص أكثر في هذه القضية إذ ترى أن، إكتساب آدم لمعرفة الخير والشر بأكله من الشجرة لم يكن (سقوطا) وإنما كان ارتفاعا بالعقل والمعرفة عن مصاف الحيوانات وأن حواء لم تكن سبب السقوط وإنما سبب الارتفاع⁶. وهنا قد أقرت بتبنيها الفكرة القائلة بأصل المرأة في الخطيئة وهي فكرة كما سبق وتطرقنا وراة في اليهودية، وكذا المسيحية ولا أساس لها في الإسلام وترى أيضا أن جل الأديان جيدة في بدايتها لولا تدخل الإنسان إذ تقول: "والدين الإسلامي أيضا كان دين الفقراء الذين قاوموا السلطة الحاكمة

¹ - قاسم امين، تحرير المرأة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 89.

² - المرجع نفسه، ص 69.

³ - سورة البقرة الآية، 36.

⁴ - سورة البقرة، الآية 37.

⁵ - سورة طه، الآية 117.

⁶ - نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، ص 24.

المستغلة لجماهير الناس وكذلك أيضا معظم الأديان إن معظم الأديان تبدأ بدايات إنسانية ولكنها بمرور الزمن، بانتصار النظم الاستبدادية الحاكم، ووقوع الأغلبية الساحقة تحت رحمة الأقلية المسيطرة المستغلة"¹.

ولكننا إذا اعتبرنا أن كل دين ينزل كرسالة ينزل في شكل كتاب سماوي فإن اليهودية والمسيحية قد تتفق مع ما قالته السعداوي إلا أن الإسلام يستثنى هاهنا ذلك أن الإسلام هو الآخر قائم على كتاب القرآن أو اللوح المحفوظ الذي ظل دون غيره ثابتا ولم يحرف إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾². وتحدثنا عن ما قيل عن النساء أنهم ناقصات عقل ودين وتختلف الآراء حول هذا الحديث بعضهم ينكره تماما ولا ينسبه للنبي محمد، وبعضهم يقول أنه حديث ضعيف إلا ان الوجدان العام والخيال الجمعي للرجال قد ورث منذ العبودية هذه الصفات الخاصة بالمرأة ومنها نبعت قيم الأنوثة والأمومة والطهارة والفضيلة والأخلاق³.

ولا يوجد أمامنا سوى هذا المخرج لتبرأة الدين مما حل بالمرأة أي العرف والتقليد والتفسير التي سدجت الدين الإسلامي وحفضته وأفرغته من مضمونه الحقيقي وهذا ما وقعت فيه السعداوي نفسها، إذ تعود وتقول: أما حقوق النساء والأمهات في الجنة فتحتاج إلى بحث آخر لأن الرجال في الجنة يحضون بكل شيء وإشباع رغباتهم الجنسية حتى الثمالة مع الحوريات العذراوات اللائي لا يفقدن عذريتهن رغم الممارسات المتكررة، أما الأمهات والزوجات فإن حقوقهن في الجنة لا تزيد شيئا عن حقوقهن في الحياة الدنيا وليس لأي واحدة منهن في الجنة إلا زوجها والسؤال يبادر إلى الذهن إذا كان زوجها مشغولا بالحوريات العذراوات فماذا تفعل هي؟⁴. ولا ندري كيف تنفي حصولها على الحق في حضرة الواحد الحق في دار الحق، فلا بد ألا تكون بالأحرى شهوات جنسية في الدار الآخرة (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت) وما الذي ضمن لها عدم وجود حور عين ذكر؟

وتنتقد نوال السعداوي بشدة وتقول: "الذي يدرس قوانين الزواج في مختلف أنحاء العالم يدرك على الفور أن القهر الاساسي للمرأة ينبع ويصب في هذه القوانين التي لا تجعل الرجل وصيا على المرأة فحسب وإنما مالكا لجسدها ونفسها وكل شيء إن عقد الزواج ليس إلا عقد تملك تفقد به المرأة ملكيتها لنفسها وتسلمها لزوجها وفي ظل قوانين الزواج يملك الرجل لا المرأة فحسب وحدها ولكنه يملك أطفالها أيضا"⁵. وتضيف قائلتنا "ولا تختلف ملكية الرجل للمرأة كثيرا عن ملكية السيد للعبد فالرجل يشتري المرأة مقدما بالصادق وينص عقد الزواج

¹ - نوال السعداوي، الأنثى هي الأصل، ص 313.

² - سورة الحجر، الآية 09.

³ - نوال السعداوي، هبة عبد الرؤوف عزت، المرأة والدين والاخلاق، ص 38.

⁴ - المرجع نفسه، ص 53.

⁵ - نوال السعداوي، الأنثى هي الأصل، ص 267.

في أول بنوده على أن الزوجة ملك لزوجها واجبها الطاعة المطلقة"¹. وترمي في كلامها إلى أن الزواج بالنسبة للمرأة ملكية وعبودية هذا بالنسبة للزواج في شكله التقليدي الذي يقتصر على زوجة واحدة، أما تعدد الزوجات فتقول فيه "ونرى هنا تساهل الفلسفة الإسلامية مع الرجل لإشباع رغبته الجنسية وإن كانت على حساب إرقاق الولد ... والسؤال هنا لماذا تساهل الدين مع الرجل كل هذا التساهل؟ لماذا لم يطلب الدين من الرجل أن يكبح جماح شهوته والاقتصر على زوجة واحدة كما فعل مع المرأة وفرض عليها زوجا واحدا مع أنه سبق واعترف بأن المرأة لديها شهوة جنسية مثل الرجل وربما أشد"². إلا أن الجواب على سؤالها يقتضي التطرق لقضية ربما تكون معقدة بعض الشيء (مسألة القوامة) والتي ترفضها السعداوي من الأصل. وبرفضها الزواج يبدو أن تكون هناك (عنوسة) إلا أنها تعبر عن الكلمة وتأخذ بأبعاد أخرى .

كانت كلمة عانس تنال من كرامة المرأة وشخصيتها وتعد إهانة وتحقيرا لأن المرأة العانس لم تكن تنفق على نفسها بل تعيش عالية على أبيها حتى يأتيها زوج يتولى الإنفاق عليها بدلا من أبيها ... لكن المرأة العربية الواعية المستقلة اقتصاديا لم تعد تحمل لقب العانس بل تحمل لقب الأستاذة أو قاضية أو دكتورة أو كاتبة أو أديبة أو محامية أو تاجرة أو عاملة صناعية إن التغيير الاجتماعي والاقتصادي يؤدي إلى التغيير الأخلاقي³. وما تريد بلوغه من هذا هو أنه ليس بالإنجاب أو الأمومة يمكن للمرأة أن تكتسب قيمتها أو مكانتها الاجتماعية حريتها ومساواتها مع الرجل، بل عملها يلعب دورا أهم في ذلك من أمومة والإنجاب وتعود للسؤال أيضا: هل يمكن أن يأمر الله بقطع عضو خلقه في جسم المرأة؟ أم يمكن أن يقع الله في هذا التناقض؟ أن يخلق بشيء ثم يأمر بقطعه⁴. وهنا ترمي بسؤالها إلى عمليات الختان التي كانت تحدث على حد سواء بين الذكر والأنثى وتجب قائلنا: "... من هنا تنشأ عملية الختان لحرمان المرأة من العضو الجنسي الأساسي في جسمها وبالتالي تتفرغ للخدمة في البيت دون أن تعطلها الرغبة الجنسية عن أعمالها المنزلية وتشجعها على التطلع إلى رجل آخر غير زوجها"⁵. والسؤال هنا لماذا طرحت هذا السؤال واستهدفت عمليات الختان وتماشت الكلام عن عمليات التحويل الجنسي مثلا؟

¹ - نوال السعداوي، المرأة والجنس، ص 113.

² - نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، ص 116.

³ - نوال السعداوي، هبة عبد الرؤوف عزت، المرأة والدين والأخلاق، ص 109.

⁴ - المرجع نفسه، ص 82.

⁵ - المرجع نفسه، ص 84.

وتواصل حديثها قائلتا: "وتعيش المرأة التناقض الاجتماعي بحدة فهي يجب أن تكون بارزة عفيفة طاهرة لا تحس الجنس وهي يجب أن تكون آدة متعة وتشبع زوجها بالجنس حتى الثمالة وجسدها عورة يجب اخفائه لمقاييس الأخلاق. وجسدها مباح يجب تعريته بمقاييس الزواج التجاري والإعلان عن البضائع"¹. وتمضي قائلتا: "... ففي الوقت الذي يجرى لهن عمليات جسمية ونفسية لتفرض عليهن العفة ويعدم إحساسهن بمتعة الجنس يطالبن بإمتاع أزواجهن وإرضاء شهواتهم وقت ما شاؤوا وكيف ما شاؤوا"². لكننا لو اضعنا لفظة الإستثناء (إلا) بين كلمة الجنس وتشبع زوجها لفهمنا كل شيء وبأن المرأة يمكن أن تفرغ غرائزها الجنسية لزوجها وحده، أما فيما يخص الإعلان التجاري للزواج وجسد المرأة فإن الإسلام قد أمرها بالستر في كل الحالات وجعل جمالها يقترب بدينها كشرط للزواج.

¹ - نوال السعداوي، المرأة والجنس، ص 131.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.



تقديم وتقويم الجند:

المبحث الأول:

النقد والمعالجة

المبحث الثاني:

معالجة النموذج

الإسلامي تحرير المرأة

نتلقى جل أفكارنا في شكل مصطلحات، ونقول " نتلقى " لأن معظم هذه المصطلحات مصدرها الغرب، إذ لا يتم تحليلها وتفسيرها بل وحتى ترجمتها ففي بعض الأخبار يتم تعريبها مباشرة مثل "جندر"، ولذا ثمة غياب ملحوظ للبعد النقدي في الدراسات الغربية الإسلامية للمفاهيم والمصطلحات الغربية.¹

إن عالم اليوم هو عالم ما بعد الحداثة عالم " العولمة " " القولية " " ما بعد الحداثة " " النظام العالمي الجديد " عالم تعدد المراكز عالم التفكيكية والصراعية، عالم الأنانية والفردية، إذ تتصاعد معدلات الحلول والتفكيك وتعدد مراكز الحلول إلى أن تصبح الضرورة هي مركز الحلول، ويصبح النسبي هو المطلق الوحيد ويصبح التغير هو نقطة الثبات الوحيدة.... ويفضي بنا كل هذا إلى عالم مفكك لا مركز له ويتحول العالم إلى كيان شامل واحد تتساوى تماما فيه الأطراف بالمركز عالم لا يوجد فيه قمة أو قاع، أو يمين أو يسار أو ذكر أو أنثى.²

وينجر عن ذلك إنسان جديد إنسان بلا ذاكرة ولا وعي، إنسان عصر ما بعد الحداثة والعالم الذي لا مركز له، استخدام أحد الظرفاء اصطلاح " ما بعد البيكيني " (بالإنجليزية post . bikini) على منوال ما بعد الحداثة (بالإنجليزية post . modrnist) ليشير إلى هذا الاتجاه نحو التعرية الشاملة وليوجه أنظارنا نحو العلاقة بين تعرية المرأة من ملابسها وتعرية الانسان من منظوماته القديمة والخصوصية.³

ويشارك الكثيرون فيما آل إليه وضع العالم المتدني اليوم الخالي من القيم سواء الرأسماليون أو صناع التكنولوجيا أو المفكرون السياسيون وغيرهم ممن حاكوا مؤامرة العولمة وسيناريو الحداثة وتمثيلية النظام العالمي الجديد.

والتحديث بدأ بنظرية " هيغل " التي تتحدث عن المراحل التاريخية للتقدم البشري وجعلت من الليبرالية قمة تلك المراحل ومرور بمؤسسة علم الاجتماع الديني الغربي " ماكس فيبر (1920/1864) " ونظرته المعروفة ب (نظرية الفعل الاجتماعي والتوجهات القديمة)... وانتهاءا بنظرية (نهاية التاريخ المعروفة) والمنسوبة ل " فرانسيس فوكوياما...⁴ "

دون أن ننسى صامويل هنجتون و (صراع الحضارات) .

إن هنجتون في نظرية (الصراع) يتوقف عند حد بروز جهويات الانسان الجديدة القديمة في نهاية القرن وهي : العرق والتدين الطائفي وبمستوى أعم الهوية الثقافية والحضارية التي تقودها إلى حيز الصراع أو الصدام عنوة

¹ - عبد الوهاب المسيري، قضية المرأة بين التحرير ... والتمركز حول الأنثى، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. مصر، ط2، 2010، ص3.

² - المرجع نفسه، ص7.

³ - المرجع نفسه، ص 48.

⁴ - مثنى أمين الكردستاني، حركة تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص 263.

وذلك بالاستناد إلى وقائع وأحداث إن هي إلا متغيرات يعدها هنجتون مؤشرات تغير ستقع في المستقبل¹. ولعل هذا النقد قد يشمل فوكوياما وباقي الأفكار الغربية الحديثة التي لا تراعي الخصوصيات.

¹ - علي بن نايف الشحود. موسوعة الغزو الفكري والتقاضي وأثره على المسلمين، على الموقع التالي، (<http://www.mktaba.org>) (pdf)، ص861.

المبحث الأول: النقد والمعالجة

إن وقائع محاولة تنظيم العالم تحت هيمنة دولية غربية في أساسها أمريكية في صدارتها تؤكد أن المقصود من النظام العالمي الجديد هو توحيد نمط العالم على غرار قيم الغرب ولذلك فإن الغرب ممثلاً في دوله ومؤسساته الدولية والأمم المتحدة يختار بعض القضايا التي يبدأ بها عملية تغريب العالم.

1- نقد معالجة إيديولوجية

وقع الاختيار أخيراً على قضية المرأة كقضية مركزية باعتبارها مركز الأسرة والأخيرة مركز المجتمع والأخير هو لب الحضارة وجوهرها وبالتالي تكون عملية تفكيك القيم والأيديولوجيات سهلة بعد تفكيك مركزية المركز وتميع لب الجوهر " المرأة "

المدخل لكل تغيير اجتماعي شامل يأتي من خلال ثلاث ركائز

أولاً / المرأة : التي تبني الأسرة وتحتضن الأجيال وتزيد النسل وتعيد إنتاج القيم والثقافات .

ثانياً / التعليم : ودوره في حماية الهوية والتنشئة الفكرية والثقافية والعقائدية وتحديد توجهات الفرد وألوياته.

ثالثاً / القوانين والديساتير : التي تحكم المجتمعات وتضبط حركاتها وتكبح جماح الشرور الموجودة فيها.¹

وقد يكون ذلك عبر وسائل وأدوات مختلفة تساهم في تمرير المشاريع إن لم نقل فرضها مثل نوادي إتخاذ القرار (منتدى دافوس) وكذلك المؤتمرات الدولية (مؤتمري بكين للمرأة، والقاهرة للسكان) أو القوانين الدولية (cedaw) أو حتى وسائل الاعلام المختلفة.²

وتبين أن الأنتوية ليست مجموعة من الدعاوى والمطالبات التي تنظم بعضها البعض بل إنها نظرية فلسفية وطرح فكري قبل كل شيء وأن أي قراءة نقدية لهذه الأفكار لا بد أن تمر من خلال نقد هذه المبادئ التي قامت عليها الحركة وساهمت في صياغة جميع تصوراتها...³

ولكن قبل ذلك ما يمكن قوله هو أن جعل المرأة على هرم المشروع الحدائي أو النظام الدولي الجديد لم يكن صدفة ولكن مدروس بدقة، ذلك أنه بعد تملك غرائز الشبان عن طريق النساء يتمكنون من التلاعب بأفكارهم وعقائدهم وسلوكهم الإسلامي وبإخلاصهم لأمتهم وبلادهم وبسائر أخلاقهم الشخصية والاجتماعية.⁴

1 - المرجع السابق ، ص 273.

2 - المرجع نفسه، ص 276-286.

3 - المرجع نفسه، ص 330.

4 - فاطمة هدى نجا، المستشرقون والمرأة المسلمة، (pdf) - www.KUTUB-PDF-NET/BOOK/5355-المستشرقون-والمرأة

المسلمة. HTML، ص 38.

إن الخطاب الغربي خطاب وكما أسلفنا الذكر تفكيكي يهدف إلى تفكيك جل المركبات التي تقوم عليها الحضارات المختلفة ذلك أن المجتمعات الغربية عندما أهملت الدين ونشرت الاباحية ومكنت الافكار الأنثوية المتطرفة التي ساهمت بجزء مقدر في تفكيك الأسرة وضياع الأجيال وقعت في عشرات الأمراض المستعصية على العلاج وأن أي مجتمع يريد أن يتغرب ،ويقلد نمط التحديث الغربي في كل أبعاده وخصوصا في البعد الاجتماعي فلا مناص من وقوعه في تلك المهالك (ومن جرب المحرب حلت به الندامة) كما يقول العرب¹.

وإذا كانت الأسرة هي اللبنة الأساسية في المجتمع، فإن الأم هي اللبنة الاساسية في الأسرة، ومن هنا تركيز النظام العالمي الجديد على قضايا الانثى.... وهو خطاب يهدف إلى توليد القلق والضيق والملل وعدم الطمأنينة في نفس المرأة عن طريق إعادة تعريفها بحيث لا يمكن أن تتحقق هويتها إلا خارج إطار الأسرة².

ولكن لا أدري هل نحن مستعدون لأن نتبعهم في طريقة حياتهم حتى نصل إلى تلك النتائج المدمرة وحتى لو نحينا الدين جانبا ولم نفكر في الحق والباطل فهل مواردنا المادية تكفي لعلاج هذه الأزمة الخطيرة ؟ هل نحن نملك 800 مليون دولار للإيدز كميزانية أبحاث فقط غير عشرات المليارات في ميزانيات العلاج سنويا، إن ميزانية البحث العلمي في الولايات المتحدة عبارة عن 176 مليار دولار... وأما ميزانية العالم العربي للبحث العلمي 1.8 مليار دولار...³.

وباعتمادها على التفكيك قد قامت أولا وقبل كل شيء بتفكيك القيم عن الدين في شكل علمانية متطرفة كان من شأنها القضاء على كل القيم ومنظومتها الاجتماعية ليبقى تفكيك باقي المرجعيات سهلا والمرجعيات تنحصر في مصادر الشريعة من الكتاب والسنة واجماع وقياس ومصلحة معتبرة وعرف ... الخ، والحسن والقبح يتحددان شرعا وليس بالهوى والعقل المحض غير المستهدى بنور الوحي...فليس ما تراه المرأة حقا لنفسها، هو حق لها بالضرورة، وكذلك الرجل فليس له أن يقرر حقوقه ويتوسع فيها على حساب المرأة بهوى أو تحيز⁴.. لتكون الضحية هي الأسرة ككيان قبل المرأة كفرد فهي وسيلة لبلوغ غاية ألا وهي تهديم المجتمع وهزه ككيان انطلاقا من البنية الأساسية له .

¹ - مثنى أمين الكردستاني، حركة تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص 329.

² - المرجع نفسه، ص328- 329 .

³ - المرجع نفسه، نفس الصفحة .

⁴ - المرجع نفسه، ص331.

إنها في الحقيقة دعوى مجنونة لهدم الأسرة ككيان مقدس بإسقاط عماده الأساس وهو المرأة، بتغييبها عن دورها في تجديد النوع البشري وقطع شريان حياتها الذي يرتبط حبله السري بالزوج والأولاد والأمن والاستقرار، حتى ترتوي زراعة العلمانية الخبيثة، ويصطبغ الكون كله بلون دمائها الأحمر القاني¹.

ومنطقيا لا يمكن لعاقل أن يتقبل أفكار هدم الأسرة حتى وإن اعتبرنا أن السبب في ذلك ربما كان الذكر وتعسفه في حق المرأة إذا جاء الخلل من هذا الرئيس فنتيجة هذا الخلل كنتيجة كل خلل يصيب الوحدة من رئيسها، يزول الرئيس وتزول الوحدة ولكن لا يزول النظام ولا تزول الحاجة إليه فإن نظام الدولة لا يزول لخلل رؤسائها ونظام المحاكم لا يزول لخلل قضاتها، ونظام الشركات لا يزول لعجز مديرها أو لخيانته واختلاسه².

وعلى ذلك إن كان الرجل هو الرئيس فالأسرة والدين هما النظام التنفيذي والتشريعي على التوالي وحاشا لله أن يكون هنالك خلل في الدين إنما الخلل قد يكمن في الفهم أو التفسير والتأويل الذي قد يسدجه، وبالتالي فسقوط الأسرة نتيجة حتمية لسقوط الانثى بسقوط الأم والمرأة الزوجة تسقط الأسرة ويتراجع الجوهر الانساني المشترك ويصبح كل البشر أفرادا طبيعيين لكل مصلحته الخاصة وقصته الصغرى الخاصة كل انسان مثل الذرة تصطدم بالذرات الأخرى وتتصارع معها³.

وعلى ذكر المصلحة فإن المذهب البرغماتي المنافي تماما للتقييم كان من أحد مرجعيات الفلسفة الجندرية كما كان عاملا في سقوط الأسرة والمرأة كجوهر لها، فلو تساءلنا مالذي تجنيه الأم من تغيير حفاظات طفلها بعد آلام حمله ووضعها؟ سوى ألم وتعب، فالحكم هنا لا يصدر عن اجترار منافع أو نبد آلام وإنما يصدر الإنسان عن شريعة الواجب لا عن شريعة المنفعة في رعاية الذرية من الاناث كرعاية الذرية من الذكور فلا يفوت القرآن الكريم أن شريعة المنفعة قد تلجأ إلى قتل الرجل واستحياء النساء، كما لجأت هذه الشريعة قوما إلى وأد البنات واستحياء البنين وكلا المصابين بلاء يتقى، ووزر يحسب على جناته من الأمم والحاكمين⁴.

وعلى ضوء هذا الاستهداف للأسرة اضطرب تعريفها وشاع مصطلح القرين أو الشريك (spouse) أو (partner) بدل مصطلح الزوج أو الزوجة (husband) (wife) ويسمى الزواج الطبيعي المعروف بالزواج التقليدي أو النمطي (traditional) وظهرت فكرة الدعوى إلى بناء الأسرة الانمطية وإعادة تعريف الأسرة⁵.

¹ - علي بن نايف الشحود. موسوعة الغزو الفكري والثقافي وأثره على المسلمين، (pdf) <http://www.mktaba.org>، ص 861.

² - عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د.ط، د.ت، ص 118.

³ - عبد الوهاب المسيري، قضايا المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى، ص 30.

⁴ - عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، ص 56.

⁵ - مثنى أمين الكردستاني، حركة تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص 155.

بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك من عمليات التحويل الجنسي واليوغينيا وبنوك النطاف فأصبحت الأمومة مادية جافة من كل مشاعرها، إن الأمومة البيولوجية صناعة ثقافية وأسطورية، مع أهداف ضد المرأة¹. وهذا بدوره ناجم عن تغيير تصور المرأة للأمومة والانجاب فصاغته في قالب جديد يتناسب مع العداء للذكورة. إن الطفل يعني للرجل بقاء اسمه ملكيته طبقية بينما الأم يعني تبرير ضرورة علقها وارتباطها بالبيت². ويأتي هذا الرفض الأنثوي للانجاب والأمومة في سياق رفض كلي وقاطع لوجود أي فرق بين الذكر والأنثى يمكن أن يستند إليه في إسناد دور معين للمرأة والرجل³.

إنها تبحث عن المساوات مع الرجل بأي ثمن دون أن تقول لنفسها إن ألف رجل يمثلون الآن ألفا من ضروب التفاوت⁴، فقد شغلها البحث عن المساوات حتى عن نفسها وعن خصائصها التي تخلصت منها سالفًا لتلتحق بالذكر على زعم منها في الريادة فتخلصت من حق الأمومة بصبه في قالب الواجب.... وإذا لم تكن هنالك أم، فليس هنالك طفل، فالواجبات بينهما متبادلة⁵. أي بين الذكر والأنثى، ولعل الأمومة وإن لم تفهم جيدا هي قمة هرم الأنوثة وأرقى ضرب من ضربها ولكن جشع الجنادة إن صح التعبير - بالهاء وليس بتاء التأنيث لأن التأنيث قد نفي عنهم - أفسدوا كل قيمة للأنثى بسوء فهمهم، وأصبح من الضروري أن تتخلى عن وظائفها الإنسانية التقليدية مثل الأمومة، أي أنه تم القضاء على آخر معقل ومأوى للإنسان وآخر مؤسسة وسيطة تقف بين الإنسان ورقعة الحياة التي تديرها الدولة وتسيرها المؤسسات ويوجهها قطاع اللذة⁶.

وكانت نهاية المكيدة مأساة نسوية تفقد فيها الأنثى الجديدة تاء تأنيثها، مكيدة تلبس ستار دين جديد يدعوا له أنصار مسيلمة الكذاب - دي بوفوار، السعداوي... الخ. واعتقد أن انتهاء اسم مسيلمة بتاء لم يكن محض الصدفة فقد تبدوا لنا تاء تأنيث ولكنها ليست إلا للضرورة. وهؤلاء المحرضون لتجاوز المرأة واقعها التكويني ومهامها التي اصطفاها الإسلام بحسب خصائصها، إنما يريدون منها أن تركع لأهوائهم وأنانيتهم، وتقع في الفخاخ التي نصبوها لها، وما ذلك إلا لعوامل شح في نفوسهم التي تجعلهم يتخلون عن كفالة المرأة ورعايتها والنفقة عليها⁷.

¹ - المرجع السابق، ص 161.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - المرجع نفسه، ص 162.

⁴ - بيردراكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، تر، مجيد أسعد، منشورات دار الثقافة الإرشاد القومي، دمشق، 1983، ص 92.

⁵ - جون جاك روسو إيميل، تربية الطفل من المهد إلى الرشد، تر، نظمي لوقا، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص 190.

⁶ - عبد الوهاب المسيري، قضايا المرأة بين التحرير... والتمركز حول الأنثى، ص 17.

⁷ - فاطمة هدى نجا، المستشرقون والمرأة المسلمة، ص 16.

ولا يمثل هذا التفكير الأثوي، المتطرف الأناني، الفردي، العلماني، التفكيكي، الصراعي، قانونا عاما إنما هو حالة شاذة تم تعميمها بالاستعانة بجملة الرغبات الانسانية والفطرية على أساس أن (كل ممنوع مرغوب)، فقد كانت حالات قليلة تلك التي تضم فيها الأنوثة عند بعض النساء إلا أنهن قمن بتعميمها. ذلك أنهن نقلن حالاتهن الشخصية إلى المستوى العام، فقد أصبحن ضد الأم، وضد المرأة، وضد الرجل وضد كل شيء وضد أنفسهن على وجه الخصوص، من جراء كونهن يعانين صعوبات عميقة مع أمهاتهن وآبائهن وأزواجهن¹.

وهذا النوع من النساء ... متمركز حول ذاتها ... تود اكتشاف ذاتها وتحقيقها خارج أي إطار اجتماعي في حالة صراع كوني أزلي مع الرجل المتمركز حول ذاته وكأنه الشعب المختار في مواجهة الأغيار². وهذا الأمر طبيعي لكل من اعتنق العلمانية الأنانية الفردية التي تجعل الصراع حتمية وقدرا لا بد منه. وإذا تبعنا توجيهات الطبيعة، وجدنا أن الرجل والمرأة يجب أن يكون بينهما توافق وتناسق، ولكن يجب ألا تناط بهما أمور وأعمال واحدة .

"أجل إن الغاية من أعمالهما مشتركة، ولكن الأعمال نفسها متباينة، وبالتالي تكون متباينة كذلك الأذواق والطباع التي توجه تلك الأعمال ..."³.

"ولعله من أعظم آيات الطبيعة البديعة أنها صنعت كائنين فيهما كل هذا التشابه وكل هذا التباين في آن واحد..."⁴، ويقتر ب قول روسو (1778/1712) من ما ورد في القرآن الكريم ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ

لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً... ﴾⁵. أن المرأة والرجل قد جعل كل منهي إلى الآخر⁶، لتكون بالتالي علاقة تكامل

بدل صراع إذ بقوله تعالى في القرآن الكريم ﴿ هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ... ﴾⁷.

¹ - بيردكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص33.

² - عبد الوهاب المسيري، قضايا المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى، ص20.

³ - جون جاك روسو إيميل، تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ص 241.

⁴ - المرجع نفسه، ص235.

⁵ - سورة الروم، الآية 21

⁶ - جون جاك روسو إيميل، تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ص243.

⁷ - سورة البقرة، الآية 187 .

أن الأنوثة والذكورة سلوكان واتجاهان وأسلوبان في التصرف إزاء الظروف، ويقال من جهة أخرى على نحو مألوف اتجاه مذكر وأسلوب مذكر، واتجاه نسوي وأسلوب نسوي¹. وبالتالي فإن الضوابط كانت في الاتجاه والأسلوب وخصائصهما ومعاييرهما المتواضع عليها، يقول تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾². فإن الليل سبات باتجاهه إلى السكينة وأسلوبه المظلم

والنهار معاش باتجاهه إلى الحركة والصخب وأسلوبه النور، ولكل خصائصه مع العلم أنه لا يمكن فصل أي منهما عن الآخر فهم في عملية تعاقب لا ندري من أعلاهما أو أدناها، أولهما أو آخرهما، بل المهم هو أن كلاهما بالتكامل يشكلان اليوم الذي هو لب حساب السنة كذلك الأمر بالنسبة للذكر والأنثى ولعل اقتراحهما في الآية لم يكن محض صدفة إن تربيتنا تركز على أوامر يمكن أن تترد إلى "يجب عليك!" ولكن الطاقة تجيب "إذا كان باستطاعتي!"³، فلا الليل يمكنه أن يولد النور والحركة اللازمة للمعاش ولا النهار كذلك يمكنه أن يكون ظلاما وسكينة بغية السبات بل كل واتجاه وأسلوبه كذلك الأمر بالنسبة للذكر والأنثى كل ودوره ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ

اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁴.

هناك أمور تعرف من نقائضها كالليل والنهار والحياة والموت والنفس التي هي من طبيعة غير مادية كذلك الذكر والأنثى فكل منهما يساهم بشكل كبير في تعريف الآخر فالمرأة: "إنها صورة ما لبس هو، وهي تعبير عن غيابه الذي يخاف منه فهو يريد تأكيد حضوره الكامل...."، ولكن المرأة تصبح بذلك عنصر أساسي في تذكير الرجل بذاته... ولذا فإن الرجل يحتاج هذا الآخر حتى حينما يبنده⁵.

والعكس بالعكس إذ لا يمكننا إلغاء لا الذكورة ولا الأنوثة، يقول تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي هَآ

أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁶. إذ أنه لا

¹ - بيرداكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص253.

² - سورة الليل، الآية 1، 2، 3.

³ - بيرداكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص254.

⁴ - سورة الأنبياء، الآية 33.

⁵ - عبد الوهاب المسيري، قضايا المرأة بين التحرير... والتمركز حول الأنثى، ص24.

⁶ - سورة يس، الآية 40.

يجب الخلط بين الذكورة والأنوثة كما لا يجب الخلط بين الليل والنهار، والشمس والقمر فماذا لو غابت الأنوثة؟ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ

اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾¹.

فالحياة السوية التي نعيشها هي تكامل بين الليل والنهار، والذكورة الأنوثة وغيرها من الثنائيات، فكل يهبيء ما ينقص الآخر ويكملة عندما تقول امرأة لرجل أو رجل لامرأة: "أحبك" فإن المضمون في الغالب "أحب فيك ما ينقصني"². وبالتالي فكل وميزاته وخصائصه التي يفقدها الآخر ولا يكمل إلى بالالتحاق به، إن المرأة أشد من الرجل فطنة، والرجل أعظم منها عبقرية، إن المرأة تلاحظ أما الرجل فيفكر ومن تكامل العنصرين تحصل البشرية على أكمل علم يستطيع الذهن الانساني أن يصل إليه.³

كذلك لا يستطيع أحد أن يقول: إن الليل والنهار متعاندان... بل هما متكاملان يكمل كل منهما الآخر ولكي تستقيم الحياة لا يستغني الانسان عن الليل أو نهار أيضا الرجل والمرأة خلقهما الله سبحانه وتعالى متكاملين وليس متعاندين...⁴.

لقد أراد الله -تبارك وتعالى- أن يلفتنا إلى قضية التكامل بين الرجل والمرأة كقضية التكامل بين الليل والنهار مختلفان في الطبيعة فالنهار يملأه الضوء وهو وقت السعي وراء الرزق والحركة والليل تملئه الظلمة وهو وقت السكون والراحة والنوم.⁵ كما أسلفنا الذكر سابقا.

فإذا كان الرجل نزاعا بطبيعته نحو المستقبل نسي الآن وهذا أمر منطقي... والرجل مشنت وفوضوي ولكن المرأة هي النظام وتربعها الفوضى والأشياء التي يتأخر إنجازها.... وعندئذ ترتب بيتها دون انقطاع طيلة ثماني ساعات... وترتب العالم إلى خانات، لو كانت السلطة الممنوحة لها، يصبح العالم مجموعة من التخاريف منظما كل التنظيم ولكنه من غير مستقبل...⁶.

¹ - سورة القصص، الآية 72.

² - بيردكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص 307.

³ - جون جاك روسو إيميل، تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ص 273.

⁴ - محمد متولي الشعراوي، المرأة في القرآن، (pdf) www.NOOR-BOOK.COM/02/PDF_8721.HTML?M=1، ص 15.

⁵ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁶ - بيردكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص 496.

وبالتالي فإن العلاقة بين الذكر والأنثى لا يجب أن تقام على عناد أو صراع أو غير ذلك بل هي أرقى أشكال التكامل الإنساني، ونقول الانساني لأنه من الأنس أي عكس التوحش والتفرد والأنانية التي تؤدي إلى تصور طبقي يقر بدونية أحد الجنسين ويجعلهما في صراع دائم يحكمه قانون " الغاب " (القوي يأكل الضعيف) فإذا كان الناس يخلطون بين الأنوثة والضعف فذلك لأن غالبية الأنوثات تالفة بشناعة وضامرة، وإذا كان الناس يخلطون بين الذكورة والعدوانية فذلك لأن غالبية الذكورة مشوهة¹.

فضمور الأنثوية وتشويه الذكورة أدى إلى تدشين حرب ضد عدو متوهم تارة كانت الذكورة الحقبة وتارة أخرى كان الأنوثة المحضة لم يربح ولم يجني منها كلاهما شيئاً، بل كانت لصالح عدوين آخرين يتربصان بهما هما العنوسة والديوثة.

ومن قصور الفكر عند الداعين إلى قيام المرأة بجميع أعمال الرجل في الحياة العامة والخاصة، أن يقال : إن المرأة إنما تخلفت في الكفاية والقدرة بفعل الرجل ونتيجة لأثرته واستبداده وتسخير المرأة في خدمة مطالبه... فإن هذا القول يثبت رجحان الرجل ولا ينفيه فما كان للرجال جملة أن يسخروا النساء جملة في جميع العصور وجميع الأمم لولا رجحانهم عليهن وزيادتهم بالمرزية التي يستطيع بها التسخير، ولو كانت مزية القوة البدنية أو غيرها². هذا من جهة، ومن جهة أخرى... النساء من جانبهن لا يكففن عن الصياح بأننا نربيهن كي ينشأن تافهات مغرورات خليعات، وأننا نسليهن على الدوام بالأعيب طفولية كي نظل سادتهن، وبهذا يرمينا بتبعية عيوب نعاها عليهن ويألها من حماقة ! ومنذ متى كان الرجال هم القائمين على تربية الفتيات³.

فالأم كانت تقضي وقتاً أطول من الوقت الذي يقضيه الأب مع أولاده وبناته فلماذا لم تنقل هذا الادعاء من مجال التنضير إلى مجال التطبيق؟ وبالتالي تقوم بتربية بنتها على الاستعلاء أو الذكورة، ولكنها لن تستطيع لأن الطبيعة والفطرة يمنعاها، بل بالعكس من ذلك تماماً المرأة هي التي تصنع الرجل، وتجعله على وفاق مع الديمومة والمادة والحيوانية العميقة والحياة والموت. المرأة وطن الرجل الأم إليها يرجع دائماً بين سفرين بدونها يضيع، والمرأة نجت من مصايرها العجيبة بفضل حسناتها وعبوبها... ولكي ينجو الرجل من هذا الخطر صقل المرأة حتى حولها إلى شيء أو إلى أنثى صرف أما وقد حدث ذلك فقد احتقرها وكرهها⁴.

¹ - المرجع نفسه، ص 250.

² - محود عباس العقاد، المرأة في القرآن، ص 61.

³ - جون جاك روسو، إميل تربية الكفل من المهد إلى الرشد، ص 241.

⁴ - بيردكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص 195.

ولم يكن ذلك سهلا عليه بل شاقا وقد قام الرجل بذلك نتيجة لخوفه الغريزي الفطري من المرأة يولد الرجل من المرأة كما يولد الملح من الماء فعندما يقترب منها تمتصه ثانية كما يحدث للملح في الماء ثمة ما يدفع المرء للابتعاد¹ . فبعد طاعة أمه لسنوات قد تستمر مدى الحياة قد يقع في نوع آخر من طاعة الأوامر وتحت ضغط شخص آخر إن لم يكن ذلك الضغط مزدوجا بالالتحاق الحبيبة أو المعشوقة أو الزوجة أو غيرها من أشكال الجنس الآخر إلى رعب حياته وكما قال الشافعي رحمه الله : " إن المحب لمن يحب مطيع " ذلك أن عدد الرجال النشيطين الأذكياء والمحترمين من الناحية المهنية والموهوبي الجانب الذين يصبحون ثانية صغارا أمام نسائهم منذ دخولهم المنزل مرتفع جدا.²

كما أن الرجل قد يقول في نفسه : الكيمياء المظلمة غير المرئية كيمياء يضمن النساء يذكرني بحصري حصر العدم أفضل أن أبقى حذرا، إن بطن النساء سر غريب، إذن فالمرأة سر غامض كذلك..³.

ولطالما كانت غامضة بالنسبة لهذا النوع من الرجال الذين لم يستطيعوا أن يفهموا امهاتهم أو بناتهم أو زوجاتهم نحن لا ننفي أنها سر وغموض وليس إلى تلك الدرجة من الادعاء تلك الدرجة التي قد تقودنا إلى تصورات سلبية، خاصة وإن المرأة نوع إنساني فالإنسان نسبي بطبيعته، الحرية والارادة تجعلانه خاضعا للوصف الكيفي لا للتقدير الكمي بالإضافة إلى متغيرات الزمكان التي يخضع لها الانسان بتعددته وتعاقبه ولكن بخصوص المرأة يكون الأمر صعبا بعض الشيء.

هل يمكن أن نشرح عالما منحنيا بواسطة مستقيم؟ أو أن نحتفظ بالماء في أيدينا كي ما نعطيه شكلا؟ وهل يمكن الاحاطة بإحساسات الحياة، الاحساسات الواسعة التي تتصف المرأة بأنها المؤمن عليها بفعل طبيعتها ذاتها؟ ذلك أن من المتعذر أن نحصر المرأة في قوانين دقيقة مثلما أننا لا نعرف الدائرة بالمربع فالمرأة شبيهة بمحيط الدائرة الذي تحسبه بواسطة القطر، ثمة دائما كسر عشري يفوتك إلى مالا نهاية⁴ .

وكل ما نعرفه عنها أنها غير الرجل أي الدائرة ليست المربع وهذا الأخير واضح بعض الشيء مقارنة بسابقتها، ولكن من كان وراء " مكيدة النسوية " وتقطيع النسوة لأيديهن رجال لم يفهموا الاثنى ولم يعرفوا طريقا

¹ - المرجع نفسه، ص152.

² - المرجع نفسه، ص185.

³ - المرجع نفسه، ص172.

⁴ - المرجع السابق، ص475.

لها ... فالمؤنث فيهم مختلط بأمهم وطفولتهم التي يكرهونها، هذه الام علمتهم الخوف من الوجود، فالمؤنث والحياة الداخلية والعضوية، والمشاركة في الوجود العميق أبواب جهنم بالنسبة إليهم¹.

وعلى سبيل ذكر الوجودية فإن الوجودية هي الاخرى كانت من مرتكزات واسس بناء النظرة الجندرية النسوية المتطرفة التي اعتنقتها الكثير والحق أن هنالك عناصر من النزعة الفردية والنزعة الذاتية معا في الوجودية ...². وتلك النزعة الفردية الذاتية الأنانية ينجم عنها الصراع الذي يصدر عنه كل تمرد عن القيم وكما أننا اعترفنا بأن الناس على استعداد تام لاعتراف الالمعقول فينبغي أن نقول كذلك أنهم على استعداد كامل لأن يضعوا المطلب الاخلاقي جانبا، ولا شك أن بعض الطرق غير الحذرة في التعبير عن الرؤية الوجودية تشجع سلوكيات تحول في النهاية إلى سلوك مدمر لإنسانيتنا...³.

فالفهم الوجودي للجنادة هدف إلى إلغاء الآخر تماما إذا لم يكنفي بالأنانية أو الفردية أو الصراع في صورة من صور للاستعلاء بل دحض الآخر ورفع ونفاه في صورة للاستغناء التام .

والخطر من فلسفة تحصر نفسها في التمرکز حول الانسان ولا يكمن فحسب في أنها تقدم لنا فهما انثروبولوجيا جافا للواقع، وإنما في أنها في النهاية قد تنعكس بشكل ضار على الانسان ذاته، ذلك لأنه عندما يعزل الانسان بوصفه مركز الاهتمام وعندما يفهم الكون بأنه ببساطة مسرح الحياة البشرية وميدان انتصار الإنسان واستغلاله فإن ذلك يعطي دفعة قوية لتلك الاتجاهات المؤسسة التي أصبحت الآن مشكلة رئيسية تلوث الماء والهواء⁴. كما لوئت الرجل والمرأة.

لاحظوا الوجوه قلبوا صفحات المجالات وانزعوا من صورها العلامة الخارجية الخاصة بالمرأة أو الرجل (الشعر والمساحيق... الخ)، فكم من مرة تستطيعون أن تحددوا تحديدا يقينا أنكم إزاء وجه " امرأة" أم وجه " رجل" .

الحياة اليومية تضج بالرجال الذين يشبهون الانثى وبالنساء اللواتي يشبهن الرجال وإذا أصغينا إلى الأصوات دون أن نرى الوجوه، كم من مرة لا يقول المرء أيها السيد لامرأة وسيدتي لرجل⁵.

¹ - المرجع نفسه، ص 519.

² - جون ماكوري، الوجودية، تر، إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، د.ط، 1982، ص 297.

³ - المرجع نفسه، ص 296.

⁴ - المرجع السابق، ص 300.

⁵ - بيردكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص ص 246-247.

لقد اختلطت الأمور علينا فأصبحنا لا نميز لا نعقل الحابل من النابل، فبعدها كنا نتوقف بنسبينا على الأقل عند عتبة باب الجنس قد أصبحنا اليوم في نسبية تامة بعد ما ولجنا بيت الجندرة، حتى العقلانية أصبحت لا عقلانية في ظل فهم النسوية للوجودية بعدما كانتا متلازمتان في مستهل كتاب "ديكارت" مقال في الطريق " أنا أفكر إذن أنا موجود".

أصحاب النزعة العقلية يبدون بوجهه دافني الموتى، والواقع أنهم دافنوا الحياة، الأمر الذي يثير الاهتمام هو أن يرى المرء امرأة بين أصحاب النزعة العقلية هؤلاء أصحاب الأفكار، إنها تدخل تدريجيا في حالة من الشذوذ ... إنها لا تفهم محاولات الرجال لصنع معنى للوجود فهي دون إرادة منها ودون أن تعرف هذا المعنى، لا يريد الرجل أن يكون ليونا وهو يرفض حتى إشعار آخر أن يكون الانسان الآلي، إنه لحيوان معلق بين حديقتي حيوانات¹.

لقد فكك هؤلاء الرجال مقولة ديكارت وتخلصوا من لفظ " أفكر " وكذلك لفظ " موجود " وركزوا على اللفظ المتكرر ألا وهو " أنا " ليصبوا التفكير والوجود في قالب جديد قالب الأنا، الأناية الفردية وكل هذا غاب عن من تتشدد بدعواهم، فهي مشغولة " المرأة " بالموضة والألوان الزاهية والمرأة المشط والقلم والقامة واسلوب المشية والتحدث وغيرها من القشور التي كانت تظن أنها أناها الذي يثبت وجودها، فراحت تشغل فكرها بتلك الخزعبلات .

وأفضل وسيلة لمنع المرأة من أن تعبر عن نفسها تعبيرا حرا كانت ابقائها تحت نير العبودية ... والسد قائم في وقتنا الراهن، ولكنه أشد مكررا ودقة، ولا سيما أن نوع الذكور يفلح على الغالب في أن يضفي على نفسه مظهر الحوار الطيب عندما يجزر المرأة بصورة مزيفة².

تلك الصورة التي هي تعبر عن الحرية المطلقة في ظاهرها وعن الخضوع التام في باطنها حرية مطلقة في اللباس والاعتقاد والتفكير وستر الجسد لا بل تعريفه بتعبير أصح وخضوع تام لأفكار كانت قد خطط لها سابقا وصيغة صياغة رياضية في شكل قانون علمي وكأن نفس هاته الأسباب يؤدي إلى نفس النتائج أي تدمير المرأة خاصة والانسانية بصفة عامة... والحيل اللاشعورية بسيطة لا بد من أن تستحيل المرأة إلى شيء، وبعبارة أخرى " كوني " أجمل شيء ما في العلم متزين وشبعان فستبقين هادئة، ولن أشعر بأي خوف منك³ .

¹ - بيردكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص 67.

² - المرجع السابق، ص 175-176.

³ - المرجع نفسه ص 181.

والأمر الواضح هنا هو تفكيك شخصية المرأة وعزلها عن كل ما يجعلها أنثى حقيقية صعبة المنال لتصبح سهلة في زعم منهم أنهم تخلصوا من اشكالية " الحلوى والذباب " وكونهن موضع اهتمام بمنحن الانطباع بأنهن محبوبات فمن المنطقي إذن أن يطعن وصفات الذكور في تصميم الأزياء المصنع¹.

ولم يتوقف الأمر عند حد اللباس بل تطور فيما بعد للمظهر بصفة عامة... بينون للمرأة بواسطة عارضات الأزياء البشريات، الموضوعات قطعة قطعة، كيف تقف، كيف تمشي، وكيف تحمل بطنها في هذا الفصل، ويجددون لها محيط الخصر وحجم النهدين بل ثمة مصطلح مرعب إلى حد كبير "إن الزي جعل من المرأة مجموعة من قطع التبديل شأنها شأن السيارة أو الغسالة...." إنهن على هذا النحو مسرورات ويتركنا بسلام².

فبعدها كانت الاشكالية بين الحلوى والذباب الذي كان ربما يقلقها إلا أنه يجربها أصبحت عرضة لما هو أخطر من الذباب بتحويل حرفها الرابع إلى همزة على النبرة " الذئب " ولكنها كانت تقطع يدها دون أن تدري بحجة الحرية المطلقة "لا بد أن نتفق على نقطة هامة... هي أن الانسان يعيش في مجتمع ما يسمى بالحرية المطلقة . لا بد أن تكون حريته نسبية، لا تتعدى على حريات الآخرين هل تستطيعين أنت أن تفعلي ما تريدن إذا أردت أن تمشي في الطريق العام دون ملابس على الاطلاق؟... إذا أردت أن تستمعي إلى موسيقى عالية بعد منتصف الليل.... إذا دخلت أحد المحال أو البنوك ووجدت صفا طويلا من الناس يقف.... هل تتجاهلين وتكوني أول الواقفين؟"³ هذا ما قاله الشيخ متولي الشعراوي عندما سئل عن الحجاب باعتباره قيديا يمنع الحرية الشخصية حيث تقول نوال السعداوي " المفروض أن كل انسان يمتلك جسده والمفروض أن تمتلك المرأة جسدها لأنها انسان، فهذا أول حقوق الانسان"⁴.

وقد كانت هذه الحجة " الملكية " بإضافة إلى الحرية المطلقة حجتان أنانيتان فرديتان بشكل واضح ويعلق الدكتور محمد عمارة على قولها قائلاً : " حق المرأة في ستر جسدها من عدمه والحق والأصح أن نقول حق المرأة في كشف جسدها فقط أما المستور وعدم الكشف فذلك محارب باعتباره تخلفا ورجعية وتزمتا وريفا للظلامية والارهاب..."⁵.

1 - المرجع السابق، ص 184.

2 - بيرداكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص 182.

3 - محمد متولي الشعراوي، المرأة في القرآن، ص 100.

4 - نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، ص 215.

5 - مثنى أمين الكردستاني، حركة تحرير المرأة من المساواة إلى الجندرة، ص 239.

ولربما لو كان التعري قمة التحضر لكانت الحضارات البدائية وشعوب المايا والعصر الحجري هم رواد الحضارات وإلا لماذا كلما تقدمنا في البحث في التاريخ نرى أن الانسان كان شبه عار وكلما إرتقى فكره وعقله ستر عورته وجسده. ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءَ تُهْمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾¹ . وكان للإعلام دور فعال في تغيير صورة المرأة حتى أنها أصبحت وسيلة لترويج المنتجات المختلفة وهكذا إنما ينتهي الناس إلى عدم التميز بين الإنتاج الاستهلاكي وبين المرأة ذاتها، كما لو أن مسيحا كان يعتقد أن التمثال من الجص الضارب إلى الزرقة الذي اشتراه من سوق من الأسواق هو السيدة مريم بالفعل² .

فقد انتهى الحال بهذه المرأة في أسفل الهرم متدحرجتا من الانسانية نحو الحيوانية ومن ثم البدائية لتنزل إلى أسفل السافلين إلى منزلة التشبيؤ والتسلع، هذه المرأة هي البغي الارادي لهذه الحقبة نهاية القرن العشرين التي تشكل هذه المرأة جزء لا يتجزأ منها، شأنها شأن الاحتشاء والجرافات والطرق ذات الاتجاهين المنفصلين والنظامات الآلية والنفط والأعمال³ .

وكان لسان حال مدبري المكيدة يقول:.... ولكي نجعل هذه العبودية كاملة سنجبر ملايين النساء على أن يفقدن شخصيتهن، ومن أجل هذا استخدم الفيزياء والكيمياء والاعلان والملايين ونصنع الفتيات من هن من الاتصاف بالجمود بحيث يستبعد كل خطر⁴ .

وبعد كل ذلك السفور والتعري الظاهري من الملابس الباطني من القيم ما الذي يمكن أن يحصل سوى ثورة جنسية غذائية تحول الانسان إلى حيوان تحكمه الغريزة لا العقل ويمكن للبعض أن يقول أن الانسان من الأنس وهو عكس التوحش والوحشة فلماذا يكون الغريزي فيه متوحش ألا يمكنه الإمساك فيما يخص شهوته ؟ فيكون الجواب أن الانسان من الأنس حقا ولكنه قبل ذلك كان ولا يزال يعرف بعقله أي أنه عاقل له عقل يحتم عليه نبد صفة التعري قبل كل شيء كصفة حيوانية كما أنه كائن اجتماعي في تعريف منطقي آخر وحرته تتوقف عند حرية الآخرين، يقول " جورج بالوشي " في كتابه " الثورة الجنسية " " الآن بعد أن كادت مخاوفنا تهدئ من الخطر الذري وتستريح للتصالح بين القوى العظمى، لا توجد حوافز بشرية تحس القلق البالغ الأهمية البالغة التي يكتسبها (

¹ - سورة طه، الآية 121.

² - بيرداكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص 202.

³ - المرجع نفسه، ص 230.

⁴ - المرجع السابق ص 22.

الجنس) في حياتنا اليومية ؟ ! ألا نشعر بالخشية إذ نرى أمواج الشهوات الجنسية وغارات العري والاعراء لا تهدأ حتى تتورق؟.... إن القلقين على مستقبل العالم وفضائله يشعرون بأن أطنانا من القنابل الجنسية تنفجر كل يوم وينشأ عن إنفجارها دمار واسع...¹.

وهذه القنابل منها العنقودية الآتية التي هي بمرأى منا اليوم ومنها الموقوتة التي ستنفجر لاحقا وهذه الأخيرة هي الأخطر وحتى المفكر الملحد البروفيسور " ريتشارد دوكنز" يشهد بذلك في قوله : " وبموجب اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل فإن للأطفال حرية التعبير وحرية التعبير الجنسي، إذن فمن ينكر حق الطفل في ممارسة الجنس مع الكبار لا ينتهك حقوق الأطفال فحسب بل ينتهك حقوق الكبار أيضا : إن ظننت أن مناقشات الشذوذ في هذا القرن بذيفة فالنتظر عشرة أعوام أو خمسة عشر عاما آخر حينما يبدأ الأكاديميون في تقديم الحجج عن العلاقات الجنسية والشاذة مع الأطفال منذ سن مبكرة كحق من حقوق الانسان العالمية . إلى أين سننتهي؟؟؟².

ولعل الاجابة المحتملة واضحة نمتلك كلنا تصورا سابقا عنها فنزوع الانسان نحو الجنس والغريزة يجعله يتصف بالحيوانية فيجتز المادية وينبذ التجريد، أي يصبح عبدا للذة عدوا للعقل الذي ضبطها وبالتالي ستظهر القيم بوجه جديد بوجه المسخ، والواقع أن مستقبل الأجيال الناشئة مخوف بالمكراه ربما يتحول أطفال اليوم إلى وحوش عندما تحيط بهم وسائل الاعراء المتجددة بالليل والنهار ! إن تشويها كبيرا سوف يلحق البشر حيث ما كانوا..."³.

ولا شك أن دعاة الجندرة لم يغفلوا عن هذا ويظهر تناقض ونفاق دعاة الأثنوية في تباكيهن على (استغلال دعاة النساء) بعد أن وفرن بأفكارهن البيئة المناسبة لها، واقرارهن حق المرأة في اتخاذ المهنة.⁴ والمقصود بالبيئة المناسبة تلك الحرية التي جعلت كل شيء مباح.... اعلانات من كل الأحجام، مجلات وأغلفة مصورة، أفلام سينمائية، صور معروضة في مداخل علب الليل وآلاف من الفتيات والنساء يرتدين ثيابا كان يمكن أن توصف بقلة الحشمة منذ عهد قريب⁵.

¹ - محمد الغزالي، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، ص 45.

² - نقلا عن، مثنى أمين الكردستاني حركة التحرير من المساواة إلى الجندرة، ص 324.

³ - نقلا عن، الغزالي، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، ص 45.

⁴ - مثنى أمين الكردستاني، حركة تحرير المرأة من المساواة إلى الجندرة، ص 37.

⁵ - نقلا عن، الغزالي، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، ص 46.

تلکم هي البيئة التي نشأت فيها الدعارة وتلکم هي الاسباب التي تؤدي دائما إلى نفس النتائج بدل نفس النتائج فتتسبب نتائج بناء الأجيال لحضارة معينة انطلاقا من استهداف الهوية والقومية المكونة من العادات والتقاليد ... وفي الواقع يستحيل اليوم السير في أي مدينة كبيرة دون التعرض " للقصف الجنسي " الحقيقي...¹. وهذا يعد كدليل بأن سياسة دعاة الجندرة والتطرف النسوي قد نجحوا في مبتغاهم ... إن الفخ على العكس، قام بعمله على نحو ممتاز، لقد كانت الفرصة مع ذلك فرصة مثالية، فالسمكة كانت جائعة وكان يكفي إلقاء الصنارة في الماء لتتخدع بها².

فقد كانت النساء تنتظر الفرصة السانحة للثورة على مجموعة القواعد المرجعية "الغرب" والتي ضاقوا بها ذرعا ليطلقوا العنان للحريات حرية التعبير -إبداء الرأي- التفكير انتهائاً بحرية التعري والحرية الجنسية وكتب جيمس ستون في جريدة "النيويورك تايمز" إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون في نهاية المطاف أكبر من خطر الطاقة الذرية³.

هذا ويذهب " تويني " إلى أبعد من ذلك ويلفت النظر إلى أن سيطرت الغرائز الجنسية على السلوك والتقاليد يمكن أن تؤدي إلى طريق تدهور الحضارات.⁴ فكان هذا الطريق السهل في نظر الأنثوية المتطرفة لمحاولة إخضاع الرجل والسيطرة عليه بواسطة الجنس ولما اقتنعت الكثيرات منهن أنها طريقة عقيمة لا تجدي نفعا بالإضافة إلى جعل المرأة مجرد مادة جنسية ابقوا عليها وحاولوا ولوج عالم الذكورة والوقوف كند له ولكن هذا الآخر كان مدبرا أيضا من الرجال ذوي الخوف الغريزي بهدف القضاء على الأنوثة أينما كانت ولعل الخطة حيكت انطلاقا من عالم الشغل ومع خروج المرأة لعالم الشغل يجب أن توفق بين الأمومة والأولاد والأنوثة ودور الزوجة والعمل والمردودية الاقتصادية ما يجعل الأمر صعبا أن لم نقل مستحيل فالمجالات الثلاثة اثنين منها يمكنها التماسي معا وهما الأولان أم المجال الثالث فلا يتلاءم مع أحد سابقيه كما أنها غير مكلفة به . "والمرأة تشكوا أنها تعمل طوال النهار، عندما تعود إلى المنزل تصبح جثة هامدة.... لا تستطيع تحمل أي عمل آخر وهي إن تكون ربة بيت أو امرأة صالحة فعليها أن تختار إحدى الحسنين، والكثير ممن اخترن العمل على حساب الأولاد"⁵.

1 - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

2 - بيرداكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص 23.

3 - نقلا عن، الغزالي، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، ص 45.

4 - المرجع نفسه، ص 46.

5 - محمد متولي الشعراوي، المرأة في القرآن، ص 129.

إن قضية عمل المرأة، قد أضعفت الأجيال من الأولاد، فافتقد الابن حنان الأم ورعايتها ونشأ في حالة اضطراب نفسي، نشهدها الآن في الاجيال الشابة التي بعدت عن حنان الأم ورعايتها وتعليم أولادها القيم في الحياة.... قد يقال إن دور الحضانة قد حلت المشكلة... أن هذا الكلام لا يتفق مع الواقع فلا توجد امرأة تستطيع أن تعطي حنائها واهتمامها لمئة طفل... ستأجر النساء في أعمال حتى ذات الأهمية الكبيرة منها ولكن في أعمال لن يكون للأنثوة أي علاقة بها.... وستضم الأنثوة بوصفها غير مستعملة، وستفنى وستتوقف الخطر¹.

وهذا ما قيل في ظهورهن ورائها وبعيدا عن مسامعهن . غير أ النساء اللواتي يبحن عن هويتهم من خلال مهنة من المهن لن يجدن لها أبدا . ذلك أن الجنسين شئن أم أبين موجودان دائما أحدهما بواسطة الآخر ولن تحمل المرأة على وضعها، الأساسي إلا بواسطة الرجل ومن أجل الرجل والمقابل صحيح أيضا كل الصحة² .

وحتى وإن كانت تهدف من خلال عملها إلى نبذ الكفالة ظاهريا وإلى الاستغناء باطنيا فلم يكن عليها اتباع مثل هذه الطرق المتتوية بل كان يجب عليها" أن تعلم إلى أي حد يتصف الرجل بأنه ثلوم بدونها وأعزل كما يعود المغامر إلى وطنه، وأرضه وقريته ومنزل طفولته كذلك فإن الرجل الذي يدفعه حصره إلى الفتوحات التي لا تعرف نهاية يكابد الحاجة إلى محطة داخلية قرب امرأته وفي منزله.... يجب أن تفهم أن اختفاء المرأة يعني زوال العالم"³.

ولكنها لم تعلم أو لم تفهم هذا التصور الصحيح أو حينما فهمته كان قد فات الأوان فقد أو قدت مشعل الصراع مع الرجل. وولجت عالمه لا بل عمله واصبحت ندا له في نظرها تفعل ما يفعل تعمل كما يعمل والحق أن الكواليس كانت تضج ببروفا هذا المشهد " ... كما لو أن قادة العالم التكنولوجي كانوا يقولون لأنفسهم هل استبعدنا النساء دائما؟ إننا في حالة الراهنة نمسكهن فقط . إنهن يعملن لدينا أو من أجلنا، يهدمن أنفسهن بواسطتنا، ويصبحن أنصاف ذكور أمر ممتاز فنحن نبقي ذكورا على نحو كامل ونحتفظ بالهيمنة عليهن⁴ .

ولو كان تصورهن للعمل على أساس ربطه بالاستقلالية فهذا تصور خاطئ إذ أن المفهوم الجديد للعمل في ظل التكنولوجيا المتطورة وظهور الآلة لم يمنح حتى الرجل الاستقلالية بل نزل به إلى مرتبة العبد - عبد الآلة- بحيث أصبح نشاطه جانبا غير رئيسي أو مركزي وكما يقول ويؤكد ذلك هربرت ماركيز (1979/1898) في

¹ - بيرداكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص34.

² - المرجع نفسه، نفس الصفحة.

³ - بيرداكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص65.

⁴ - المرجع السابق، ص25.

كتابه "نحو ثورة جديدة" أن يكف العمال عن أن يكونوا العوامل الرئيسية في الانتاج المادي لينصرفوا إلى مراقبته وتنظيمه فحسب ومن هنا كان ظهور عبد داخل مملكة الضرورة¹.

فلم يحصل الرجل في ظل هذا المفهوم على حريته واستقلالته بالرغم من أنه كان سباقا في مجال العمل فكيف يمكن للمرأة أن تكون كذلك، إنهم يعملون وكأنهم رجل واحد... إنهم مبتهجات بكونهن مستقلات، فقد وجدن حرية الطاعة للآلات التي تراقب دخولهن إلى المصانع وخروجهن منها... إن مجرد كونهن مسجونات يمنحهن وهم أنهن موجودات. وإذا ما انتظرن فإنهن سيعملن من أجلنا. أنهن يد عاملة ممتازة. رخيصة الأجور، أنهن لسن نساء ولا رجال وكل شيء على ما يرام².

وهذا الكلام الذي كان في الخفاء وراء الستار ستار الحرية والمساواة والشعارات المختلفة الرنانة التي جعلت من الأنثى ضد أنوثتها وجعلت الأنوثة في حالة اغتراب والذكورة في حالة استلاب خاصة بعدما اتخذت قطعية المرأة أبعادا أخرى غير التي عهدناها كالسياسة مثلا إذ يقول بيرداكو في ذات السياق: "لا ينبغي أن نخشى علماء الفيزياء ولا علماء الرياضيات، أن معظمهم احتفظ باتصاله مع نفسه ولكن ينبغي أن نخشى أنصار التكنولوجيا ورجال الأعمال العالميين الذين لا حياة داخلية لهم وانصار الرجال السياسيين الذين ليسوا إلا أفكار تسير"³.

وبعدما اتخذت القضية كل هذه الأبعاد وزج بالمرأة في ميادين غير ميادينها التي عهدناها فيها عادة المرأة الأسبرطية إلى الظهور في حلة جديدة "المرأة المسترجلة" ولكنها نسخة مطورة عن سابقتها فبعد عجز الكثيرات عن أن يصبحن نساء بالمفهوم الجديد الذي يحوي في دائرته تعجيزية، كنا قد لحصناها سابقا من موضحة وسفور، وقد وقامة، لا يمكن بلوغهم تنفي أنوثتها وتتحول إلى الانشغال على الذكورة لمن استطاع إليها سبيلا، ولكن دون أن ننسى أن من بلغت مفهوم الانثى من مطابقة في حلتها الجديدة ستكون مومسا بلا شك وليست "باربي" الدمية سوى حكاية جسم بلا روح، فنحن عرفنا جسم باربي وجمالها ولم نعرف يوما قصة عن أخلاقها أو دورها؟. إن أساس التقليد عندنا صدوره عن الرغبة في الخروج من الذات أي الرغبة في التظاهر والتصنع...⁴.

بالمعنى الذي رسم لها وأريدها أن تكونه أو بالأحرى أن تعجز دونه. فتصنع وتحاول أن تكون ذكر... "إنهم يرين أنفسهم ملزمات بأن يكن نساء ورجالا في الوقت ذاته ولكن مع توقفهن عن أن يكن نساء وعجزهن عن أن يصبحن رجالا إنهم يصطدمن بالا معقول والحال فيصرفن طاقتهن دون حساب ويسعين إلى التخلص من

¹ - هاربرت ماركيز، نحو الثورة الجديدة، تر، عبد اللطيف شرارة، دار العودة، بيروت، لبنان، د.ط، 1971، ص 300.

² - بيرداكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص 27.

³ - المرجع نفسه، ص 227.

⁴ - جون جاك روسو، إميل تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ص 112.

الشعور بالإثم، وإذ يوجهن اهتمامهن إلى المطبخ والأولاد، إلى مهنتهن ومديرتهن، وإلى أزواجهن وإلى نجاحهن وحبهن ومن الواضح أن هذا كله يتم في وقت واحد¹.

فيجعل الأنتى بين هذا وذاك، بين أن تكون أنتى أو مومسا، أو تكون أنتى مسترجلة أو أن تكون ذكرا، أو أما عاملة، فتختلط عليها ولا تثبت كينونتها ووجودها وسط هذا الزخم الكبير من الأوامر والأفكار. والحق أنهن لما أردن تقليد الرجل وأن يصبحن ذكورا فهذا نابع من فطرة تقليد المغلوب للغالب أو كما يقول ابن خلدون "المغلوب مولع بتقليد الغالب" ونشير إلى أن هذا مجرد تصور عاطفي ترسب عندهم، وكما يقول روسو: "أنا أعلم أن كل فضيلة تقوم على التقليد هي فضيلة قرود وما من عمل طيب يعتبر طيبا من وجهة نظر الأخلاق إلا وقام به الانسان لذاته وعن وعي به لا لأن الآخرين يقومون به"².

فالبغاء قد يقلد الانسان في الكلام والنطق إلا أنه يعجز عن تقليده في الفهم والتفكير كما أن النطق في الأصل جوهر إنساني -الإنسان حيوان ناطق- ويبقى البغاء مقلدا وخيال للغة الإنسان كمثل. وإلا لما نستخدم لفظ مثل وكاف التشبيه لقياس الأصل أي المقاس عليه والمقاس. وكذلك الأمر بالنسبة للأنتى التي تترك أنوثتها تضر وتلهث وراء تقليد الذكورة التي ليست من طبائعها وجوهرها وبالتالي تصبح تشبيه واستعارة ويصبح الفعل لغير ذاته بتعبير كانطي وتسقط عنه صفة القيم.

ويمكن القول إن النساء يحاولن حين يصبحن مثل الرجال أن يتخلصن من أنوثة تخيفهن، والحال أن هذه الأنوثة تبقى حاضرة سواء شئن أم أبين، فهن إذن في تناقض دائم مع أنفسهن وحياتهن مشحونة على نحو لا شعوري بالحصر والأم. وذكورتهن ليست واقعية³.

إن تنمية خواص الرجل لدى المرأة واهمال خواصهن الأصلية خليك أن يضر بالمرأة ضرر واضحا والمآكرات من النساء لا يفوتهن هذا المغزى، فيجتهدن وهن يحاولن سلب مزاياها، وأن يحافظن على مزاياهن الأنثوية الخاصة وإلا أن هذا المجهود المزدوج يثقل عليهن لتباين الجانبين فيتخلفن في ميدانهن النسوي كما يتخلفن في ميداننا، تفوتهن بذلك الحسنين⁴.

¹ - بيرداكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص 32.

² - جون جاك روسو، إميل تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ص 111.

³ - بيرداكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص 53.

⁴ - جون جاك روسو، إميل تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ص 242.

وبعد هذه المكيدة تأتي المأساة، مأساقتن فينتهين إلى شيء ما لا مادة ولا روح ولا عاطفة ولا عقل "إنهن رجال خائبون ونساء فاشلات ويتعرضن إلى خطران: يصرن يائسات ،ودونما هدف في متاهات الشعور بالدونية"¹.

فكثيرا ما يفقدن الأنوثة ولا يبلغن الذكورة فيعجزن عن العودة أو الاستسلام، فيخترن طريقا آخر يستغنين فيه عن الأنثى والذكر معا "هؤلاء النساء ممزقات بين الذكورة يتمنين امتلاكها وبين أنوثة موجودة على الرغم من كل شيء وبعبارة أخرى، إن توازنهن بالنظر لكون جزء الجنسية المثلية مكبوتة في اللاشعور، بحيث أن شخصيتهن تتصف بما يشبه الانقسام إلى جزئين الأمر الذي يثير الشعور بالكف والا أمن والدونية والحصر"².

هؤلاء النساء وإن كنا قد ارتكبنا خطأ بوصف(هن) (هم) نساء بل هن السحاقيات اللواتي يأخذن بالمساحقة كحل للاستغناء عن الرجل في العملية الجنسية وتقول البروفيسورة الأمريكية كاثرين: "وقد حققت هذه الحركة المتطرفة وأكبر المنظمات الأنثوية من المنظمة الوطنية للنساء (تقصد أمريكا) وبها 50% و60% من أعضائها من السحاقيات وهن مهتمات بقضاياهن أكثر من أية قضية أخرى تهتم بها عامة النساء وقد أدركن أنهن إذا أردن أن يقبلهن المجتمع فعليهن أن يهدمن الأخلاق والقيم"³.

وبالتالي فإن ما قام به هؤلاء شديد الدهاء باتخاذ صفة الشمولية فلم يتركوا أي مجال إلا وفككوه واستأصلوا منه ما كان سابقا فأصبح اللوات والشذوذ حرية ومواكبة للعصرنة وكذلك السحاق ولكنه كان يمثل الجانب التطبيقي للنظرية النسوية أو الحركة النسوية المتطرفة والجندرة إذ تقول إحدى دعاة التمركز حول الأنثى من السحاقيات.

"إذا كان الفيمينيزم هو النظرية، فالسحاق هو التطبيق . If feminism is the theory , lesbianism is the pazctice. ويصبح من الطبيعي أن لا تلجئ المرأة إلى الرجل لإنجاب الأطفال بل يمكن أن تلجأ للمعامل والإجراءات العلمية المختلفة (المعقمة من التاريخ والمجتمع والقيم لتستبعد الرجل كشريك في انسانية مشتركة"⁴ .

هكذا استأصلت الانسانية من جذورها إن صح التعبير لا بل الأمر أشبه باستبدال التربة الحسنة الصالحة للزراعة بالبور عمدا للقضاء على آخر معاقل الانسانية، وحتى وإن كان ذلك غير مقبول ولا معقول فقد يقف

¹ - بيرداكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص 54.

² - المرجع نفسه، ص 413-414.

³ - نقلا عن، مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندرة، ص 322.

⁴ - عبد الوهاب المسيري، قضية المرأة بين التحرير... والتمركز حول الأنثى، ص 30.

الانسان السوي أمام كل هذا السيل الجارف من الأفكار مذهول إذا إنهم يجعلون من المرفوض مقبول (الشذوذ) ومن المعقول السوي لا معقول (الزواج وما والاہ من أدوار المرأة) ومن كل كيس فطن مجنون محبول (فرويد وغيره ممن تصدو لهذا المرض) وما يمكن قوله أنهم فعلا سفسطائيو عصرنا هذا فإن كان أرسطو قد وصف المنطق كدواء لداء السفسطة فإن حمى الجندرة قد عجز عنها هذا الدواء فما الحل هل هو الدين؟. قد نقول لا لأنهم رفضوه وقد تحدثنا عن ذلك سابقا سواء في المسيحية واليهودية وحتى الإسلام . هذا الأخير الذي تلقي نقدا لاذعا، إذ تقول نوال السعداوي: " شعرت أن الله تحيز للصبية في كل شيء " ¹.

وربما قد استدلت ببعض الآيات التي أساءت فهمها كما شعرنا نحن أيضا مثل قوله تعالى ﴿يَهْبُ لِمَن

يَشَاءُ إِنثًا وَيَهْبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ ²، فالذكور معرفة والإناث نكرة وقوله تعالى ﴿... وَلَيْسَ

الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ ³ بل بلغ بها الأمر للحديث عن لفظ الجلالة " الله" باعتباره لفظا مذكرا - معاذ الله -

كما تحدثت في إحدى المقابلات الصحفية التلفزيونية، ونحن نستغرب كهذا تصور وفهم إذ أننا لم نعلم من قبل أن هنالك اسما من أسماء الله الحسنى يدعى (الذكر)، كما أنه جل وعلى سبحانه الله عما يدعون يقول في كتابه

الحكيم ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ⁴. ومنه فإنه غير شبيه لشيء

وخرج من كل الصفات المتواضع عليها والمعروفة بما فيها الذكورة والأنوثة فهو الخالق فكيف يمكنه حمل صفة المخلوق، هل النجار عندما يصنع بابا هل الباب يشبه النجار؟ حتى النحات كذلك ولو قلنا أنه بإمكانه نحت

تمثال يشبهه إلا أنه لا يمكنه نقل كل صفاته لتمثاله إذ يعجز عن نقل الصفات البيولوجية وإلا لما يشاد بالنحات

أو النجار أكثر مما يشاد بالباب أو التمثال ولا يمكننا وضعهما كأنداد فلا تكافئ هنا، فالفرع لا يساوي الأصل

كذلك الخالق لا يساوي الخلق ومنطقيا هذا ادعاء فاسد، وقد تبادوا في الدين ووصفوه بالذكورة .

"نقد الفقهاء واتهامهم بالجمود والتخلف والذكورية وانهم عاشوا في عصر الظلام كما قالت "أمينة سعيد"

كيف نخضع لفقهاء أربع ولدوا في عصر الظلام ولدينا الميثاق ⁵، ولا مشكلة هنا فمادام كل العصر وصف

¹ - نقلا عن، مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندرة، ص216.

² - سورة الشورى، الآية 49.

³ - سورة آل عمران، الآية 36.

⁴ - سورة الشورى، الآية 11.

⁵ - مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندرة، ص221.

بالظلام فلا شك أن المرأة آنذاك كانت في ظلام دامس على حد رأيها وبالتالي وجب علينا الأخذ برأي الاخف فهل نختار الظلام أم الظلام الدامس؟ ولم يكتفوا بهذا وحسب بل وفي محاولة لتشويه الإسلام وتسديجه قاموا بالدعوة إلى أن يكون الاجتهاد مباحا متاحا بغير ضوابط أصولية معروفة عند العلماء ومذاهب المسلمين أو بعبارة أخرى الدعوة لقراءة جديدة معاصرة للإسلام وهي قراءة عقلانية علمانية¹.

وهذا السعي يقودنا إلى تصور عام لمشروع حداثة إسلامية يحوي مشروع أسلمة الجندرة ولكن قد وقع العكس وانقلبت المفاهيم فأصبح الإسلام الحدائي يحوي جندرة الإسلام، ونستغرب منهم من يقول: "عندما هزم الغرب البلدان الإسلامية واحتلها استخدم كافة الوسائل المتاحة لإقناع المسلمين والمهزومين بدونيتهم ساعيا إلى إيجاد مبرر لاحتلال أجنبي لقد نبذ المسلمين باعتبارهم خلائع وسفحت دموع التماسيح على قدر النساء المسلمات المرعب"².

فأمثال فاطمة المرنيسي يعلمون أنها محاولات مغرضة ضد الإسلام وضد أنوثتهن وبالرغم من ذلك يسيرون في سياقها، ولم يقتصر هذا على مصر أو المغرب بل حتى في تونس إذ يقول الاستاذ راشد الغنوشي " جاءت مجلة الاحوال الشخصية لا باعتبارها مجموعة من القوانين لتصحيح وضعية المرأة بل ثورة عاصفة على المجتمع القديم، وأطلقت معها موجة من التهجم على الدين ورجاله، ودعوة إلى الانطلاق المحموم المدمر الذي أوشك أن يطيح بكل خلق ودين وأصاب علاقات الجنسين بتوتر شديد، وهز الكيان الاسري هزا عنيفا...³.

ولكن هذا التصعيد الخطير في حق الدين الإسلامي لا يجعله ضعيفا أمام حجج النسوية الفارغة من كل محتوى ايجابي انساني فقد سبق وأن عرفنا أن الإسلام كان الاقرب إلى حد الآن انصافا للأنتى مقارنة بسابقه ولا يمكننا أيضا أن نعيب عليه بعض الأمور التي يساء فهمها وتأويلها فننصرف عنه لجملة الأفكار المعاصرة وكيف يتم ذلك؟ كيف يتم تهميشه أو تغييبه وهو الصالح لكل زمان ومكان؟ وهو الذي حقق المعادلة الصعبة من قبل التي أنصفت المرأة ونقول من قبل لأنه ظهر كسابق لكل هذه الأفكار المميعة ولعل كلامنا هذا غير نابع من ذاتية تفتقر إلى الدلائل والبراهين التي سنسردها فيما تبقى من بحثنا، كما أنه لا ينطلق من مقدمات ظنية شككية بل من دراسة مقارنة أسلفنا فيها الحديث عن كل الأديان والحضارات حتى نستشف الأصح أو الأقرب للصحة.

¹ - المرجع السابق، ص222.

² - فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب(الجنس كهندسة إجتماعية)، تر، فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط4، 2005، ص ص 58-59.

³ - مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندرة، ص 407.

2- نقد ومعالجة إسلامية

إن الإسلام يعد من أبرز النماذج التي أنصفت المرأة ومنحتها كرامتها سواء كانت بنتا أو أختا أو أما أو زوجة ويأتي هذا الانصاف في هذا المجال كغيره من المجالات الأخرى التي كان فيها الإسلام سباقا لا بل سابقا في تقديم الحلول لكل المعادلات الصعبة مثل الأنظمة السياسية (النظام الشوري) والأنظمة الاقتصادية (الخاضع للقيم) وغيرها تقول " فايان " عارضة الأزياء الفرنسية المشهورة بعد توبتها: " لولا فضل الله عليّ ورحمته بي لضاعت حياتي في عالم ينحدر فيه الانسان ليصبح مجرد حيوان كل هم اشباع رغباته وغرائزه بلا قيم ولا مبادئ"¹. ولعل هذا لقول الصريح لم يكن لأي أنثى غربية بل لأنثى بلغت أرقى صفات الأنوثة بالمفهوم الذي حدده الغرب والذي سلف وأن تحدثنا عنه أي أنه قيل في موقع قوة وليس في موطن ضعف حتى لا نلزم الحجة .

إن الإسلام قرر مجموعة من المقاصد الضرورية كمعيار للأحكام لا بد من أن يراعي تحقيقها وهي (حفظ الدين، حفظ العقل، حفظ النسل، حفظ المال، حفظ العرض) فأبي حق للمرأة أو الرجل كان متعارضا مع هذه الضروريات فهو ساقط وباطل².

فمثلا الإجهاض لما كان في بعض الحالات يعارض مقصد حفظ النسل قد قام الأمر بإسقاطه كما أسقط قبله وأد البنات تماما، وليس في حالات معلومة فقط كذلك تبرج الجاهلية الأولى الذي يؤدي إلى الزنا وبالتالي يعارض مقصد حفظ العرض بالنسبة للمرأة وأسرتها كذلك يعارض مقصد حفظ العقل بالنسبة للرجل الذي قد يصبح سلوكه غريزيا، وكما أسلفنا الذكر في قولنا (المقاصد الضرورية كمعيار) ... معيارية بمعنى أنها معيار لضبط جودة أي فكر وصلاحيته والحكم له أو عليه وثابتة بمعنى أنها لا تتغير بتغير الأزمان والأذواق والأمكنة فالكذب يبقى رذيلة مهما تغير الزمن والزنا فاحشة وكل هذه رذائل وعكسها فضائل مثل الصدق والعفاف ... وكذلك فالعدل والحرية والنظام والأسرة والأمومة والأبوة والحق قيم ثابتة لا يطلها التغير والتبديل³ .

والدين الإسلامي يكفل هذا ويقر به وبشهادة المفكرين الغربيين أمثال جورج بيرنارد شو الذي يقول: " لقد وضعت دائما دين محمد موضع الاعتبار السامي بسبب حيويته العظيمة فهو الدين الوحيد الذي يلوح لي أنه حائز على اهلية العيش لأطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل زمان ومكان"، ويضيف قائلا: " لقد درسة محمدا باعتباره رجلا عظيما فرأيته بعيدا عن مخاصمة المسيح بل يجب أن يدعى منقذ البشرية"⁴.

1 - محمد بن ناصر العريني، المرأة بين تكريم الإسلام ودعاوى التحرير، فهرسة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 1999، ص 28.

2 - مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندرة، ص 337.

3 - المرجع نفسه، ص 336.

4 - محمد بن ناصر العريني، المرأة بين تكريم الإسلام ودعاوى التحرير، ص 47.

وهذا الكلام كان يشرح له الصدر سابقا أما اليوم فقد أصبح يندى له الجبين لأن الغرب ذوي العقول أدركوا لما فيه من صحة أما نحن أصبحنا نحمله سوى على صفة الانتماء ونأخذ به بالاشتفاء، ولا فصل في ديننا بين العقيدة والعبادة والشريعة وإنما حلقات متصلة متداخلة، ولا نزاع عندنا بين العقل والنص لأن النص الصريح يستحيل أن يتناقض مع العقل الصحيح... وهكذا تبين الخلاف الجوهرى للحركة الأنتوية ومرجعيتها والتي هي العقل والهوى البشرى¹.

وفي خضم هذا يقول جل وعلا في سورة النور التي تناولت أحكام العلاقة الجنسية والزواج والأسرة والمرأة

كذلك: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾².

أي الأحكام الواردة فيها سماوية وربانية وليست مستوحاة من تجربة أرضية ولا تقليد الأمة من الأمم وهي سورة ربانية مفروضة أي واجبة الأتباع ولا مجال للتلاعب بأحكامها ولا تحايل على نصوصها لأنها واردة بنصوص فعلية الثبوت والدلالة وكلمة "مفروضة" وهنا للتأكيد على أن أحكام الزواج و... الخ هي أحكام ثابتة والحد أو العقوبة المحددة لأهل الفاحشة والواردة فيها حق لله لا يلغيه اجتهاد حاكم أو رأيه³. إذ يقول تعالى ﴿... تِلْكَ

حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾⁴.

ويقول أيضا ﴿... وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁵، وفي موضع آخر من

الذكر الحكيم ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁶، وفي موضع آخر يقول الله

تعالى ﴿... وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁷.

¹ - مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندر، ص 335.

² - سورة النور، الآية 1.

³ - مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندر، ص 333.

⁴ - سورة البقرة، الآية 187.

⁵ - سورة المجادلة، الآية 4

⁶ - سورة النساء، الآية 13

⁷ - سورة التوبة، الآية 112.

فحدود الله فوق كل اعتبار نسوي أو ذكوري وانتهاكها يؤدي إلى سخط المولى وعقابه ولذا حمل الخطاب صفة الزجر، واحترامها كذلك يؤدي إلى رضا المولى وجزائه وهذا التقابل في التهيب والترغيب حكمة ربانية في الخطاب والإقناع والمزاوجة بالجمع بينهما وحل لمعادلة صعبة يقول الله سبحانه وتعالى في سورة غافر ﴿ غَافِرٍ

الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣٤﴾¹.

والمسافة هنا بين الثواب والعقاب معدومة إذ ورد كلاهما في آية واحدة دون أداة تفصل بينهما وهذه حكمة ربانية ولعدله جل وعلا، هذا العدل الذي تجلّى في تحديد حقوق الرجل والمرأة كذلك. فصل القرآن الكريم أحكام المرأة وحقوقها، وبين حدود الرجل وحقوقه وفي هذا ضمان أيما ضمان لحقوق المرأة، وتقييد أيما تقييد لسلطة الرجل وحد من تغوله على المرأة، وأكد هذا الضمان بتكليف هذه الأحكام بأنها (حدود الله) وفي هذا تخويف شديد وزجر لمن تسول له نفسه أن يتحايل عليها².

ولعل التصور الفاسد للمساواة بين الجنسين هو الذي جعل من النموذج الإسلامي غير مأخوذ به وذلك راجع لتخفيضه عند الأغلبية من ضعيفي الفهم، وتعلو في الإسلام قيمة العدل على قيمة المساواة كلما حصل تعارض بينهما أما عند عدم التعارض فالمساواة جزء أساسي من العدل³.

يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا

زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿٤﴾⁴، لقد بين القرآن أن الجنين خلق من مادة واحدة ونفس واحدة وأن حواء على أصح التفسيرات - خلقت من نفس المادة التي خلق منها آدم ولم تخلق من ضلع آدم أو أي جزء منه⁵.

يقول الدكتور وهبة الزحيلي في تفسيره: أصل الخلق من نفس واحدة وذهب الجمهور إلى أنه آدم وقد خلقت حواء من ضلع آدم الأيسر وهو نائم فاستيقظ فراها فأعجبته بدليل حديث الشيخين: (استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع) وذهب أبو مسلم الأصفهاني وبعض العلماء إلى أن المراد خلقت من جنس

1 - سورة غافر، الآية 3

2 - مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندر، ص 344.

3 - المرجع نفسه، ص 374.

4 - سورة النساء، الآية 1.

5 - مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندر، ص 377.

زوجها فهمها من جنس واحد، وأي فائدة من خلقها من ضلع لأنه سبحانه قادر على خلقها كآدم¹. كما أن الإسلام لم يساوي بين المرأة والرجل في الخلق فقط بل أمور كثيرة، نفى القرآن أن تكون المرأة (حواء) هي التي أغوت آدم لارتكاب الخطيئة ناقض بذلك ما ورد في كتب اليهود والنصارى المحرفة وبهذا سوى بينهما في الضيرة الأهلية وعدم كون أحدهما مصدر للشر والرذيلة².

بل أن الآيات تشير إلى مسؤولية أعظم لآدم ﴿... وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٦﴾﴾³، وقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴿١٧﴾ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾...﴾⁴، كما سوى القرآن بين الجنسين في مقدار الأجر والثواب الذي يحصل عليه المؤمن عند امتثاله لأحكام الدين وتطبيقه لها⁵. يقول تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّيْمِينَ وَالصَّيِمَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٧﴾﴾⁶، وكذلك يقول سبحانه وتعالى ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾⁷. حتى فيما يخص الكتب والتملك

¹ - المرجع السابق، ص ص 376-377.

² - مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندر، ص 378.

³ - سورة طه، الآية 121.

⁴ - سورة البقرة، الآية 37.

⁵ - مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندر، ص 379.

⁶ - سورة الأحزاب، الآية 35.

⁷ - سورة النحل، الآية 97.

فالإسلام أقر بحق المرأة في الملكية أي أنه كان سباقا من الغرب الذين يدعون ذلك، وعندهم حتى عام 1942 . كان الزوج هو المتصرف في أموال زوجته ثم أقر لها بأن تتصرف الزوجة في أموالها، بعد أن تثبت أنها ليست أموالا مشتركة بينها وبين زوجها¹.

يقول تعالى ﴿... لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا^ص وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ^ع

وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ^ط إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾^٢، وهذا هو الدليل من القرآن الكريم لأسبقية الإسلام في تحصيل حقوق المرأة ومساواتها مع الرجل في الملكية كما أكد القرآن الكريم على التساوي في الأهلية الجنسية وكمال الحياة الزوجية السعيدة³.

قوله تعالى ﴿... حِلٌّ هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ^ط...﴾^٤، وقوله تعالى

﴿... وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ^ع...﴾⁵

وحتى فيما يخص المساواة في حمل الأمانة الدعوة الاصلاح والمشاركة في الحياة العامة وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاصلاح السياسي والاجتماعي⁶. وفي ذات السياق يقول الله عز وجل: ﴿

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^ع أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ^ط

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَعَدَ ﴿٦٦﴾ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ^ع وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ^ع ذَلِكَ

¹ - محمد متولي الشعراوي، المرأة في القرآن، ص 14.

² - سورة النساء، الآية 32.

³ - مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندر، ص 380.

⁴ - سورة البقرة، الآية 187

⁵ - سورة النور، الآية 26.

⁶ - مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندر، ص 380

هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٦﴾¹، وهكذا لا نجد مقاما تكون فيه المساواة عدلا وخيرا إلا أقرها الإسلام بين المرأة والرجل هذه الأحكام التي يتساوى فيها الجنسان هي الأصل، لكن هنالك مساحة أخرى للعدل حين يفترق مفهوم العدل عن مفهوم المساواة... هنالك حالات عديدة ليست المساواة عدلا وبالتالي لا بد من وجود نوع من الفرق في الأحكام ذلك الفرق لا يستهدف الانتقاص من قدرة أحد الجنسين.... ولكن يستهدف تحقيق العدل من خلال التفاوت المبني على اعتبارات خفيفة أو مصالح عليا معتبرة².

فالمساواة ليست بعدل إذا قضت بمساواة الناس في الحقوق على تفاوت في واجباتهم وكفايتهم وأعمالهم وإنما هي ظلم كل الظلم للراجح والمرجوح.... والمتحدثون يصلحون عيب المساواة المطلقة بما يدعونه مساواة في الفرص... ولكن الاحتياط بمساواة الفرص عبث عند اختلاف الجنسين واختلاف وظيفة كل منهما بحكم الفطرة... فلا محل هنا لتعليق المساواة بالفرصة السانحة إذا كانت الفرصة هنا مقرونة بأوضاع الطبيعة التي لا تبديل فيها...³.

المساواة المطلقة نتيجة تبنى على فرصة المماثلة التامة بين الجنسين وهي فرضية واضحة البطلان لأن هنالك فروقات واختلافات بين الجنسين سواء في البنية أو الوظيفة ولو كان الجنسان متشابهان ومتماثلان تماما لإنعدمت الحياة مثل أصابع اليدين ولو كانت متماثلة ومتساوية لما قدمت الوظيفة المرجوة منها⁴.

ففي التكليف مثلا ولما كانت المرأة عرضة لوهن جسدي ملازم لفترة حيضها اسقط الله عنها ضمن هذه الفترة فريضة الصلاة والصوم دون أن يلزمها بقضاء الصلوات التي تركها أما الصيام فتقضيه⁵.

وهذا دليل على التفاوت الطبيعي في الواجبات والبنية ولو كان هنا مساواة قد تكون تعسفا في حق المرأة وغير مراعاة لها.

المساواة مفهوم رياضي حسابي وهندسي أكثر منه مفهوم اجتماعي وبشري لأن المساواة في تلك الأشياء ممكنة وبالقياس الدقيق، وأما في العالم البشري حيث التنوع والتداخل والتفاوت في القدرات والوظائف فإن المفهوم اللائق هو العدل، وإذا لم تتحقق السعادة والنماء والتوازن بالعدل أيضا فإن مفهوم الاحسان يكمل المشوار⁶.

¹ - التوبة، الآية 71-72

² - مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندر، ص 181.

³ - عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، ص 63.

⁴ - مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندر، ص 383.

⁵ - فاطمة هدى نجا، المستشرقون والمرأة المسلمة، ص 18.

⁶ - مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندر، ص 383.

فالعبارة ليست بالمساواة ولا بالعدل ولا بالاحسان بل هم يشكلون حلقات تصل الأولى الثانية إلى أعلاها الإحسان. في الإسلام مبادئ ومراتب ثلاث هي : المساواة - العدل - الاحسان، وفي هذه المراتب يتوقف العمل بالسابق بعد مجيء الاحق وتوفر دواعيه¹ ...

فمثلا لو فرض أن شخصا متوسطا السن وشخص كبير السن قد يتساوى كلاهما في الجهد المبذول وكذلك قد يتساوى كلاهما في الأجر وفي الحق هذه هي المساواة لكنها هنا قد تحمل طابع التعسف ما دام كلاهما لا يتساوى في القدرة والطاقة وكذلك في المقصد من العمل إذ قد يكون طاعن في السن له أولاد وأحفاد يعمل من أجلهم والآخر عكسه، ويتدخل العدل هنا فينقص من عمل الشيخ أو ينقص من أجر الفتى ويضيفه للشيخ وهذا التفاوت هادف إلى عدل قد يكون تعسفا في حق الفتى من جهة أخرى، ليدخل الاحسان هنا ويحل المعادلة الصعبة إذ يجمع بين المساواة والتفاوت، بين حقوق الشيخ وحقوق الفتى، فإذا كان الفتى يعمل ويحسن للشيخ بمساعدته في عمله أصبحت الحالة هنا سوية ولا حرج أو إشكال.

ويقول الراغب الأصفهاني : فإن العدل هو المساواة في المكافأة إن خير فخير، وإن شر فشره، والإحسان هو أن يقابل الخير بأكثر منه، والشر بأقل منه، ولا شك أن الإحسان مرتبة تفوق العدل². يقول تعالى ﴿لَيْسَ

عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَّءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَّءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٨﴾³، أي

الإحسان هو أرقى درجة يمكن أن يبلغها المؤمن الحقيقي وذلك لما فيها من حلم وإيثار.

إن الله سبحانه خلق الاختلاف والتباين في الوجود حتى يكون سببا في تكامل الأشياء والموجودات بعضها مع بعض، وجعل من سنته في الكون والحياة أنه لم يخلق موجودا كاملا مستغنيا عن الموجودات الأخرى بل جعل الزوجية نظاما شاملا⁴.

ويقول في كتابه الحكيم ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁵،

¹ - المرجع نفسه، ص 382.

² - نقلا المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - سورة المائدة، الآية 93

⁴ - مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندر، ص 350.

⁵ - سورة القيامة، الآية 38-39

وقوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾¹، وقوله تعالى سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنَ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ وَآيَةٌ ﴿٦٦﴾ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٦٧﴾²، وفي نفس الموضوع قوله تعالى ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾³، وقوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾⁴، فالهدف من خلق كل هذه الثنائيات والأزواج هو خلق التكامل لا ما ذهب إليه دعاة الجندرة والحركة النسوية المتطرفة أي (التضاد والتصرع). لا صراع بين الجنسين في الإسلام لأنهما لا يحددان حقوقهما وواجباتهما، بل الخالق هو الذي يبين ذلك⁵. الخالق القائل ﴿ .. وَهُنَّ مِثْلُ مَثَلُ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾⁶.

ولأنهما ليسا متماثلين تماما، ومن قال بالتماثل قال بالمساواة المطلقة والصراع وعدم وجود أدورا محددة للجنسين، لكن الإسلام عندما قرر تباين الجنسين وبين أن النساء مفضلات على الرجال في أشياء، وأن الرجال مفضلون في أمور معينة على النساء⁷.

وينهى الله تعالى عن تمني خصال ومظاهر الرجل والمرأة أو العكس حيث قال تعالى ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۗ ﴾⁸، وهذا يعد كدليل على اختلاف الجنسين الذي لا يفرضي إلى المساواة ولا الصراع بل التكامل والإحسان والعدل، ولعل الذي أدى إلى الصراعية هو الأناية الفردية كعامل أساسي المرأة الأنتوية تجري وراء تحقيق ذاتها ولو على حساب مصلحة الزوج والأولاد والرجل في النموذج الغربي

¹ - سورة النجم، الآية 43

² - سورة يس، الآية 36-37

³ - سورة الليل، الآية 1-3

⁴ - سورة النجم، الآية 45

⁵ - مثنى أمين الكردستاني، ص 351.

⁶ - سورة البقرة، الآية 228.

⁷ - مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندر، ص 351-352،

⁸ - سورة النساء، الآية 32

يلهث وراء لذاته ولهوه والأولاد يتفرجون على هذا السعي المحموم الأناني، ويدفعون الضريبة من نفسياتهم وسلوكاتهم ونظرتهم إلى الحياة والوالدين شعوريا يتحينون فرصة الانتقام منها، وهكذا تصبح الحياة دوامة الصراع والموت وقتل الحب والمودة والاستقرار¹.

بالإضافة الى تضافر كل من الانانية والفردية وكذلك الرأسمالية التي مبدأها أناني في الأصل، الشريعة الرأسمالية تعطي الفرد المستثمر الجشع الحق في أن يبني مملكته وامبراطوريته على أشلاء الفقراء وتجويعهم، الرجل يريد أن يستمتع بالأنانية ويسيطر على كل مداخل المجتمع ويحرم المرأة من حق المشاركة ويرمي لها بالفتات ثم يراد أن يكون هنالك تمرد ورفض للزوجية والرجل؟! طبعاً لا². أما في الإسلام فيكون العكس من ذلك تماماً فالإسلام يهتم بالفرد والجماعة معا ولا يعطي فرصاً للفرد لكي يكون جشعاً، وأنانياً أو شيئاً من هذا القبيل، فتعطي أولوية للجماعة ووصحبتها بما أن الفرد عضو فيها وعنصر منها لقول الفيلسوف رينان "إن الإسلام يجعل من الأسرة اللبنة الأساسية للمجتمع وينظر في الفرد من خلال موقعه في الجماعة، ومدى قدرته على التفاعل مع المجتمع والتضحية في سبيل الناس وانكاره لمصالحه الشخصية وغرائزه ونزواته إذا كانت متعارضة مع مصلحة المجتمع"³. ولعل هذه الشهادة من فيلسوف غريب تكفي للرد بأن الإسلام يدعو الى الجماعة لا الفردية الأنانية ودون ان يهمل مصلحة الفرد فالمسلمون كالبنين المرصوص. أو كالجسد الواحد⁴.

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّامِرَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۗ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁵.

وكل ما حدث بين المهاجرين والأنصار يعبر عن تماسك الجماعة واستبدال الفردية والأنانية بالحلم والايثار، وهنا تكون الحريات نسبة غير مطلقة فالحرية أصلاً نسبية والفرد مقيد بالجماعة والإسلام يقول إن حريات وحقوق المجتمع قبل الفرد ورغباته وهذا ليس خاصاً بالإسلام فكل الأديان والشرائع والحضارات مبنية على هذا الأساس (باختلاف في الجزئيات والأحكام)، إن الحرية في الإسلام واسعة جداً ولا يحدها شيء سوى حقوق

1 - مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندر، ص 355.

2 - المرجع نفسه، ص 356.

3 - المرجع نفسه، ص 353.

4 - نقلاً عن، محمد بن ناصر العريبي، المرأة بين تكريم الإسلام ودعاوى التحرير، ص 47.

5 - سورة الحشر، الآية 09.

الآخرين وأن تتحول الى حرية ممارسة المنكرات والفواحش عندها تتوقف الحريات لتبدأ الواجبات¹. وحتى فيما يخص الدين فإن الإسلام لم ينتشر بحد السيف كما يزعم البعض لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾². ويقول في موضع آخر: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾³. فالإسلام لم يكفل حقوق الفرد وحسب والجماعة كذلك بل حتى الحق في التدين إذا كان هنالك يهود ونصارى يعيشون داخل الدولة الإسلامية انذاك.

وفي مثل هذا المجتمع تجري العلاقة بين الجنسين على سنة توزيع العمل وتقاسم الحقوق بالقسطاس كل حسنة يتكفل بما هو وفق له وأقدر عليه ويملك من الحقوق ما يحتاج اليه، ويتخلى عن العمل الذي لا يناسبه ولا يلجئ اليه على اضطرار ومركز المرأة حيث اقامها القرآن الكريم كفيل لها بكل ما يعوزها لتحقيق رسالتها الفطرية في هذا المجتمع المثالي على الوجه الأمثل⁴.

إن الرجل والمرأة لا يملكان جسدها لأنه هبة الله وامانته عندهما ولا بد من لقاء حق الله فيه، وكل عضو في الانسان له حقوق وعليه واجبات فمثلا صحيح أن عيني ملكي باعتبار أنني استفيد منهما ولكنهما ليست ملكي بحيث يحق لي أن أفقأها لأن هذا عمل محرم وضرر وسفه... إن المرأة تملك أن تعرض نفسها كما تشاء... طالما أن تلك الأمور لا تحدث ضررا بالآخرين... لأن الرجال بطبعهم ضعاف في السيطرة على شهواتهم⁵.

فالحجاب ليس قيذا للحرية أو تعسفا يمارس ضد المرأة بل هو بديل لما ينتهي له التبرج والسفور من زنى وفاحشة فمن يقرأ هذه الكتب يعلم بغير عناء كبير في البحث، أن حجاب المرأة كان معروفا بين العبرانيين من عهد ابراهيم عليه السلام وظل معروفا بين العبرانيين من عهد ابراهيم عليه السلام وظل معروفا بينهم في ايام انبيائهم جميعا الى ما بعد ظهور المسيحية وتكررت الاشارة الى البرقع في غير كتاب من كتب العهد القديم وكتب العهد الجديد⁶.

¹ - مثنى أمين الكردستاني، حركة التحرير من المساواة إلى الجندر، ص 357.

² - سورة البقرة، الآية 256.

³ - سورة الكهف، الآية 26.

⁴ - عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، ص 68.

⁵ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص 358.

⁶ - عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، ص 57.

وجاء الحجاب بمعنى الستر وليس الحجب أي ستر المفاتن وليس حجبا يلغي الهوية أو تقييدا للحرية، ولتقييد الحرية امثلة كثيرة في المجتمعات الغربية نفسها. فمثلا لا يمكن للإنسان ان يدخن في المركبات... ولا يمكن للسكان في شقة سكنية وتحت شقة سكنية وبيوت أن يأتي بأعمال الحدادة والنجارة والبناء.

و هناك اتجاه انثوي قوي الآن في الغرب يسعى لمنع ما يعرف بـ (pornography) وهي استخدام الصور النسائية والجنسية في الدعاية التجارية والاعلانات باعتبار أن ذلك يكرس فكرة ان المرأة جسد ومتاع جنسي وفيها اساءة للمرأة¹، والحق هنا أن الإسلام قد اختصر الطريق بفرضه الحجاب كي لا يقع في كل هذه الأزمات والاختلافات والتناقض الواضح، فكيف تشرع حرية مطلقة ثم تعود علينا بالضرر لنلغيها أو ندعوا لذلك فيما بعد وبالتالي فإن الحق هنا من غض البصر المرافق لفرض الحجاب أو الخمار أو ستر المفاتن هو ضبط الغرائز دون كبتها.

على خلاف نظرة الكثير من الاديان والفلسفات الأخرى التي ما اتجهت نحو الكتب وقهر الغريزة والأفضل عدم الزواج والرهينة... وعلى العكس هذه النظرة ذهبت الانثوية الى ما يشبه تأليه الجنس والغرائز وعبادتها... أما الإسلام فإنه يعتبر العمل الجنسي الشرعي الذي يتغي الاحصان والمتعة الحلال وانجاب النسل عبادة وعمل صالحا². إذ يقول تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا أَنْكَرَ اللَّهُ الدَّامِرَ الْآخِرَةَ وَكَأَنْتُمْ نَصِيبِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَكَأَنْتُمْ بَعْضُ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾³، فالله هنا يجعله الزواج الحلال بغية الاحصان عبادة يجزي صاحبها كبديل للزنا والفاحشة التي يؤثم فاعلها يغنيها بحلاله عن حرامه ويفضله عن سواه.

ولعل الزواج قد كان يهدف إلى تكوين أسرة وإلى انجاب الأولاد وتربيتهم باعتبارهم زينة الحياة الدنيا إذ يقول العلي القدير: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ تَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا﴾⁴، والإنجاب قيمة مقدسة وهو مصدر سعادة المرأة قبل الرجل وأكثر منه ولا يمكن أن يأتي يوم تخصص فيه مجموعة

¹ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص 360.

² - المرجع نفسه، ص 368.

³ - سورة القصص، الآية 77.

⁴ - سورة الكهف، الآية 46.

من النساء لهذه الوضيفة والقرآن سمي الانجاب بشرى ﴿فَبَشِّرْهُ بِبُحْبُوحٍ﴾¹، ويقول تعالى: ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ﴾².

ولعل الانجاب يجعل المرأة أما لتصبح الجنة تحت قدميها أو ليوصي الرسول الفتى بها ثلاث مرات قبل الأب لم يكن ليرفض لو أحسن فهمه ولو لم يكن مخطط له من قبل ذكر فاسد من دعاة العولمة والحدائثة، الأمومة والأبوة ضروريتان لتنشئة الأطفال بشكل سليم ومعافى ولا بد من تكامل أدوارهما داخل الأسرة، والأسرة الإسلامية على خلاف الأنثوية لا يمكن تصورها بدون وجود أحد الركنتين إلا إذا كان غيابه للضرورة كوفاة أو أسر أو غير ذلك³. فبشن الحرب على الذكورة شنت الحرب على الأسرة، إذا جاء خلل من هذا الرئيس فنتيجة هذا الخلل كنتيجة كل خلل يصيب الوحدة من رئيسها يزول الرئيس وتزول الوحدة، ولكن لا يزول النظام ولا تزول الحاجة إليه، فإن نظام الدولة لا يزول بخلل رؤسائها ونظام المحاكم لا يزول لخلل قضاةها ونظام الشركات لا يزول لعجز مديريها أو لخيانته واختلاسه⁴.

فقد يحدث الطلاق بالرغم من أنه أبغض سلوك إلا أنه بقي كحل آخر وأخير وبالتالي يزول الزوج ويحدث تفكك أسري قابل للبناء مرة أخرى مادام يسمح لكلا طرفيه بالزواج ثانية ولكن لا يلغي نظام الأسرة نهائياً والأبوة في الإسلام ليست الأبوة الغربية لأن صلاحياتها ليست مطلقة وسلطتها لا بد أن تكون بعيدا عن الاستبداد بالرأي وتكون ادارة الأسرة شورية حتى في ابسط الأمور مثل فطام الولد قبل بلوغه عامين ولا يملك الأب أن يقرر مستقبل أولاده على حساب هواه فإنه لا يملك مثلاً تزويج البنات ولا الأولاد بالإكراه⁵، ويقول تعالى: ﴿فَإِنْ

أَمْرًا ذَا فَصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾⁶. فقد خص الإسلام المرأة بالشورى في اتفه الأمور لقوله

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾⁷، أليست المرأة ممن استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة؟ فمادامت كذلك فإن الآية جعلت صيغة الجماعة والمرأة كفرد من هذه

¹ - سورة الصافات، الآية 101.

² - سورة هود، الآية 47.

³ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص 339.

⁴ - عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، ص 118.

⁵ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص 339.

⁶ - عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، ص 118.

⁷ - السورة الشورى، الآية 83.

الجماعة المعينة، ولعل أكبر مثال عن ذلك هو حقها في الانتخاب والتصويت أو المعروف بالمبايعة إذ يقول تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِفْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يُأْتِينَ بِمُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَمْرُجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾¹.

وهذا الانتخاب والاشترك في التصويت واتخاذ القرار الذي جعل صفة الشورى... لم تعرفه المرأة الأجنبية إلا مؤخرا في هذا القرن وحتى بداية القرن الخامس والعشرون بداية القرن العشرين². ولعظم دور الأسرة فإن أحب الأعمال التي ترضي ابليس هي الوقيعة بين الزوجين روى الامام مسلم عن جابر بن عبد الله عن النبي ص أنه قال " إن الشيطان ليضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه في الناس، فأقربهم عنده منزلة اعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول: ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا فيقول ابليس لا والله ما صنعت شيء ويجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله قال: فيقربه ويدنيه ويلتزمه ويقول نعم أنت"³.

فإن هدم الأسرة عمل شيطاني بالفعل قد تبناه شياطين الأئس من دعاة الجندرة وحرية المرأة المتطرفة.

الأسرة هي الوحدة الحضارية الاجتماعية الأولى في تاريخ البشرية ونواة تكوينها ويوم تنتهي الأسرة تكون الحضارة والبشرية نفسها قد سقطت وانتهت، وتفككها أكبر مؤشر لنهاية تاريخ حضارة عبدة المال والجنس والغرائز⁴.

المبحث الثاني: معالجة النموذج الإسلامي لتحرير المرأة

لعل المعالجة الإسلامية هي ذاتها تحتاج الى معالجة ذلك لما يشوبها من سوء فهم سواء لنصوص القرآن أو ما ورد في السنة، وفيما يلي سنعالج معظم النقاط الغير واضحة والشبهات التي من شأنها تهديد النموذج الإسلامي وتخفيفه.

إن معظم الفلسفات والأفكار منها ما هو سوي ومنها ما هو متطرف فمنها ما هو متطرف فمنها التشاؤم لشوبنهاور ومنها القوة لنيتشة ومنها الاخلاق لكانط ومنها المنفعة لديوي وبيرس وبين هذا وذاك إلا ونجد فلسفة معتدلة فمثلا وعلى سبيل الذكر فأرسطو يرى أن سبب السعادة هو الفضيلة وهذه الأخيرة هي وسط بين رذيلتين

¹ - السورة الممتحنة، الآية 12.

² - فاطمة هدى نجا، المستشرقون والمرأة المسلمة، ص26.

³ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص343.

⁴ - المرجع نفسه، ص341.

أي ما يسمى نظرية الوسط الذهبي فالشجاعة هي فضيلة وسط بين رذيلتين الجبن والتهور ولعل الامر نفسه بالنسبة للنموذج الإسلامي ولكن لكي نكون واضحين فالأمر عندما يتعلق بالنموذج الإسلامي الخاص بالمرأة ليس فيما يخص القرآن والسنة بصفتها وحيا منزلا مطلقا منها وانما بخصوص التأويل والتغيير الانساني الذي يختلف حسب الزمان والمكان والأشخاص فنفس الأمر هنا فمعظم التفاسير والشروحات جاءت بين تفریط أو إفراط أو اعتدال ووسطية، فالإفراط بدوره أدى الى نفور كبير من الدين الإسلامي وأدى الى تفریط أيضا وتساهل مع النصوص أما الاعتدال والوسطية فقد كان ذلك الوسط الذهبي.

1-الوسطية وقضايا المرأة:

1-أ- مدرسة التفریط: وأول من دعى اليه (قاسم أمين) في كتابه (المرأة الجديدة) حيث برزت فيه دعوة لتقليد المرأة الغربية الاروية تقليدا أعمى عن الإسلام ما يجعل التساهل سمة واضحة في التعامل مع الدين ومع نصوص القرآن وأوامره ونواهيه¹. ليسير نحو إسلام حدائي وجندرة الإسلام في عملية عكسية بدل حداثة إسلامية واسلمة الحندر ولعل أبرز من وقع في هذا الشراك (أمانة ودود)، ولا شك أن هنالك الثابت والمتغير والمقصد والوسيلة في أحكام الدين ولكن هذه المدرسة تسعى دوما لتوسع دائرة المتغير على حساب الثابت². وينسون المقاصد من أجل تبرير الوسائل التي لا علاقة لها لا بالعقل ولا بالدين ولا بالنفوس ولا بالمال كمقاصد.

يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَسْنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾³.

ولربما كان المقصود من الآية مسيلمة الكذاب إلا أن الفرق بينه وبين هؤلاء في عصرنا ليس سوى في التاء المربوطة أو تاء التأنيث.

1-ب- مدرسة الإفراط: بعض الاجتهادات المتشددة والمفرطة التشدد التي من شأنها أن تغير النظرة الى

الدين من التسهيل والتسيير للناس الى التغيير ليتجلى النفور فيما بعد إذ يقول تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ

¹ - المرجع نفسه، ، ص 426.

² - المرجع نفسه، ص428.

³ - السورة آل عمران، الآية88.

وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾، ويقول أيضا: ﴿يُرِيدُ
اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾².

ولما كان لبعض هذه الاجتهادات المتشددة مبررات في زمنها وبيئتها ولكنها الآن مدخل للإعاقة والظلم والاجحاف في حق المرأة ومعيقة لنهضتها وقيامها³، فنحن الآن لانفهم أشياء كثيرة كقول العريبي: "إن الذي يعتقد أن تطور المجتمعات ورفيها يحصل سفور النساء واختلاطهن بالرجال في الاعمال وغيرها وقيادتهن للسيارة قد جانب الحق والصواب"⁴. فالسفور معلوم أما الاختلاط فكيف؟ إذا حضرت المرأة في مجالس العلم بأدب واحتشام من غير اختلاط الأنفاس مع الرجال ولا تبرج بزنة وقامت وسألت وتكلمت فإن شبابنا كلهم سوف يركبهم الشيطان و يتحولون إلى أتباع الهوى والغرام في نظر هؤلاء⁵. ويضيف العرين قائلا عن قيادة المرأة للسيارة " لاشك في أن ذلك لا يجوز لأن قيادتها للسيارة تؤدي إلى مفسدات كثيرة وعواقب وخيمة منها الخلوة المحرمة للمرأة ومنها الصفور ومنها الاختلاط بالرجال بدون حذر"⁶.

ونحن لا نفهم هنا هل لما كانت المرأة تجاهد جنبا إلى جنب مع الرجل لم تكن تتركب الحصان آنا ذاك أو أي نوع من الدواب؟ يقول تعالى ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۗ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁷. فالدواب شأنها شأن السيارة باعتبار أن الآية ختمت بقوله "ويخلق ما لا تعلمون" لأن الله

آنذاك خاطب الناس على قدر عقولهم وإذا اعتبرنا اليوم وخاصة في المدن الكبرى التي شوارعها تضج بالناس فليس ذلك اختلاط للأنفاس والأجساد ألن تكون هنا السيارة أرحم. أصحاب هذه النظرة عكس الرسول صلى الله عليه وسلم ما خيرو بين أمرين إلا واختاروا اعسرهما ولو لم يكن الأيسر والأوسع والأخف إنما وذنبا هم يختارون للمرأة هذا ثم يطالبوننا ويطالبون المجتمع بتبعيات اختياراتهم هم.

¹ - السورة التغابن، الآية 16.

² - السورة البقرة، الآية 185.

³ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص440.

⁴ - نقلا عن، محمد بن ناصر العريبي، المرأة بين تكريم الإسلام ودعاوى التحرير، ص32.

⁵ - المرجع نفسه، ص446.

⁶ - محمد بن ناصر العريبي، المرأة بين تكريم الإسلام ودعاوى التحرير، ص66.

⁷ - السورة النحل، الآية 8.

وقد حرموا أشياء كثيرة عن المرأة نذكر منها منع النساء من المساجد أو ارغامهن على عدم ارتيادها للصلوات.... وتحريم سلام الرجال على النساء (مجرد القاء التحية دون المصافحة)، تحريم قيادة النساء للسيارة مطلقا وتحريم علاج المرأة عند الطبيب الا عند عدم وجود طبيبة وفي الضرورة...¹، وهذا من التناقض الكبير فمنهم من يأبى أن تدرس ابنته الطب وزوجته العمل كطبيبة وفي حال مرض أمه يجب أن يأخذها لطبيبة فلو كلنا اتينا هذا الشيء فمن ستعمل طبيبة لتعالج أمهاتنا؟ أليس هذا من التناقض الفاضح؟.

1-ج- مدرسة الوسطية والاعتدال: موقف هذه المدرسة من العقل منهج وسط بين الغائه وتحكيمه في النصوص واعتباره السلطة العليا، وتقول بأنه لا يمكن أن نفهم الدين فهما صحيحا بدون تفعيل العقل السليم والاستفادة من تجارب البشر وأن العقل الصحيح لا يمكن أن يكون متناقضا مع نص صحيح وصریح²، يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...﴾³، وهذه الوسطية الموسومة بها الأمة يجب أن تتجلى أيضا في ممارسة الدين إن صح التعبير وفي التفاسير والتأويلات فلا إفراط ولا تفريط إذ يقول الإمام الغزالي " إن عقلية السجان لاتزال تسيطر على نفر غير قليل من المتحدثين في شؤون المرأة، إنهم يريدونها محبوسة في عقر الدار لا ترى أحدا ولا يراها أحد حتى تنتقل من ضيق البيت الى ضيق القبر⁴ ويقول أيضا " المرأة الروسية غزت الفضاء ويراد أن تعجز المسلمة عن معرفة الطريق الى المسجد، كل دين مهما بلغ بطلانه ربط النساء بمعبده ويراد من الإسلام أن ينفي النساء من بيوت الله"، إن قضايا النساء لا تعالج بعلم بقدر ما تعالج بعقد نفسية وأمزجة سوداوية⁵. ولعل هذا الكلام في الصميم ومن أنصار هذا الاتجاه نذكر الامام الغزالي وكذلك محمد عمارة. لتكون المدرستان السابقتان هما سبب إما في النفور من الدين أو تسذيجه ليحتقر كنموذج فعلي لتحرير المرأة.

2-الشبهات نقد النقد:

لقد تسبب الإفراط والتفريط في كثير من الشبهات التي جعلت من النموذج الإسلامي لتحرير المرأة نموذجا قابلا لنقد لاذع وقد خفضته وسدجته لذا وفيما يلي سنسوق جملة من هاته الشبهات ونحاول فهمها لكشف اللبس الذي يشوبها ولجعل النموذج الإسلامي لتحرير المرأة نموذجا مثاليا.

¹ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص441.

² - المرجع السابق، ص451.

³ - السورة البقرة، الآية 143

⁴ - نقلا عن، مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص 450.

⁵ - المرجع السابق، ص481

2-أ-الأكل من الشجرة: كثيرا ما نسمع أن المرأة إما كانت هي من وسوس لآدم للأكل من شجرة الخلد أو أنها أعانت ابليس على الأقل في ذلك وبالتالي وبين هذا وذاك كانت سببا في نزوله من الجنة. يقول تعالى في ذات السياق والصلة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا مَرَعَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَنْزَلْنَاهُمَا الشَّيْطَانَ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾¹، ويقول في موضع آخر: ﴿وَيَتَادَمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ فَوسوسِ الظَّالِمِينَ هُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ تَهُمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكِينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾، ويقول أيضا في موضع ثالث: ﴿فَوَسَّوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى فَاكُلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهُمَا سَوَاءٌ تَهُمَا وَطَفِقَا تَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾². وعلى العموم هذه ابرز الآيات التي تحدث فيها جل وعلا عن الأكل من الشجرة المنهي عنها وخروج آدم وحواء من الجنة... وليس في هذه الآيات من السور الثلاث اشارة الى ابتداء حواء بلاغراء أو الكيد على ما جاء في سور يوسف³، بل كان الخطاب الرباني موجها لكلاهما على حد سواء إذ أنه كان يحمل صيغة المثني وبالعكس من ذلك تماما لقد تحمل آدم الاثم ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ليتوب عليه فيما بعد ويخصه بالخطاب ﴿قَتَلْتَنِي آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾⁴، وبالتالي فإن الإسلام والقرآن قد كان منصفاً للمرأة ولم يحملها أي وزر في مسألة الخروج من الجنة على عكس ما ذهب له المسيحية واليهودية على حد سواء.

¹ - السورة البقرة، الآية 32_35 .

² - السورة طه، الآية 120_121.

³ - عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن الكريم، ص 17.

⁴ - السورة البقرة، الآية 37.

وهنا قد أشرنا الى الكيد الوارد في سورة يوسف هذا الكيد الذي فهمه الكثير بمعنى الإغراء والاعواء كتدبير سيئ إما في سورة إفراط ينفر من المرأة أو في سورة تفريط كانت تسند به المرأة ذاتها دائما وهذا ماهو متداول اليوم.

2-ب- الكيد: يقول تعالى في سورة يوسف في ستة مواضع مختلفة: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ

إِلَىٰ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾¹.

ثانيا: ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾²،

وهذه هي الآية كثيرة الاستدلال بالخطأ. ثالثا: ﴿ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي

بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾³. (50 يوسف). رابعا: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ

مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾⁴. (86 يوسف) خامسا: ﴿ قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ

عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۗ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾⁵. (5 يوسف)

سادسا: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾⁶. (241 يوسف)

وعلى العموم هذه هي الآيات التي جاء فيها ذكر الكيد في ذات السياق وجاء منسوب الى اللغة بمعنى التدبير⁷، وقد أسلفنا الذكر أن كلمة اقتصاد (Econome)، في الأصل تعود الى تدبير المنزل وأن المرأة هي المسؤولة عن هذا التدبير وبالتالي فإن الكيد لا يحمل فقط صفة السلب بل قد يكون ايجابيا فلما كانت تحسن التدبير والكيد عني لها بتدبير المنزل ويقول جون جاك روسو عن دهاء المرأة وكيدها "وليس هناك مدى لجدوى هذا الدهاء النسوي علينا فإن المرأة تضفي سحرا بهذا الدهاء اللطيف على حياتنا وصلتنا بها كما تستخدمه في

¹ - سورة يوسف، الآية 33.

² - سورة يوسف، الآية 28.

³ - سورة يوسف، الآية 50.

⁴ - سورة يوسف، الآية 86.

⁵ - سورة يوسف، الآية 05.

⁶ - سورة يوسف، الآية 241.

⁷ - عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، ص14.

روح نزع الأطفال وكبح جماح الأزواج ذوي الفضاضة ولولا حسن حيلتها وكياستها لتبدد شمل الأسرة¹، فإن الكيد والحيلة والكياسة النسوية والتدبير قد يكون ايجابيا في حياتنا وذلك يتوقف على حسن أو سوء استعماله وإلا لما يقول تعالى في الآية سالفة الذكر؟: ﴿وإن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ ذلك انه مهما كان هذا الكيد ومهما حمل من سوء فإنه لن يبلغ مبتغاه إلا إذا كان عن حسن نية.

وإذا كان هذا الكيد نقطة قوة بالنسبة للمرأة إلا أنه لا يعبر عن تلك القوة المراد بها ان تكون مساوية بقوة الرجل فتتحول القوامة لها إذ يقول الإمام الشعراوي رحمه الله: "ان الكيد تدبير بخفاء، والتدبير بخفاء لا يكون إلا من ضعيف"²، فلما كان الجيش أقل نفرا كان يلجئ الى المكائد والحيل وقد عرفنا ذلك على مر العصور كحصان طراودة وغزوة الخندق وأحد وغيرها.

2-ج- ناقصات عقل ودين: وفي مقابل الكيد نجد من يأخذ بحديث للرسول "ص" يصف النساء فيه بناقصات العقل والدين وكثيرا مايكون هذا كرد للأول أي الكيد او كجواب له في مختلف المجالات بين الذكور والإناث ويحدث ذلك في مجتمعنا اليوم.

المصدر الحقيقي لهذه الشبهة هو العادات والتقاليد الموروثة، والتي تنظر الى المرأة نظرة دونية... وهي عادات وتقاليد جاهلية، حرر الإسلام والمرأة منها... لكنها عادت الى الحياة الاجتماعية في عصور التراجع الحضاري...³.

وهناك تناقض كبير بين الفهم الانساني البشري لهذا الحديث ومقصده الحقيقي فهل يعقل عاقل وهل يجوز في أي منطوق، ان يعهد الإسلام وتعهدا الفطرة الإلهية بأهم الصناعات الإنسانية والاجتماعية _ صناعة الانسان ورعاية الأسرة وصياغة مستقبل الأمة إلى ناقصات العقل والدين؟⁴. ولنستعرض الحديث معا لنكشف القصد والمعنى الحقيقي له ونزيل اللبس الذي يشوبه.

حدثنا سعيد ابن أبي مريم قال: أخبرنا محمد بن جعفر قال أخبرني زيد هو ابن أسلم عن عياض بن عبد الله عن أبي سعد الخدري قال: " خرج رسول الله "ص" في أضحى _ أو فطر _ الى المصلى فمر على النساء فقال: يا معشر النساء تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقلن وبم يارسول الله؟ قال تكثرن اللعن، وتكفرن

¹ - جون جاك روسو، إميل تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ص254.

² - محمد متولي الشعراوي، المرأة في القرآن، ص94.

³ - محمد عمارة، التحرير الإسلامي للمرأة، الرد على شبهات الغلاة، دار الشروق للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص85.

⁴ - المرجع السابق، ص93.

العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداهن، قلن وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن بلى قال فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصلي ولم تصم؟ قلن بلى: قال فذلك من نقصان دينها.¹ إذا كانت المناسبة يوم العيد والزينة والفرح الا ترشح ان يكون الدم والغم والحزن هو المقصود... فإن ألفاظ الحديث تشهد على ان المقصود انما كان المديح، الذي يستخدم وصف الواقع الذي تشترك في التحلي بصفته غالبية النساء إن لم تكن كل النساء². فلا يعقل أن يكون الرسول قد تلفظ بكلام يهدف الى الذم في يوم فرح وذلك ليس من شيم الرسول أو من الأنبياء حتى كما أن في بعض الروايات هذا الحديث وخاصة رواية ابن عباس، رضي الله عنهما ما يقطع بأن المقصود به إنما هي حالات خاصة للنساء لهن صفات خاصة هي التي جعلت منهن أكثر أهل النار، لا لأنهن نساء، وإنما لأنهن كما تنص وتعلل هذه الرواية يكفرن العشير ولو أحسن هذا العشير الى احداهن الدهر كله، ثم رات منه هنة أو شيئاً لا يعجبها كفرت _ كفر نعمة _ بكل النعم التي أنعم عليها...³.

وبالتالي فإن الحكم هنا لا يحمل صفة التعميم بل يقتصر على بعض النساء فقط ومن اللاقي يحملن تلك الصفات التي جعلتهن أكثر نساء النار.

إن الذاكرة الضابطة لنص هذا الحديث اصابها ما يطرح بعض علامات الاستفهام... ففي رواية الحديث شك _ من الراوي _ حول مناسبة قوله... هل كان ذلك عيد الأضحى أو عيد الفطر؟ وهو شك لا يمكن اغفاله عند وزن المرويّات والمأثورات⁴. وهو متواتر بثلاث تواترات مختلفة قبل الوصول الى المنبع الأصلي للحديث وبالتالي فإن الحديث هذا ينطلق من مقدمات ضنية شكية غير قطعية.

كما ان قوله "ص" اما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احداهن... فهو مدح للعاطفة الرقيقة التي تذهب بحزم ذوي العقول والألباب... ويابؤس وشقاء المرأة التي حرمت من شرف امتلاك هذا السلاح الذي فطر الله النساء على تقلده والتزين به في هذه الحياة!.. بل وأيضا يابؤس حياة أهل الحزم والعقلانية من الرجال الذين حرموا في هذه الحياة من الهزيمة أمام هذا السلاح سلاح العاطفة والاستضعاف⁵. وبالتالي فإن هذا الحديث إما ان يكون ضعيفا وذلك لأنه انطلق من مقدمات ضنية شكية واستبدال وهذا ما ذهب اليه

1 - الإمام ابن عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري كتاب الحيض، 6، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ص84.

2 - محمد عمارة، التحرير الإسلامي للمرأة الرد على شبهات الغلات، ص60.

3 - المرجع نفسه، ص89.

4 - المرجع نفسه، ص88.

5 - المرجع السابق، ص91.

الدكتور علي منصور كيلاني عند استضافته في إحدى حلقات "أحكي لي" على اليوتيوب. وإما يكون ثابتا و السند صحيح وهذا هو الأرجح ليصبح المعنى هنا منه الملاحظة من خلال ابراز المفارقة بين أن يكون الرجل حازم وان تتغلب عليه إحدى النساء بعاطفتها وقد اقتبس جرير كلامه "ص" إذ يقول:

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يحين قتلنا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا
ولعل الشعر هذا يوضح لب المفارقة بين ذي اللب وأضعف خلق الله.

2-د- القوامة: لم يرد في القرآن ولا في السنة أن الرجل مالك زوجته والمرأة داخل البيت أدنى من الرجل قدرا... وللقوامة علاقة وطيدة بعدم كون الرجل عاطفيا، وقدرته الجسدية العضلية التي تفوق المرأة وبواسطتها يقوم بحمايتها، ويلاحظ أنه حتى المومسات يلجأن الى الرجل يحميهن ويلاحظ أن المرأة غير المتزوجة والمطلقة والأرملة أكثر النساء تعرضا للعنف والايذاء والاغتصاب. والرجل بعد هذا أقدر على العيش من المرأة غالبا¹. وإنما ورد في القرآن الكريم وبالتحديد في سورة النساء ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾². أي جنس الرجال عموما وليس كلهم و جنس النساء غالبا وليس كلهن هذا يقتضي أن تتولى المرأة ادارة البيت إذا كانت أقدر من الرجل إذا تراضيا على ذلك وكذلك ان تكون المرأة رئيسة للأسرة في حال غياب الرجل بموت أو غيرها... وقد يقال فلماذا لا تكون القوامة لهما بدل احدهما، ونقول ان وجد مديرين لأي إدارة في العالم يجعل منهما إدارة فاشلة. ولا يمكن أن تستمر³. وبالتالي فإن القوامة قد انقصت على المرأة المسؤولية لتتفرغ لأمر أخرى أهم من الكفالة والقوامة.

2-هـ- الميراث: وفي الميراث شبهة أيضا قد أدى سوء فهمها وعدم التعمق في معاني تقسيمه الى النفور ووصف الإسلام بالتحيز والذكورية قال تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ فَإِنَّ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا بُوَيْهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَوَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَوَلَدٌ وَوَرِثَةٌ

¹ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص385.

² - السورة النساء، الآية 34.

³ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص386.

أَبَوَاهُ فَلِأُمَّهِ أُلْتُكُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ^١ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ^٢
 ءَآبَاءُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا^٣ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ^٤ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا

حَكِيمًا^٥ ١ ويركز الكثيرون على أول الآية ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ للاستدلال والتحجج بأن الإسلام دين ذكوري ولم يكن مساويا حتى للمرأة والرجل إذن فلنفرض مثلا: عندي بنت وولد وأنت عندك بنت وولد كل من الابنتين أخذت الميراث وكل من الاثنتين أخذت ثلث الميراث، وكل من الولدين أخذ ثلثي الميراث إبنتي تزوجة ابنك... وابنتك تزوجت ابني... يصبح لكل عائلة ميراث كامل وتكون المسألة قد تساوت^٢. وبالتالي نكون قد تجاوزنا مسألة عدم التساوي... إن ما تخسره المرأة أحيانا في الميراث فإنها تجد التعويض الذي هو غالبا أكثر مما فقدته. في نظام المهر مثلا لو فرضنا رجلا مات وترك بنتا وولدا وأخذت البنت 50 والإبن 100 فالبنت بعد ذلك تأخذ 25 مهرا من رجل آخر عند الزواج أو أكثر غالبا، والابن يدفع (25) مهرا عندما يتزوج فيتساويان. بل إن الرجل بعد ذلك يصرف من هذا المقدار على نفسه وزوجته وأولاده والمرأة تحتفظ به لنفسها فقط وليست ملزمة بما هو ملزم به والمرأة طول حياتها مكفولة^٣. كما انه هناك حالات يتساوى فيها الطرفان مباشرة وهذا قد ورد في الآية (ولأبويه لكل منهما السدس) (الأب والأم) إذا كان رجلا يورث كلاله أو امرأة وله أخ و أخت فلكل واحد منهما السدس وإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وُلْدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ
 وُلْدٌ فَلَكُمْ الرَّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ^٤ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ^٥ وَلَهُنَّ الرَّبْعُ
 مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وُلْدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وُلْدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ^٦.
 (الإخوة والأخوات لأم)... بل هنالك حالات ترث المرأة أضعافا الرجل فلو اجتمعت أخت شقيقة وعشرة من
 الأخوة للأب فإن نصيبها يساوي نصيب الذكور العشرة... جعلت نصيب المرأة أصلا يقاس عليه نصيب الذكر^٥.

1 - السورة النساء، الآية 11.

2 - محمد متولي الشعراوي، المرأة في القرآن، ص 83.

3 - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص 397.

4 - السورة النساء، الآية 12.

5 - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص 398.

للذكر مثل حظ الأنثيين فالمقاس هنا هو الذكر وعادة المقاس يكون متغير والمقاس عليه حظ الأنثيين كمعيار ثابت لا يتغير وأبما تكريم لن يكون أفضل من هذا قيمة أو أرفع منه شأنًا.

2-و- تعدد الأزواج: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ

النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ ۚ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَلِكَ

أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٢٠٣﴾¹. التعدد في الإسلام مباح وليس واجبا ولا مندوبا، بل هو مكروه لمن عنده زوجة

تكفيه ولا تتوفر عنده دواعي الزواج الثاني لما فيه من تعريض نفسه للحرام والوقوع في الظلم...². ذلك أن الآية

ابتدأت بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ وهذا يبرر أنه هنالك دواعي مثل عدم إنصاف

اليتامى، كما أن الآية انتهت بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَلِكَ أَدْنَىٰ

أَلَّا تَعُولُوا﴾، وبالتالي فإن الشرط هنا هو العدل، وشريعة الإسلام حين أباحت التعدد إنما تركت الباب مفتوحا

لمعالجة الضروريات الفردية والاجتماعية ولم ترغب في ذلك ولم تنفر³. فهناك من نادى بتعدد الأزواج مقابل تعدد

الزوجات بغية إضفاء نوع من المساواة بين الجنسين إلا أن ذلك لن يرقى لأن يكون مساواة وإنصاف أكثر منه

تعسفا في حق المرأة ذاتها، هناك أكثر من داعي لمنع هذا الأمر منها:

أولا: المرأة نفسيا لا تحب هذا الأمر إلا أن تكون شاذة وغير طبيعية.

ثانيا: إن قوتها الجنسية (إن صح التعبير) أو تجدد الرغبة الجنسية الملحة وعن طريقة الإثارة عندها مختلفة

ولذلك فهي أقدر على ضبط النفس

ثالثا: المرأة موضع للنسب ولا يمكن التفريط في ضياع الأنساب الذي هو قوام المجتمع والحياة

رابعا: تعثرها العادة الشهرية والنفاس، وما يتبع ذلك من أمراض واضطرابات، والمرأة غير قادرة في كثير من

الأحيان على إشباع الرجل جنسيا فكيف بالتعدد؟⁴.

¹ - السورة النساء، الآية 03.

² - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص319.

³ -فاطمة هدى نجا، المستشرقون والمرأة المسلمة، ص21

⁴ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص394.

هناك أسباب كثيرة منطقية لا تقبل الجدل على عقلانية الزواج بثنائية، كأن تكون الزوجة مصابة بعقم، أو مرض مزمن أو شلل أو تشوه خلقي، أو برود جنسي أو بعض الأمراض النفسية أو تصاب بحريق مشوه، ففي مثل هذه الحالات لا يتردد عاقل في أن الحل الأسلم هو الإبقاء على الزوجة الأولى والتزوج بثنائية مع عدم الإخلال بحقوقها والعدل بينهما... إلخ¹.

وإذا كان العدل هو الشرط الأساسي فيمكننا اعتباره شرطاً تعجيزياً لأن في نفس السورة يقول تعالى " فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة " ثم يواصل في آية أخرى من نفس السورة: ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾² فليس معنى ذلك أن يعدد كل متزوج زوجاته ولكن جعل مبدأ التعدد مسموحاً من غير قيود، ما عاد قيد العزل والقدرة على الإنفاق، ليستطيع من تلجئه ظروفه الخاصة إلى التعدد ولتستطيع الأمة في حالة الحروب والأزمات التي يقل فيها الرجال ويكثر فيها النساء أن تستفيد من تشريع التعدد بما يسد به الرجال وتكفل به النساء³. وكما قلنا أن التعدد مباح وليس فرض، طبعاً الأصل في التشريع هو الإباحة وليس الوجوب أي أن الإسلام لا يوجب على الرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة ولكنه يبيح له ذلك إذا رأى أن حياته محتاجة إلى ذلك وفرق كبيراً بين الوجوب والإباحة⁴.

2- ز الولاية: ونخص بالحديث في هذا الصدد حديث النبي "ص" الذي رواه البخاري: حدثنا عثمان بن الهيثم حدثنا عوف عن الحسن عن أبي بكر قال: " لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله "ص" أيام الحمل بعد ما كدت أن الحق الحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم، قال: لما بلغ رسول الله "ص" أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة⁵.

فالشبهة إنما جاءت من خلط مثل هذه الولايات الجزئية والخاصة بالإمامة العظمى والولاية العامة لدار الإسلام وأمنه وهي الولاية التي اشترط جمهور الفقهاء الذكورة فيمن يليها... والحديث للفقهاء المعاصر عن ولاية

1 - المرجع نفسه، ص 392.

2 - السورة النساء، الآية 129.

3 - فاطمة هدى نجا، المستشرقون والمرأة المسلمة، ص 22.

4 - محمد متولي الشعراوي، المرأة في القرآن، ص 38.

5 - الإمام ابن عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري كتاب المغازي، ص 1087.

المرأة لهذه الامامة العظمى، لأن هذه الولاية قد غابت عن متناول الرجال فضلا عن النساء ولا حديث منذ الخلافة العثمانية (1342هـ_1924م) وحتى الآن!¹

لقد تحدث القرآن الكريم عن ملكة سبأ _ وهي امرأة_ فأثني عليها وعلى ولايتها للولاية العامة، لأنها كانت تحكم بالمؤسسة الشورية لا بالولاية الفردية...وذم الرجل فرعون مصر_ وهو رجل_ لأنه انفرد بسطان الولاية العامة وسلطة صنع القرار.²

حيث يقول تعالى في ملكة سبأ: ﴿ قَالَتْ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِيْ أَمْرِ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً

أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ ﴿٣﴾ وقال في فرعون: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتُمْ وَمَا أُهْدِيكُمْ إِلَّا

سبيل الرشاد ﴿٤﴾ (غافر) ومنه فإن العبرة ليست بالذكورة أو الأنوثة أو تلك الصفات العرضية التي لا تشكل جوهر الحكومة وإنما بالشورى أو التفرد. وبالتالي فقد فهمنا الولاية أو الامامة العظمى إلا أنه يبقى هنالك مشكل آخر وهو حق المرأة في الإمامة الصغرى أو أن تأم الناس للصلوات فهل ذلك جائز؟

2-ح- الإمامة: هل إذا وجدت امرأة عالمة بالقرآن دارسة له نالت الدكتوراه في الدراسات ووجد جمهور

من الشباب أو العمال الذين لا خبرة لهم بالقرآن. هل يجوز في هذه الحالة أن نقدم جاهلا لأنه رجل على امرأة عالمة لأنها امرأة؟ أفلا بعد هذا التميز والتفرقة على أساس الجنس ألا يعد إعلاء للجهل على حساب العلم؟⁴ . فلماذا لا تستطيع إذن المرأة أن تقوم وتأم المصلين؟ ذلك أنه بالاستشهاد بالحديث السابق "ناقصات عقل ودين" لأن فترات الحيض النفاس الوضع الحمل الارضاع تجعلها تنقطع عن الامامة الدائمة الغير مؤقتة وبالتالي هل ينقطع المصلون؟ كما أن المرأة إذا تقدمت الرجال وقامت بهم فإن عورتها قد تعطلها وغض البصر قد يجعل التواصل معها أمرا صعبا والخشوع ورائها دون إثارة النظر أو إثارة السماع لصوتها أمرا وارد الحضور_ والدليل أنها لم تحرم من امامة النساء ولكن تقف وسطهم ولا تتقدمهم.

¹ - محمد عمارة، التحرير الإسلامي للمرأة الرد على شبهات الغلات، ص 104.

² - المرجع نفسه، ص105.

³ - السورة النمل، الآية 32.

⁴ - جمال البنا، جواز امامة المرأة، (pdf) www.GOODREAD.COM/BOOK/SHOW/18430137، ص56

المرأة في المسيحية تعطي لها درجة تسمى "شماسة" وهي درجة خادمة وبعيدة عن الكهنوتية تماما، وطبيعية دورها هو الاهتمام بالنساء البنات لأنها امرأة مثلهن تعلمهن وترشدن وتثقفن، والعناية بالأطفال¹. فإن الإسلام ليس وحده من حرمها من الامامة بل المسيحية كذلك حرمتها من الكهنوت والقسيسية إن صح التعبير. وعن قبيحة بن ذؤيب قال: " كانت عائشة أعلم الناس يسأها الأكاير من الصحابة". ومع هذا القدر من العلم الذي كانت تمتلكه لم تطالب يوما بحق الإمامة ولم يرد في السنة أو في أي رواية أنها أمة الناس للصلاة أو قامت بهم فأين نساء اليوم منها حتى يطلبوا ذلك؟.

2-ط- القضاء: وأمر آخر لا بد من الإشارة إليه... وهو تغير مفهوم الولاية العامة في عصرنا الحديث، وذلك بانتقاله من " سلطان الفرد" الى " سلطان المؤسسة" التي يشترك فيها جميع ذوي السلطان والاختصاص، لقد تحول " القضاء " من قضاء القاضي الفرد الى قضاء مؤسساتي يشترك فيه عدد من القضاة... فإذا شاركت المرأة في " هيئة المحكمة" فليس بوارد الحديث عن ولاية المرأة للقضاء². يقول بيرداكو عن عاطفة المرأة: "ولهذا كانت المرأة المدعية العامة ضرب من العبث. فالمرأة السوية لا تستطيع القيام بهذه الوظيفة، انها وظيفة ستكون ضد طبيعتها وستكون هذه المرأة عاجزة عن انهاء أي كان باسم هذا المجرى "القانون" ولا يمكنها الغش في هذا المجال³. ولربما كانت هذه شهادة من الغرب أنفسهم في عدم قدرة تولي المرأة للقضاء. لأنه في الدين الإسلامي هنالك من أقر بقدرتها على شغل هذا المنصب كما سبق وشرحنا.

والذين أجازوا توليها القضاء، فيما عدا قضاء القصاص والحدود مثل ابي حنيفة (80_150هـ) (699_767م) وفقهاء مذهبه قالوا بذلك لقيامهم " القضاء والشهادة" فأجازوا قضاءها فيما أجازوا شهادتها فيه أي فيما عدا القصاص والحدود" مع عدم الإجماع على رأي واحد باختلاف المذاهب⁴.

2-ي- الشهادة: والشهادة في جميع الأحوال _ كما نص عليها القرآن الكريم عمل يعالج فيه الشاهدان يتغلب على بخائل الحب والبغض ويتجنب الميل مع هواه⁵. وقد ورد الحديث عنها في خمس مواضع في القرآن الكريم: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ

1 - المرجع نفسه، ص 86.

2 - محمد عمارة، التحرير الإسلامي للمرأة-الرد على شبهات الغلاة، ص 104.

3 - بيرداكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص 478.

4 - محمد عمارة، التحرير الإسلامي للمرأة-الرد على شبهات الغلاة، ص 104 - 106

5 - عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، ص 66.

ذَوَا عَدَلٍ مِّنكُمْ أَوْ أٰخْرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الْوَلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنْآ إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٦﴾¹. ثانيا: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٢٠﴾² ثالثا: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدَلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ³ وفي هذه الآيات لم يرد ذكر جنس الشاهد سواء امرأة أو ذكر ما يدعوا الى التساوي وهي ثلاث آيات مقابل آية واحدة اشترط فيها الجنس وتم فيها التفريق وهي:

﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۗ﴾⁴. كما أنه تتجلى المساواة واضحة في آية أخرى وقد نص القرآن على تساوي شهادتها مع الرجل في آية الملاعنة عند إتهامها بالزنا قبل الزواج...⁵. يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّٰدِقِينَ ۗ﴾⁶.

1 - السورة المائدة، الآية 106.

2 - السورة الطلاق، الآية 02.

3 - السورة البقرة، الآية 282.

4 - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص 400.

5 - السورة النور الآية 06.

إن المراد ليس رد شهادة المرأة. لا نقصان الأهلية حيث أن شهادتها تقبل في كثير من الحالات المنفردة كالرضاعة والبيكاراة¹.

2-ك-الحجاب: ونقصد به هنا ليس حجب المرأة باللباس فقط وإنما نتطرق أيضا الى شبهة بقائها في البيت والواردة في القرآن الكريم إذ يقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَتَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ خُمْرَهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾². ولكن قبل مطالبة المرأة بهذه السترة قد طالب الرجل بغض البصر: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَتَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾³ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ³.

والمغزى من الحجاب هو المساواة على نطاق النساء في ما بينهم قبل الرجل فالله سبحانه وتعالى قد حجب المرأة أن تستلفت الأنظار إليها لتكشف عن زينتها وهو قد حجب غيرها ممن هن أصغر وأكثر نضارة من أن يستلفتن أنضار زوجها فيعرض عنها⁴. أي النشوز المؤدي الى الضرب كشبهة أو حتى الطلاق البغيض والمفهوم من الحجاب على هذا واضح بغير تفسير، فليس المراد إخفاء النساء وحبسهن في البيوت وتحريم الخروج عليهن لمزاولة الشؤون التي تباح لهن، ولم يكن الحجاب كما ورد في جميع الآيات مانعا في حياة النبي عليه السلام أن تخرج المرأة مع الرجال الى ميادين القتال، ولا أن تشهد الصلاة العامة في المساجد، ولا أن تزاوّل التجارة ومرافق العيش⁵.

¹ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص399.

² - السورة النور، الآية 31.

³ - السورة النور، الآية 30.

⁴ - محمد متولي الشعراوي، المرأة في القرآن، ص100.

⁵ - عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، ص60.

إلا أن الكثير فضلوا التعلق بآية من القرآن "وقرن في بيوتكن" ومن الحسن أن نذكر أن الأمر بالقرار في البيت إنما خوطب به نساء النبي صلى الله عليه وسلم لمناسبة خاصة بمن لا تعرض لغيرهن من نساء المسلمين¹. وعلى العموم كان السبب هو الحفاظ على عرض النبي ولهذا بدأت الآية بقوله تعالى: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾².

2-ل-النشوز والضرب: يقول تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ^ط فَإِنِ اطَّعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا^ط إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾³.

النشوز من المرأة هو بغضها لزوجها. ورفع نفسها عن طاعته وانصراف عينيها عنه الى غيره⁴. والضرب في هذه الآية هو ضرب للأدب غير مبرح وهو الذي لا يكسر لها عضما ولا يشين جارحة كاللكزة ونحوها فإن المقصود منه الصلاح لا غير⁵. ومعنى الضرب الذي فهمه الكثير من المترجمين بالدين أو ذوي العقول الضعيفة بعيد عن المعنى الوارد هنا.

إن الضرب المراد ليس هو العنف الذي نعده اليوم، الضرب هذا لا يجوز الا بعد عدم جدوى المرحلتين السابقتين (النصح) أو (الهجر)...مع أن هذا الضرب علاج لتفادي الطلاق وهلاك الأسرة وهو مباح لا واجب حيث فصل العلماء بالإتفاق وتركه وعدم اللجوء إليه بدليل قوله "ص" (ولن يضرب خياركم) وقول عمر (لا تجدون أولئك خياركم)⁶. ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ^ط﴾⁷. كما أنه وفي

¹ - المرجع نفسه، نفس الصفحة.

² - السورة الأحزاب، الآية 32.

³ - السورة النساء، الآية 34.

⁴ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص 387.

⁵ - عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، ص 128.

⁶ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص 388-389.

⁷ - السورة البقرة، الآية 229.

نفس الآية قال تعالى: ﴿ فَلَا تَبْغُوا عَلَيَّ سَبِيلًا ۗ ﴾¹. فأزيلوا عنهن التعرض للأذى والتوبيخ وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان كأن لم يكن بعد رجوعهن إلى الطاعة والانقياد وترك النشوز².

قد يقول بعض الناس إن ضرب الزوج لزوجته معناه الكراهية ونقول لهؤلاء ألا يضرب الأب ابنه؟ هل يكره الأب ابنه الذي هو قطعة منه؟ طبعاً لا... بل انه لا يجب شيئاً في الدنيا أكثر من ابنه. ولكنه يريد مصلحته وقد تسبب له ألماً خفيفاً ليقبه من ألام كثيرة سيتعرض لها لو استمر في الطريق الخاطئ الذي يمشي فيه...³.

3- الجندر وتجاوز عائق المعنى:

إن أزمة الجندر كتعبير لقضية المرأة انطلقت في الغرب كمصطلح لتسير مع مرور الزمن وتتحول إلى مجموعة من الأفكار والفلسفات وحتى إلى مذهب يتبناه الكثيرون اليوم عبر العالم، وبهذا الانطلاق الاصطلاحي اللغوي الذي سبق واختلف في بداياته قد اختلف اليوم أيضاً في نهاياته اللغوية إذ لم يتلاءم مع الرحم الذي ولد فيه، أي اللغة الغربية سواء الفرنسية أو الإنجليزية أو غيرها.

وفي هذا المسعى تأثرت الأنثوية بالمدارس الفلسفية المعاصرة وخصوصاً المدرسة التفكيكية (deconstruction.walisme) والتي تذهب إلى نسبية اللغة انطلاقاً من شك مطلق في دلالة الألفاظ واتهام اللغة بأنها تفتقر إلى الصلة بين الدال والمدلول، وأنه لا توجد علاقة بينهما⁴، وهذا ما سنغتنمه أي علاقة الانفصال بين الألفاظ والمعاني بين الدوال ومدلولاتها لصياغة حل بغية معالجة الجندر الغربي بما يتوافق مع التراث العربي والإسلامي، وفي محاولة التفريق الكامل بين الرجل والمرأة ولتأنيث اللغة تعاد كتابة كلمة نساء (women) على النحو التالي (womyn) حتى لا تحتوي كلمة نساء بالإنجليزية على كلمة (men) أي الرجل⁵، وفي هذا المسعى اسهمت الحركات النسائية في تشجيع إصدار الطبعة الجديدة من كتب العهد القديم والجديد أطلق عليها "الطبعة المصححة" (politically.corrected.dible) في عام 1994 وتم فيها تغيير الكثير من المصطلحات والضمائر المذكورة⁶. لتصبح عندهم محرفة لمرتين على الأقل وقد اعترفوا على الأقل بذلك مرة واحدة، وذلك أن لغة الغرب الإنجليزية والفرنسية لا تحوي تاءً تأنيث معلومة إذ يقول "بيرداكو": "... إن اللغة الراهنة ذات

¹ - السورة النساء، الآية 34.

² - عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، ص128.

³ - محمد متولي الشعراوي، المرأة في القرآن، ص98.

⁴ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص183.

⁵ - عبد الوهاب المسيري، بين التحرير والتمركز حول الانثى، ص28.

⁶ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص188.

الأساس المذكور لا تتيح للمرأة أن تحدد موقعها ولا أن تصف نفسها من حيث هي امرأة والأمثلة كثيرة فكلمة "طبيب" ليس لها مؤنث بالفرنسية فنقول امرأة طبيب الأمر الذي يعد غير منطقي¹.

فبما أن اللغة العربية غنية عن هذا ويكفيها سوى أن تضيف تاء التأنيث في آخر اللفظة لتسقط هيمنة الذكور المزعومة، ناهيك عن مواضع أخرى في لغة الغرب... حيث تكون المرأة إضافة لفضية إلى الرجل ولو حذفنا كلمة رجل (man) لضاعفت وسائل المرأة من الوجود في اللغة وكذلك مصطلح الإنسان (human) ومصطلح البشرية (man.knid) إن الرجل في مركز التكوين المصطلحي وتدور حوله سائر المصطلحات²

هذا وذهب أنصار الأنثوية المسيطرون على لجنة المرأة في الأمم المتحدة إلى حد بعيد... حين طلبوا من (ليبيا) وباكستان رفع تخفيضاتهما على اتفاقية (cedaw) وإعادة قراءة القرآن وتفسيره بشكل يتوافق مع مضمون الاتفاقية³.

وكل هذا من لغو حديث وهو ليس برنامجا للإصلاح وإنما هجوم على اللغة البشرية وتشويه لها، فهل نحن نفكر في المقاومة باعتبارها أنثى وفي الصمود باعتباره ذكر؟⁴

ولا زال الكثيرون من المولعين بالفكر الغربي ينقلون مشاكلهم ومصائبهم ويعجزون على مماثلتهم في إيجاد الحلول حتى قيل إن اللغة العربية هي الأخرى قد ظلمت المرأة في خمس مواضع، فعندما يصيب الرجل يقال مصيب وعندما تصيب المرأة يقال مصيبة "بلاء"، وإذا كانت على قيد الحياة يقال "حية" أي أفعى؟! وإذا مارست القضاء يقال قاضية "منية" و إذا نابت في أمر ما قيل نائبة "أخت المصيبة" وإذا أحبت وعشقت يقال هاوية والهاوية هي جهنم والعياذ بالله، فما هذا التفكير؟ لو كان التفكير على هذا النحو وكان هناك مظلوم ظلمته اللغة العربية لكان دون أدنى شك الرجل وليس المرأة ذلك أن اللغة العربية نفسها تنتهي بتاء التأنيث إلا أن الأمر هنا لا يفهم على هذا النحو إطلاقا بل يفهم من منظور آخر تماما، فقد تنفصل الدوال عن مدلولاتها كما أسلفنا الذكر، فكل هذه الصفات الهاوية والمصيبة والنائبة والحية والقاضية، قد تدخل ضمن المشتركات اللفظية التي تؤدي معنيين أو أكثر... ويرجع العلماء شيوع المشترك اللفظي إلى عدة عوامل أبرزها اختلاف القبائل، فكل قبيلة تطلق اسما على شيء تفارقت عليه، بالإضافة إلى اختلاف الاشتقاق وذلك بأن تؤدي القواعد الصرفية إلى أن تنفق

¹ - بيرداكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص 79.

² - مفتي أين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص 181.

³ - المرجع نفسه، ص 274.

⁴ - عبد الوهاب المسيري، بين التحرير والتمركز حول الانثى، ص 28.

لفظتان متقاربتان في صيغة واحدة فينشئ عن ذلك تعدد في معنى هذه الصيغة، ويرى ابن علي الفارسي أن اتفاق اللفظتين واختلاف المعنيين ينبغي ألا يكون قصدا في الوضع ولا يكون أصلا ولكنه من لغات تداخلت¹. ولا ندري نحن اليوم كيف يمكن للغة ثرية مثل اللغة العربية أن تستعير لفظا بمعناه التام من لغة ادنى منها في صورة لفظ الجندر الغربي، والغريب في الأمر أن اللغة أو الدال عرب بمعناه لينقل إلينا جملة الأفكار التي لا تتلاءم مع بيئتنا الإسلامية ويقول الدكتور محمد عمارة: "وإغفال هذا التمايز عندما تعبر المضامين والمعاني عن التمايز الحضاري للحضارات المختلفة هو باب واسع للخلط والتشويه المعرفي يجعل من القاموس المعرب مثلا والذي لا يبنه على تمايز مضامين المصطلح الواحد في الحضارات المتميزة أداة لتزييف وعي أبناء الحضارة المتلقية لهذا القاموس²، وحتى بالنظر لترجمة مصطلح الجندر (النوع الاجتماعي) فلا نفهم خزي المترجمين -بتعبيرهم- أليس هناك نهج التصرف كحل لأزمة مصطلح الجندر؟ التصرف هو التكافؤ في الوضعيات بين اللغة المتن واللغة المستهدفة، بمعنى أنه حين يواجه المترجم موقفا يفترض التعبير عن واقع معين موجود في اللغة المتن لكنه غير معهود أو منبوذ في اللغة المستهدفة فإنه يلجأ إلى تحويله إلى واقع يتفق مع نمط تفكير متلقي النص المستهدف أو يخفف من حدته حين يكون مستهجنا³.

فلما كان مصطلح الجندر في الإنجليزية (genus) يأتي بعدة معان (النوع، العرق، الأسرة، نوع الجنس) قد انتهى إلى فكر وفلسفة تدعو إلى الشذوذ وتجرد المرأة من قيمتها وتنكرها لأدوارها المركزية واستغنائها التام عن أنوثتها وعن أسرتها وأمومتها، فلماذا لا ينتهي الجندر الذي يعني في اللغة العربية (إعادة رونق بعد ذهابه)⁴، إلى فلسفة وفكر مهمتها الوحيدة هي أن تعيد رونق المرأة بعد ذهابه وتصلح مجموع الأفكار الإسلامية التي من شأنها أن تحمي المرأة من كل متربص بها، كما لتوضح أيضا أن الإسلام قد خص المرأة بتكريم لا مثيل له في الديانات ولا في الحضارات السابقة، ويصبح بالتالي جندر الغرب غير جندر الإسلام يتفقان في اللفظ ويفترقان في المعنى انطلاقا من الاختلاف في معنى المصطلح في اللغة وافترقا الدال والمدلول.

وبسبب كل ما سبقناه من ألام للمرأة وآمال في أن تمارس دورها الحضاري المنشود فإننا نحتاج إلى حركة نسائية إسلامية تدافع عن حقوق المرأة بمنطق الشرع ومنطلقاته وتساهم بإخلاص في نهضة المرأة المسلمة وتعيد

¹ - محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، د.ط، 2007، ص ص 244، 246.

² - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص ص 183، 184.

³ - أنعام بيوض، الترجمة الأدبية مشاكل وحلول، منشورات الأبيار الجزائر ANEP، ط 1، د.ت، ص 191.

⁴ - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 140.

صياغة همومها وشخصيتها وتعديلها.... أدوار أول داعية بعد الرسول صل الله عليه وسلم خديجة الكبرى¹، لتكون بمثابة الجندرة-آلة خشبية تتخذ لصقل الملابس²- للأفكار التي تستهدف ضرب الدين الإسلامي فتصلها وتجعلها تروق للإنسان والإنسانية.

إن المرأة قد فرت من دونية الرجل لتقع في هوة عميقة تفصل بينها وبين نفسها أكثر مما فصل فصلا تعسفيا بينها وبين الرجل ولعلنا نرى اليوم ونشاهد حالات كثيرة لدخول نساء أجنبيات في الدين الإسلامي بصفته نصيرا حقيقيا للمرأة مما حل بها إذ يقول بيرداكو: "فلا بد لهذا السبب من أن نختار إضاءة جديدة وأن نهمل بعض التصورات المتحجرة التي ما فتئت تزيد كثافة الحاجز الذي يفصل بين الرجال والنساء ويفصل بين المرأة ونفسها"³ لتكون "أسلمة الجندر" أي صبه في قالب إسلامي حقيقي يعتمد على القرآن والسنة والاعتدال والوسطية في الحياة، فيصبح الجندر هنا مجرد مشترك لفظي لا غير، يختلف معناه عن ما أريد له أن يكون من قبل الغرب العلماني.

نريد حركة نسائية تواجه الأنتوية المتطرفة التي تريد تشويه فطرة المرأة والعدالة وقضيتها وتشن حربا شعواء على قيم الإسلام وثوابت البشرية كلها وتريد إفراغ النساء من محتواهن الإنساني الرفيع⁴ فإذا كان أقسى ما وصلوا إليه بفكرهم النسوي هو الجندر بمعناه السلبي فإن أقسى ما نصل إليه نحن أيضا هو للجندر بمعناه الإيجابي الإسلامي، ومن شأن هذا الجندر الإسلامي الذي يستمد أفكاره في تصديه للنسوية المتطرفة من القرآن والسنة أن يقف نصيرا للمرأة المسلمة من جهة وأن يقف نصيرا أو ندا في وجه الجندر الغربي من جهة أخرى ولا يمكن أن نشترك في ذات المصطلح باعتبارنا لا نشترك في ذات القضية لقول العقاد: "تسلمنا قضية المرأة حيث انتهت في الغرب بعد تاريخ طويل يخالف تاريخنا في مطالعه ونهايته كما يخالفه في مجراه"⁵، وبالتالي لا اشتراك في المعنى بين قضية المرأة الموسومة بالجندر بيننا وبين مبدعي المصطلح أو أصحاب النظرية.

¹ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص 423.

² - ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 140.

³ - بيرداكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، ص 250.

⁴ - مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص 424.

⁵ - عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، ص 139.



خاتمة

خاتمة:

إن الفلسفة الجندرية لما تحملها من أفكار، تهدف لنفي الفوارق البيولوجية بين الشريكين (الجنسين) لا يمكن أبداً أن تكون على قمة هرم قضية المرأة أو كقاعدة له إذ أن هذه الفلسفة لا زالت اليوم تقع في تناقض فاضح فكيف يمكن لهذه الفلسفة أن تكون كنصير للمرأة بعدما نفتها بنفي طبيعتها البيولوجية والسيكولوجية؟ إن المتناقضان في عقل الإنسان لا يجتمعان وبالتالي لا يمكن لهذه الفلسفة التي تنفي طبيعة المرأة النزاعة إلى العاطفة أن تكون نموذجاً يؤخذ به في قضية تحرير المرأة بعد أن أفرغتها من محتواها ومن لبها وجوهرها (العاطفة والأنوثة)، وفي ختام هذه الدراسة نقوم بعرض أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها وهي كالتالي:

أولاً: النتائج:

1. المرأة في الغرب كانت تعيش الآلام وتعاني من الدونية سواء في الحضارات القديمة أو في ما ورد في نصوص التشريع - المحرف - اليهودي والمسيحي.
2. جملة القواعد المرجعية الغربية التي احتقرت المرأة في صورة الفكر اليوناني والديانات كانت بمثابة الدافع الأساسي لظهور الفكر الجندري.
3. الفكر الجندري جاء بمثابة فلسفة تدعو إلى الحرية وذلك بإنشاء قطعة أستمولوجية مع القواعد المرجعية سالفة الذكر لأنهم ذاقوا ذرعا بها.
4. انتقل الفكر الجندري من الدعوة إلى المساواة إلى التسوية ومن ثم المثلية أي الاستعلاء عن الجسد ثم الاستغناء عن الرجل.
5. الفكر الجندري أداة حدائية تساهم في تفكيك المركزية بهدف التنميط بمختلف أشكاله ونشر العوامة.
6. الجندر كرس لصراع الذكورة والأنوثة فانتصرت الديوثة والعنوسة.
7. هدف الفكر الجندري إلى نفي أن المرأة عاطفة والرجل عقل إلا أنه فشل في ذلك باعتبار أن منطلقة كان من شعور بالقهر والدونية كعاطفة مما جعله يثبت ذلك بدل نفيه.
8. القطيعة الأستمولوجيا التي أنشأها الفكر الغربي مع القواعد المرجعية كنا السباقين في تجاوزها في صورتها الجاهلية منذ أربعة عشر قرن.
9. النموذج الاسلامي الرباني هو الوحيد الذي كان منصفاً للمرأة ونصيراً لها.
10. عدم التوغل في الدين برفق أدى إلى إفراط أو تفريط اللذان تسببا ببروز مجموعة من التفاسير والتأويلات التي من شأنها أن تسدج الدين وتحفضه.

11. يمكننا إنشاء جندر إسلامي يتفق مع الغرب في اللفظ ويفترق في المعنى ليكون بمثابة آلة تعصم نساءنا وتحولهم دون الوقوع في متاهات جندر الغرب وليكون أيضا بمثابة الصاقل لأفكار الغرب ليجعلها تتلائم مع ما يناسبنا ويضفي عليها نوعا من الرونق الإسلامي (الجندر في المعجم الوسيط آلة خشبية لصقل الملابس وجندر الشيء بمعنى أعاد رونقه).

إن المرأة في الغرب مظلومة ومبتذلة حقا إنها تستحق أن ترفع لها قضية ترفع بها الرجل الذي يبتزها وذلك من أجل إنصافها، إن قضية المرأة المسلمة ليست هي قضية المرأة الأوروبية فالمرأة الأوروبية قد صارت لها قضية، لأنه ليس لمجتمعها منهج رباني يسير عليه إنما يشرع فيه البشر لأنفسهم فيظلمون أنفسهم ويظلمون غيرهم، أما المرأة المسلمة فقضيتها أن الظلم قد وقع عليها من مخالفة المنهج الرباني الذي التزمت به المجتمعات عقيدة ولم تلتزم به عملا، ورجعت في هذه القضية بالذات إلى أعراف الجاهلية الفاسدة، وقد يكون الظلم واحدا ومتشابها، ولكن العلاج يختلف لاختلاف الاسباب.

ثانيا: التوصيات:

1. نناشد كل أنثى مسلمة أن تتمسك بإسلامها، أن تفهمه جيدا بحيث يكون هو الحامي من كل متربص.
2. نناشد الأساتذة الكرام والناشطين في المجالات الاجتماعية والحقوقية أن يقوموا بالتوعية بهذا الموضوع نظرا لحساسيته.
3. نوصي بالنساء خيرا ونخاطب في ذلك كل الرجال نقلا عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبأن يعتبر الذكر أثنائه درة مصونة ولؤلؤة مكنونة دون أن ينتقص من حقها فلا كمل عقله إلا بجليها وما اشدت عوده إلا بعطفها وما نطق إلا بمناعتها وما وقف إلا بمداعتها فلو كانت أما لكانت الجنة تحت أقدامها ولو كانت بنتاً لفتحت فيها أحد أبوابها ولو كانت زوجتاً كان نصف الدين منها.

ولأن كلمة الحق تقال تطول ولا تطال، إن المرأة عانت من ألم الجاهلية وبالأمس القريب عانت مرارة الحرية -المطلقة- واليوم بعد أن اشدت عنائها تطلق آهات الحسرة على ضياع أنوثتها، فكان الجمع بينهم (الم و مر و آه) يكون أولها ألم ووسطها مر وآخرها آه إلا إذا تمسكت بالعروة الوثقى والأخذ بالنموذج الاسلامي في تحريرها أو بالجندر الإسلامي يتناسب مع مجموع قواعدها المرجعية ومع طبيعتها البيولوجية والسيكولوجية دون القضاء على انوثتها كي لا يقع في تناقض هو الآخر، يقول الله تعالى ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾¹.

¹ سورة الأنبياء، الآية 18.

الصفحة	التعريف	الشخصية
38	<p>كاتب وفيلسوف من أصل نوميدي - لاتيني ولد في طاغاست (حاليا سوق أهراس ، الجزائر) . يعد أحد أهم الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية . تعتبره الكنيسة الكاثوليكية والأنغليكانية قديسا وأحد آباء الكنيسة البارزين وشفيع المسلك الرهباني الأوغسطيني . يعتبره العديد من البروتستانت ، وخاصة الكالفينيون أحد المنايع اللاهوتية لتعاليم الإصلاح البروتستانتي حول النعمة والخلص . وتعتبره بعض الكنائس الأورثوذكسية مثل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية قديسا</p>	<p>أغسطينوس) (354 - 430)</p>
40	<p>كاتبة وعالمة اجتماع وكاتبة نسوية مغربية لها كتب ترجمت إلى العديد من اللغات العالمية . تهتم كتاباتها بالإسلام والمرأة وتحليل تطور الفكر الإسلامي والتطورات الحديثة . بالموازاة مع عملها في الكتابة تقود كفاحا في اطار المجتمع المدني من أجل المساواة وحقوق النساء، حيث أسست القوافل المدنية وجمع " نساء، عائلات، أطفال . " في مايو 2003 حصلت على جائزة أمير أستورياس للأدب مناصفة مع سوزان سونتاغ.</p>	<p>فاطمة مرنيسي) 1940 - 2015 (</p>
58	<p>إنخرط في أواخر القرن التاسع عشر في التحليل النفسي و يعد أول محلل نفسي وأصدر أهم كتاب سنة 1900 "تفسير الأحلام". ج. ج. باكسون، موسوعة المشاهير في العالم، دار الصداقة العربية، جزء1، بيروت، طبعة 1، 2002.</p>	<p>سيجمون فرويد(1856-1939)</p>
66	<p>روائي و كاتب مسرحي و فيلسوف فرنسي، ولد في باريس، مؤسس "مجلة العصور الحديثة"، نشر كتابه الفلسفي الأساسي " الوجود و العدم" في عام1943 فؤاد كامل و آخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم، بيروت-لبنان، دط، دس</p>	<p>سارتر، جون بول (-1905)</p>
85	<p>(ولد 27 أكتوبر 1952) هو عالم و فيلسوف و اقتصادي سياسي ، مؤلف، وأستاذ جامعي أميركي . اشتهر بكتابه نهاية التاريخ والإنسان الأخير</p>	<p>يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما</p>

	<p>الصادر عام 1992 ، والذي جادل فيه بأن انتشار الديمقراطيات الليبرالية والرأسمالية و السوق الحرة في أنحاء العالم قد يشير إلى نقطة النهاية للتطور الإجتماعي والثقافي والسياسي للإنسان . ارتبط اسم فوكوياما بالمحافظين الجدد ، ولكنه أبعد نفسه عنهم في فترات لاحقة</p>	
90	<p>ممثل الجناح اليساري بين أتباع حركة التنوير الفرنسيين، أشتهر كفيلسوف و عالم إجتماع و عالم جمال، و هو أحد منظري علم التربية (البيداغوجيا). من المؤلفات الفلسفية والإجتماعية الرئيسية "مقال في أصل و أسس عدم المساواة بين البشر" 1755، و "العقد الإجتماعي" 1762. روزنتال و يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، مرجع سابق</p>	<p>روسو جان جاك: (1712- (1778</p>

الصفحة	المفهوم	المصطلح
10	شايعة : تبعه في رأي أو أمر وأيده . 2 - شايعة : صحبه مودعا . 3 - شايح به الدليل : نادى به . 4 - شايح بالجمال : صاح بها ودعاها إذا تأخرت	مشايعة
43	(1789-1799) كانت فترة تحولات سياسية واجتماعية كبرى في التاريخ السياسي والثقافي لفرنسا وأوروبا بوجه عام . ابتدأت الثورة عام 1789 وانتهت تقريباً عام 1799 . عملت حكومات الثورة الفرنسية على إلغاء الملكية المطلقة، والامتيازات الإقطاعية للطبقة الارستقراطية ، والنفوذ الديني الكاثوليكي . وأدت الثورة إلى خلق تغييرات جذرية لصالح " التنوير " عبر إرساء الديمقراطية وحقوق الشعب والمواطنة، وبرزت فيها نظرية العقد الإجتماعي لجان جاك روسو ، الذي يعتبر منظر الثورة الفرنسية وفيلسوفها	الثورة الفرنسية
74	-إسم مشتق من (نرجس) وهو إسم فتى أسطوري عند اليونان، يطلق إسم النرجسية في أيامنا هذه غلى الشذوذ الجنسي الذي يجعل المرء غارقاً في عشق ذاته، إضطراب نفسي تنحصر فيه شحنات الليبدو في الذات، بحيث لا يكون لدى المرء إلا شيع واح يتأمله و يشتهييه و هو نفسه. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، 1982	النرجسية
103	- مفهوم يصف كلا من عملية و تنتج تبادل ناتج النشاط الإنساني و الإجتماعي (منتجاتالعمل، النقود... الخ) في ظروف تاريخية معينة، و كذلك تحويل خصائص و قدرات الإنسان إلى شيع مستقل عنها و متسلط عليها، و أيضا تحويل بعض الظواهر و العلاقات إلى شيع يتخلف عما هو عليه في حد ذاته، و تشويه علاقاتها الفعلية في الحياة في أذهان الناس. روزنتال و يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت-لبنان، ط2، 2006	الإغتراب
116	تماثل الشيطان، و مائل الشيعى شاهمه، و مائل فلانا بفلان شبهه به، و لا تكون المماثلة إلا بين المثقفين في الكيفية أو النوعية، تقول: علمه كعلمه، ولونه كلونه، بخلاف المساواة فإنها بين المثقفين في الكمية. المعجم الفلسفي. جميل صليبا. ج1. دار الكتاب اللبناني بيروت-لبنان	التماثل



قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولاً: المصادر والمراجع

1. الإمام ابن عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري كتاب الحيض 6، دار ابن كثير، دمشق، سوريا.
2. إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط2، 1996.
3. إمام عبد الفتاح إمام، الفيلسوف والمسيحي المرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط1، 1996.
4. أنعام بيوض، الترجمة الأدبية مشاكل وحلول، منشورات الأبيار الجزائر ANEP، ط1، د.ت.
5. باسمة كيال، تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1991.
6. بيردكو، المرأة بحث في سيكولوجيا الأعماق، تر، مجيد أسعد، منشورات دار الثقافة الإرشاد القومي، دمشق، 1983.
7. تقرير مبدأ المساواة عموماً في منظور التشريع الإسلامي واصل الإسلام ورعاية حقوق الإنسان بحث منشور في أعمال المؤتمر الثاني عشر لمجتمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف والمنعقد بالقاهرة بتاريخ 16 أبريل 2002، ج 1.
8. ثريا هاشم، نجاح منصور، دليل تدريبي للمعلمات والمعلمين حول قضايا النوع الاجتماعي 2011/2010، في التعليم، المركز التربوي للبحوث والإنماء، منظمة الأمم المتحدة والعلم والثقافة، بيروت، 2012.
9. جمال البناء، جواز امامة المرأة، www.GOODREAD.COM/BOOK/SHOW/18430137
10. جوديت بتلر، الذات تصف المرجع نفسها، تر، فلاح رحيم، دار التنوير للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2014.
11. جوديتبتلر، الجنس والجنندر في الجنس الآخر، تر، لجين اليماني، مراجعة، أحمد العوفي، على الموقع التالي: <http://nthar.net/wpcontent/uploads/2016/03/judith.pdf> ،
12. جون جاك روسو إيميل، تربية الطفل من المهد إلى الرشد، تر، نظمي لوقا، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.
13. جون ستوارت ميل، استعباد المرأة، تر، إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1998.

14. جون ماكوري، الوجودية، تر، إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، د.ط، 1982.
15. حسين أبو رياش وآخرون، الإساءة والجندر، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2006.
16. خالد قطب وآخرون، الحركة النسوية وخلخلت المجتمعات الإسلامية، دار البيان للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط 1، 2006.
17. رياض قريش، قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، دار حضر موت للدراسات والنشر، الجمهورية اليمنية، ط1، 2008.
18. سناء العاصي مفتاح وآخرون، مسرد المفاهيم والمصطلحات، النوع الاجتماعي، المبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية، مفتاح، رام الله، فلسطين، 2006.
19. سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، تر، لجنة من الأساتذة، (د.د)، (د.ت)،
<https://www.kutubpdf.net/book/6321%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A2%D8%AE%D8%B1.html>
20. سيمون دي بوفوار، كيف تفكر المرأة، مركز العربي للنشر والتوزيع، القاهرة.
21. عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، نخصة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د.ط، د.ت.
22. عبد السلام بشير الدويبي، علم الاجتماع الطبي، دار الشروق للطباعة والنشر، عمان، الأردن، 2005.
23. عبد المنعم جبري، المرأة عبر التاريخ البشري، مطابع اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006.
24. عبد الوهاب المسيري، قضية المرأة بين التحرير... والتمركز حول الأنثى، نخصة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. مصر، ط2، 2010.
25. علي بن نايف الشحود. موسوعة الغزو الفكري والثقافي وأثره على المسلمين، http،
 www.mktaba.org
26. عن إمام عبد الفتاح إمام، أرسطو والمرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط1، 1996.
27. عند الله العرادي، مفهوم الجندرة وصحة الأمومة، قسم البحوث والدراسات إدارة شؤون اللجان والبحوث، مارس 2012.
28. فاطمة المرنسي، ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، تر، فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط4، 2005.

29. فاطمة هدى نجا، المستشرقون والمرأة المسلمة، www.KUTUBPDFNET/BOOK/5355، المستشرقون والمرأة المسلمة. HTML.
30. فرونسيس جانسون، سيمون ديوفوار أو مشروع حياة، تر، إدار الخراط.
31. فؤاد بن عبد الكريم عبد الكريم وآخرون، العدوان على المرأة في المؤتمرات الدولية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 2005.
32. قاسم أمين، المرأة الجديدة، الهيئة المصرية العامة، مكتبة القاهرة، 1993،
33. قاسم امين، تحرير المرأة، الهيئة المصرية العامة، مكتبة القاهرة.
34. قدري في حنفي وآخرون، تمكين المرأة، المؤتمر الثالث للإصلاح العربي، تحديات والمشاكل التي تواجه منظمات المجتمع المدني، مكتبة الاسكندرية، منتدى العربي للإصلاح، 13 مارس 2006.
35. ماري ديل كامبر ولدت عام 1943 ، هي دكتورة في الدراسات الإسلامية في جامعة باريس الرابعة ودكتورة في القانون، وهي أيضا خريجة لغة عربية وأستاذة جامعية في اللغة العربية.
36. مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرر المرأة من المساواة إلى الجندر، تقديم محمد عمارة، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2004.
37. محمد الغزالي، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، www.GOODREAD.COM/BOOK/SHOW/4472148
38. محمد بن ناصر العريني، المرأة بين تكريم الإسلام ودعاوى التحرير، فهرسة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 1999.
39. محمد جديدي، البيوتيقا ورهانات الفلسفة القادمة، محاضرة أقيمت خلال الملتقى الدولي الثالث للفلسفة، المنعقدة بالمكتبة الوطنية ، الجزائر العاصمة، يومي 2526 /أفريل / 2007.
40. محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، د.ط، 2007.
41. محمد عمارة، التحرير الإسلامي للمرأة، الرد على شبهات الغلاة، دار الشروق للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2002.
42. محمد عودة الريماوي وآخرون، علم النفس العام، دار المسيرة للطباعة والنشر، البحرين، ط5، 2014.
43. محمد متولي الشعراوي، المرأة في القرآن، www.NOORBOOK.COM/02/PDF_8721.HTML?M=1
44. مصطفى النشار ، مكانة المرأة في فلسفة أفلاطون- قراءة في محاورتي الجمهورية والقوانين، دار قباء للطباعة النشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ت).

45. منال محمود المشني، حقوق المرأة من المواثيق الدولية وأصالة التشريع الإسلامي، دار الثقافة، عمان، ط1، 2011.

46. نوال السعداوي، الأنتى هي الأصل، على الموقع التالي:

<http://www.bookleaks.com/files/fhrst4/899.pdf>

47. نوال السعداوي، الرجل والجنس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

48. نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، (pdf) www.alexandra.ahlamontada.com

49. هاربرت ماركيز، نحو الثورة الجديدة، تر، عبد اللطيف شرارة، دار العودة، بيروت، لبنان، د.ط، 1971، ص 300.

50. نوال السعداوي، دراسات عن المرأة والرجل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط2، 1990.

51. نوال السعداوي، هبة عبد الرؤوف عزت، امرأة والدين والأخلاق، دار الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، 2000.

52. ول ديورانت، قصة الحضارة، مج 7، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 117.

53. ول ديورانت، قصة الفلسفة، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط5، 1985.

54. يسرى الأيوبي، المرأة عبر الزمن، ج1، <http://albizri.com/yusra/Women/WOMEN1.pdf>

ثانيا: معاجم ومسوعات:

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، تركيا، د.ت.

2. ابن منظور جمال الدين ابي الفضل، لسان العرب، ج8، دار المصرية للتأليف والترجمة، المؤسسة المصرية العام للأنباء والنشر، القاهرة، مصر.

3. ج. ج. باكسون، موسوعة المشاهير في العالم، دار الصداقة العربية، جزء1، بيروت، طبعة 1، 2002.

4. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، 1982.

5. سمير كرم، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت-لبنان، ط2، 2006.

6. فؤاد كامل و آخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم، بيروت-لبنان، دط، دس

ثالثا: مجالات:

1. مجلة عليية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، المجلد 5، العدد 01، أذار 2015.

رابعا: رسائل وأطروحات:

1. نراقاسم قادر، الجندر والجنس مفهومهما وآثارهما في أحكام قانون الأحوال الشخصية، كلية القانون والسياسة جامعة السليمانية، 2015.

خامسا: مواقع :

1. www.laidbenzebta.blogspot.com//2016/04blogpost_2.m=1
2. www.who.int/hac/network/interagency/news/iasc_guidance_ar
3. الوكالة الدائمة المشتركة بين الوكالات (iase) نساء وفتيات وفتيان ورجال، 2008، على الموقع التالي:
<https://www.kutubpdf.net/book>
4. موقع المنظمة العالمية للصحة، www.who.int/topic/gender/en
5. المكتبة الشاملة للدكتورة والناقدة والكاتبة والروائية نوال السعداوي، www.shakwmakw.com
6. مدخل إلى كيفية اشراك الرجال في مناهضة العنف ضد المرأة، منظمة كافي عنف واستغلال، بيروت، لبنان، 2012
[//www.kafa.org.lb/FOAPDF/FAOPDF.htm](http://www.kafa.org.lb/FOAPDF/FAOPDF.htm)
7. www.m.ahewar.org./s.asp?id=53981&2=0



فہرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	الإهداء
	شكر وعرهان
أ	مقدمة
	الفصل الأول: الخلفية التاريخية للفكر الجندرى
05	المبحث الأول: الحضارات كقواعد مرجعية
06	المرأة فى الميثولوجيا اليونانية
06	المرأة فى أثينا
08	المرأة فى أسبرطة
09	المرأة فى فكر أفلاطون
11	المرأة فى فكر أرسطو
16	المرأة فى الحضارة الرومانية
24	المبحث الثانى: المرأة فى الديانات السماوية
27	المرأة فى الديانة اليهودية
27	المرأة عند المسيح
30	المرأة فى الحضارة الإسلامية
36	الفصل الثانى: الجندر من الماهية إلى النظرية
43	المبحث الأول: الجندر والمعنى
44	مفهوم الجندر
44	النوع الاجتماعى
46	المصطلحات ذات الصلة
48	الجندر النشأة والتطور
51	المبحث الثانى: الأبعاد الفلسفية للفكر الجندرى
56	الجندر والانطولوجيا
56	الجندر والاكسيولوجيا

57	الجندر والابستيمولوجيا
63	المبحث الثالث: نماذج عن الفكر الجندري
66	سيمون ديوفروار
72	نوال السعداوي
85	الفصل الثالث: تقييم وتقوم الجندر
86	المبحث الأول: النقد والمعالجة
86	نقد معالجة إيدولوجية
107	نقد ومعالجة إسلامية
120	المبحث الثاني: معالجة النموذج الإسلامي لتحرير المرأة
120	الوسطية وقضايا المرأة:
123	الشبهات نقد النقد
136	الجندر وتجاوز عائق المعنى
142	خاتمة
144	قائمة الأعلام
145	قائمة المصطلحات
148	قائمة المصادر والمراجع
	فهرس الموضوعات